Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النشرات الإسلامية ٢٤

كتاب
كنز الولد

تأليف
ابراهيم بن الحسين الحامدي

عني بتحقيقه
مصطفى غالب

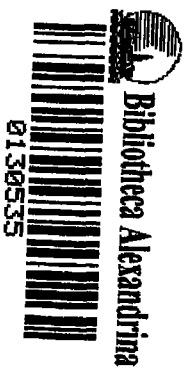

يطلب من دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن
١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كنز الولد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النشرات الإسلامية

أسسها هلموت ريتر

يصدرها

جمعية المستشرقين الألمانية

البرت ديتريش

جزء ٢٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتاب

كنز الولد

تأليف

ابراهيم بن الحسين الحامدي

عني بتحقيقه

مصطفى غالب

يطلب من دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن

١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م

جميع الحقوق محفوظة

طبع بمساعدة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ببيروت
في مطابع دار صادر ببيروت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقـــدّمة

من المعلوم أنّ العقائد الإسماعيلية لا يمكن دراستها وبحثها على أنّها عقائد ثابتة لفرقة موحدة ، ذلك أنها عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان ، فاختلفت باختلافها ، وتشعبت آراؤها ونظرياتها ، حتى أصبح من الصعب أن تبلور هذه العقائد أو أن تصهر في بوتقة واحدة .

والكتاب الذي نضيفه اليوم إلى مجموعة الكتب والأبحاث التي نشرناها حول الحركات الباطنية في الإسلام ، كنز من كنوز المعرفة الخاصة بدعوة الإسماعيلية الطيبية ، والصورة التي رسمها هذا السفر النفيس بمنهجه ومادته ، صورة علمية جديرة بالمطالعة والدراسة .

إن كتاب « كنز الولد » من الكتب السرية النادرة الوجود ، الجليلة القدر ، المحتوية على تسلسل المراتب الباطنية ، والحدود الروحانية ، والنظريات العقلانية العميقة في علم « الحقيقة » أي العبادة العلمية أو علم الباطن كما هو معروف لدى دعاة الإسماعيلية ، فعقائد الإسماعيلية الطيبية وأسرار التوحيد الإسماعيلي التي يرسم خطوطها المؤلف تجسد ما هي عليه اليوم عند طائفة « البهرة » بفرعيها السليماني والداوودي ، ولقد وصفه المؤرخ الداعي إدريس عماد الدين القرشي (٨٣٢ — ٨٧٢ هـ) بأنّه الكتاب الجليل في علم الحقائق الموسوم بكنز الولد[1] . وممّا يعطي قيمة فكرية كبرى لهذا الكتاب من الناحية

---

١ عيون الأخبار للداعي إدريس عماد الدين ج ٧ ص ٢١٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفلسفية أن المؤلف ذكر فيه لأول مرة في تاريخ الفكر الإسماعيلي رسائل إخوان الصفاء ، والرسالة الجامعة ، واعتمد في مناقشاته على آراء الشخص الفاضل صاحب الرسائل والجامعة ونظرياته ، لذلك نلاحظ بأن دُعاة الطيبية في اليمن قد نهجوا فيما بعد نهج الحامدي في دراسة الرسائل والجامعة واعتبروها بمثابة الكتاب الثاني بعد القرآن .

وقبل أن نتعرض للحديث عن تحقيقنا لهذا الكتاب لا بدّ لنا من إبراز صورة واضحة عن الإسماعيلية الطيبية في اليمن إذ ان المؤلف من دعاة هذه الفرقة المطلقين ، والكتاب من الكتب السرية الخطيرة لدى تلك الفرقة ، ليكوّن القارىء فكرة صحيحة عن هذه الفرقة التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ اليمن الديني والسياسي . ولعلماء الدعوة اليمنية الفضل الأكبر في نقل شتات التراث الفكري الإسماعيلي وتدوينه في كتب ومؤلفات ، وحفظ ما تركه الدعاة والفلاسفة والمؤلفون في عهد الخلفاء الفاطميين وفي دور الستر الأول .

الانقسام الإسماعيلي

اختلفت آراء المؤرخين وتضاربت أقوالهم حول التصدع والانقسام الذي حصل بين صفوف الإسماعيلية الفاطمية بعد وفاة الخليفة الفاطمي الإمام المستنصر بالله في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة سنة ٤٨٧ هـ ، بعد أن أقام في الخلافة ستين عاماً توصل خلالها إلى ما لم يتوصل إليه أحد قبله من الأئمة الذين تولوا شؤون مصر في العهد الفاطمي ، كما بلغت الدعوة الذروة ، وانتشرت في أغلب البلاد العربية على أيدي دعاة علماء وفلاسفة كبار . ويرجع سبب هذا الانقسام إلى أن الإمام المستنصر بالله كان قد نص على أن يتولى الإمامة والخلافة بعده ابنه الأكبر نزار الذي ولاّه عهده سنة ٤٨٠ هـ . ولما داهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المستنصر المرض وشعر بدنوّ أجله ، شرع في أخذ البيعة لولده نزار ، ولكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الأرمني الجنس الذي كان يتمتع بنفوذ كبير في طول البلاد وعرضها ، أخذ يماطل ويسوف حتى توفّي الإمام المستنصر قبل أن تتم مبايعة نزار . فاغتنم الأفضل هذه الفرصة وحال بين نزار وبين حقّه الشرعي في الخلافة والإمامة ، وعقد اجتماعاً ضم الأمراء وكبار رجال الدولة من الانتهازيين المتملّقين الذين يستهدفون الأمور الدنيوية الزمنيّة وينهدون إلى الجاه والصولجان ، دون أن يعطوا القيمة المطلقة للنص ، فأصموا آذانهم عن سماع كل ما يتعلّق به ، ورفضوا أن يتصرفوا على ضوء الحق والواقع . فعملوا بموجب إرشادات الأفضل الذي أثار مخاوفهم من نزار ، ومناهم بأرفع المناصب وأجزل العطايا ، بعد أن فرض عليهم ضرورة تنحية نزار عن الخلافة والإمامة ، وتولية أخيه أبي القاسم أحمد — وكان طفلاً صغيراً — وهو ابن أخت الأفضل ، فعارضه في ذلك الأمير عبد الله بن المستنصر ومحمد بن مصال اللكي . ولكن الأفضل الذي كان يتفاعل في أعماقه حقد عنيف دفين على نزار ويخشى أن يتسلم الخلافة فيقصيه عن الوزارة لما كان يتصف به من سمعة سيئة ، ونفوذ عظيم في البلاد ، لم يعبأ بهما وبادر إلى مبايعة أبي القاسم أحمد ولقبه (المستعلي بالله) وكلف قاضي القضاة علي ابن نافع الكحال بأخذ البيعة له من كبار رجال الدولة وأعيانها ، الأمر الذي أهاب بعدد كبير من الدعاة ومن مريدي المذهب الإسماعيلي إلى عدم الاعتراف بإمامة المستعلي والمناداة بإمامة صاحب النص نزار وأبنائه من بعده ، وبذلك انقسمت الإسماعيلية إلى فرقتين : الأولى ظلت على تمسكها بالنص للإمام نزار ، فسميت النزارية . والفرقة الثانية سارت وراء المستعلي فعرفت بالمستعلية وهي موضوع بحثنا في هذه العجالة .

وتشير المصادر التاريخية إلى أسباب إقصاء نزار عن الخلافة فتقول :

« دخل الأفضل مرّة القصر راكباً من باب الذهب بينما كان نزار خارجاً من نفس الدهليز فصاح به (انزل يا أرمني يا نجس عن الفرس إذا ما كنت داخلاً إلى القصر ، ما أقل أدبك) فحقدها عليه ، وخاف إذا ما أصبح خليفة أن يقضي عليه ، ويبعده عن الوزارة ، فسعى إلى خلعه ، وبايع أخاه المستعلي »[1] وباعتقادي أن الأسباب أعمق ممّا ذكر بكثير وكانت تستهدف القضاء على المذهب الإسماعيلي قضاء مبرماً ، لولا أن هناك بقية باقية من الإيمان في قلوب الدعاة العلماء والمخلصين الأوفياء من أبناء الدعوة فوقفوا سداً منيعاً في وجه المتآمرين .

ولما لمس نزار بأن حقّه الشرعي قد اغتصب بالحيلة والقوة سار إلى الإسكندرية بصحبة أخيه عبد الله وابن مصال اللكي ونخبة من العلماء والدعاة ، فاستقبله والي الإسكندرية ناصر الدولة أفتكين والقاضي جلال الدين بن عمار وبايعاه ، ومن ثم أخذا له البيعة من جميع أهل الإسكندرية ولقب (المصطفى لدين الله) . وأتته البيعة وكتب الولاء من بلاد فارس وبلاد الشام ، فلمّا علم الأفضل بذلك خرج لقتال نزار على رأس جيش لجب ، فدارت الدائرة على الأفضل وعاد مهزوماً إلى القاهرة ، حيث أخذ يعد العدة لقتال نزار ، ونجح باستمالة بعض العربان من أنصار نزار . ولما تم له ذلك عاد ثانية إلى الإسكندرية ففتحها بعد حصار مرير سفكت خلاله دماء بريئة طاهرة من كلا الطرفين المتقاتلين ، وألقى القبض على حاكمها أفتكين وعلى القاضي جلال الدين وعدد من رجالات الدعوة النزارية ، وقيل إنّه قبض على نزار فسلّمه للمستعلي الذي أمر أن يبنى عليه جدار فمات . وفي رواية أخرى أن نزاراً قتل في القاهرة

---

١ الكامل لابن الأثير ١٠ : ٢٣٧ – ٢٣٨ (ط . صادر) تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٧١ لحسن إبراهيم حسن وتاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب طبعة ٢ ص ٤٥٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سنة ٤٨٨ هـ . أما ابن مصال اللكي فقيل إنّه استطاع الإفلات أثناء الحصار وفرّ إلى بلاد المغرب عن طريق البحر .

ولكن النصوص التاريخية الإسماعيلية النزارية التي عثر عليها مؤخراً في إيران وسورية ، لا تؤيد هذه المزاعم بل تؤكد بأن الإمام نزاراً قد أجبرهُ أتباعه ومريدوه أثناء الحصار على أن يغادر الإسكندرية سرّاً يرافقه ابن مصال اللكي وخمسة من الفدائيين الذين كانوا قد وصلوا الإسكندرية موفدين من قبل الحسن بن الصباح . وإليك ما أشار إليه الشيخ الإسماعيلي المغربي محمد بن أبي المكارم : « عندما اشتد الحصار على الإسكندرية من قبل الجاحد المارق الزنديق الأرمني الأفضل غادرها مولانا الإمام نزار عليه السلام مع أهل بيته متخفياً بزي التجار نحو سجلماسة حيث مكث عند عمته هناك بضعة أشهر حتّى عادت إليه الرسل التي أوفدها لإبلاغ الحسن بن الصباح عن محل إقامته ، فسار إلى جبال الطالقان مع أهل بيته ومن بقي معه من دعاته وخدمه حيث استقر بقلعة آلموت بين رجال دعوته المخلصين »[1] .

ونحن إزاء هذه الروايات المتضاربة نقف موقف الباحث المنصف المتجرد عن كل نزعة لنقول والشك يداعب مخيلتنا : لو صحت هذه الرواية وغيرها من الروايات التي عثرنا عليها في بعض المخطوطات السورية لكانت دليلاً قاطعاً على أن ما قيل حول القضاء على نزار في القاهرة محض اختلاق قصد به الطعن في صحة نسب الأئمة النزارية الذين ظهروا في آلموت . لأنه في حالة ثبوت الرواية التي تزعم بأن نزاراً قد قتل في القاهرة مع أبنائه يكون قد تم استئصال سلالته ممّا يجعل الباب مفتوحاً أمام أتباع الفرقة المناوئة ليزعموا بأن أئمة « آلموت »

.....

١ محمد بن أبي المكارم : كتاب الأخبار والآثار ، الورقة ١٦٣ ، وتاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب ص ٢٥٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هم من نسل الحسن بن الصباح أو كيابذرك آميد إلى آخر ما هنالك من مزاعم . وباعتقادي أن كل هذه المزاعم والإشاعات دبرت بإحكام من قبل الأفضل وأتباعه بقصد إبعاد الإسماعيلية الذين تهافتوا على نزار عندما استقر به المقام في «آلموت» .

ومهما يكن الأمر فقد استطاع الأفضل أن يستأصل شأفة النزارية في مصر ويثبت دعائم الخلافة المستعلية .

ولما كان المستعلي كما ذكرنا لا يزال طفلاً فقد ترك شؤون السياسة والحكم إلى خاله الأفضل ، وعكف بدوره على المجون واللّهو والتمتع بالأمور الدنيوية.

وفي عهده بدأت الحروب الصليبية ، وراح الصليبيون يشنون الغارات المتواصلة على سواحل بلاد الشام، وواصلوا تقدمهم حتّى دخلوا بيت المقدس. ولمّا علم الأفضل بذلك ، خرج إليهم في عشرين ألف فارس من عساكر مصر ، واشتبك الفريقان في معركة ضارية قتل فيها كثير من جنود مصر ، فاضطر الأفضل إلى الاتجاه نحو عسقلان ، ثم عاد إلى القاهرة عندما شعر بأن العصيان والتمرد أخذا يسيطران على الأغلبية من كتائبه . وبعد أن تمكن من تطهير الصفوف وجمع الكلمة أعد جيشاً كبيراً سنة ٤٩٣ هـ . أسند قيادته لسعد الدولة النواسي ، فالتحم مع الصليبيين في عسقلان ، في معركة دامية أسفرت عن مقتل سعد الدولة وتراجع جيشه إلى القاهرة ، ممّا أتاح للصليبيين أن يواصلوا زحفهم وفتوحاتهم حتّى تم لهم الاستيلاء على بعض المدن الساحلية في بلاد الشام وبيت المقدس ، فأسسوا فيها الإمارات والممالك .

وبعد وفاة المستعلي جلس على أريكة الخلافة ولده الآمر بأحكام الله في اليوم التاسع من صفر سنة ٤٩٥ هـ . وكان له من العمر خمس سنوات ، فجعل الأفضل من نفسه كفيلاً له ، وقبض على زمام الأمور في البلاد ، ولكن الأفضل ما عتم أن دارت عليه الدائرة فقتل بينما كان متوجهاً إلى القصر في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليوم السابق لعيد الفطر سنة ٥١٥ هـ . فتولى الوزارة مأمون البطائحي الذي استبد بالسلطة كلها ، لأن الآمر كان مسلوب الإرادة لا حول له ولا قوة ، كثير العبث والمجون . ممّا أهاب ببعض الفدائية من الإسماعيلية النزارية إلى اغتياله والتخلص منه بينما كان يعبر الجسر المؤدي إلى جزيرة الروضة سنة ٥٢٤ هـ .

ولما كان الآمر لم ينجب ولداً يتولى الخلافة بعده ، فقد وثب عليها عمّه الحافظ عبد المجيد بن المستنصر معتبراً نفسه حسب العرف الإسماعيلي « إماماً مستودعاً » وسرعان ما دعا لنفسه بالإمامة . ولكن الإسماعيلية المستعلية ، وخاصة إسماعيلية اليمن زعموا بأن الآمر عندما قتل كانت إحدى زوجاته حاملاً ، ثم وضعت طفلاً ذكراً سموه « الطيب » فالإمامة على هذه الصورة لهذا الوليد ، الذي تمكن أحد دعاتهم في القاهرة من إخفائه عن الحافظ وإرساله في « مقطف » إلى الملكة الحرّة أروى الصليحية باليمن ، وهذه من جانبها ستّرته وجعلت نفسها كفيلة عليه ، ونائبة عنه في تولي أمور الدعوة المستعلية ، ولقبت نفسها « كفيلة الإمام المستور الطيب بن الآمر » . وتدور حول هذه القصة روايات وأساطير لا يسعنا إلاّ استعراضها ومناقشتها على ضوء المنطق والعقل والواقع لما يكتنفها من ملابسات وغموض .

تجمع النصوص التاريخية للدعوة الإسماعيلية الطيبية في اليمن على أن الخليفة الفاطمي الآمر قبل مصرعه بقليل أنجب طفلاً في الليلة المصبحة باليوم الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة ، وسمّاه الطيب ، وكنّاه أبا القاسم ، وكتب سجلات البشارة بهذا المولود والنص على إمامته ، ومن ذلك سجله إلى الملكة الحرّة الصليحية الذي قال فيه : « بسمِ اللهِ الرَّحمن الرحيم . الحمدُ للهِ ربّ العالمين . من عبد الله ووليه الآمن ، المنصور ، أبي علي الآمر بأحكام الله ، أمير المؤمنين ، إلى الحرة ، الملكة ، الطاهرة ، الزكية ، الرضية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحيدة الزمن ، سيّدة ملوك اليمن ، عمدة الإسلام ، خالصة الإمام ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، عصمة المسترشدين ، وليّة أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائها المؤمنين ، أدام الله تمكينها ونعمتها ، وأحسن توفيقها ومعونتها . سلام عليك . فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو ، ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم النبيّين وسيّد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديّين وسلم تسليماً .

أمّا بعد ، فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لا تحصى بعد ، ولا تقف عند أمد ، ولا تنتهي إلى الإحاطة بها الظنون ، لكونها كالسحاب الذي كل ما انقضى منها سحاب أعقبه سحاب هتون . فهي كالشمس الساطعة الإشراق ، الدائمة الانتظام والاتساق ، والغيوث المتتابعة الاتصال ، المتوالية في الغدو والآصال ، ومن أشفها لديه قدراً ، وأعظمها صيتاً وذكراً ، وأسناها جلالاً وفخراً ، الموهبة بما جدده الآن بأن رزقه مولوداً زكيّاً رضياً مرضيّاً براً تقيا . وذلك في الليلة المصبحة بيوم الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة ، ارتاحت إلى طيب ذكره المنابر ، وتطلعت إلى مواهبه آمال كل باد وحاضر ، فأضاءت بأنوار غرّته وبهجته طلعة ظلم الدياجر ، وانتظمت به الدولة الزاهرية الفاطمية عقود الفضائل والمفاخر ، استخرجه من سلالة النبوة كما يستخرج النور من النور ، ومنح أمير المؤمنين منه ما قدح به زناد السرور . وسمّاه الطيب لطيب عنصره ، وكناه أبا القاسم كنية جده نبي الهدى المستخرج جوهره من جوهره . وأمير المؤمنين يشكر الله تعالى على ما منّ به من اطلاعه كوكباً منيراً في سماء دولته ، وشهاباً مضيئاً في فلك جلاله ورفعته ، شكراً يقضي باستدامة نعمته ، وإدرار سحائب طوله ورأفته ، ويسأله أن يبلغه فيه كنه الآمال ، ويصل به حبل الإمامة ما اتصلت الأيام والليالي ، ويجعله عصمة للمسترشدين ، وحجّة على الجاحدين ، وغوثاً للمضطرين ، وغياثاً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للمنتجعين ، ووزراً للخائفين ، وسعادة للعارفين ، لتنال الدنيا بسعادته أوفى حظوظها وقسمها ، وتصبح الأيام مفترة عن ناجذ مبسمها . ولمكانك من حضرة أمير المؤمنين المكين ، ومحلك عنده الذي ارتفع عن المماثل والقرين ، أشعرك هذه البشرى الجليل قدرها ، العظيم فخرها ، المنتشر صيتها وذكرها ، لتأخذي من المسرة بها بأوفى نصيب ، وتذيعيها فيمن قبلك من الأولياء المؤمنين إذاعة يتساوى بالمعرفة بها كل بعيد منهم وقريب ، لينتظم بها عقد السرور ، ويتضوع عرفها تضوع المندل الرطب في البادين والحضور . فاعلمي هذا واعملي به إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله . وكتب في اليوم المذكور .

والحمد لله وحده وصلى الله على جدنا محمد رسوله وآله الطاهرين وسلم تسليماً . حسبنا الله ونعم الوكيل وصلى على رسوله سيدنا محمد وعلى آله الأئمة الطاهرين وسلم وشرف وكرّم إلى يوم الدين »[1] .

وتشير المصادر الطيبية إلى أن الخليفة الآمر أوفد إلى الملكة الحرّة الشريف محمد بن حيدرة ، بسجلات تتضمن السلام عليها ، مع منديل كم سمل، وأمر الشريف ابن حيدرة بتسليمه إليها . ويزعمون بأن الشريف عندما سلم السجلات والمنديل إلى السيدة الحرّة ، فاضت عيناها بالدموع إذ علمت بأنّه نعى إليها نفسه[2] .

ويحدثنا المؤرخ الإسماعيلي الطيبي إدريس عماد الدين في كتابه عيون الأخبار فيقول : « الآمر قتل بيد جماعة من النزارية ، فأظهر الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل مذهب أهل السنة، بعد أن أقام الدعوة للخليفة المزعوم أبي القاسم المنتظر القائم في آخر الزمان المهدي حجّة الله على العالمين . واستولى

.....

١ تاريخ اليمن لعمارة : ١٢٨ والصليحيون والحركة الفاطمية باليمن للهمداني ص ١١٨

٢ الصليحيون : ١٨٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أمور الدولة وقبض على ابن مدين صاحب الرتبة وقتله . وقتل من أصحاب ابن مدين الدعاة ابن رسلان والعزيزي ونسلان ، وهرب قونص إلى اليمن ، وعاد بعد ذلك فقتل . وأقام ابن مدين قبل مقتله في رتبته صهره القاضي أبا علي ، وأمره أن يخرج الإمام الطيب خوفاً من عدوان الوزير ابن الأفضل . فاستتر القاضي صهر ابن مدين بستر الإمام الطيب وسافر معه . وكان ابن مدين المتعصب بالدعوة إلى الطيب في الديار المصرية وأقامه الآمر بأحكام الله في الرتبة البابية ، وأشار الآمر إلى القاضي أبي علي صهر ابن مدين بحفظ رتبته ، فغاب القاضي بغيبة الطيب . فلم يعرف إلاّ المخلصون أين مقصده ومثواه ، وما زال السرّ إلى هذا الأوان والإمامة جارية في الإمام الطيب أبي القاسم أمير المؤمنين وعقبه الطاهرين في كل وقت وزمان »[1] .

هذه خلاصة النصوص التاريخية التي وجدناها في بعض كتب دعاة الفرقة الإسماعيلية المستعلية الطيبية ، أما الإسماعيلية النزارية فإنّهم يلوذون بالصمت المطبق تجاه هذه المشكلة ، ويكتفون بالإتيان على ذكر مصرع الآمر على يد بعض الفدائيين انتقاماً لما حل ببعض النزارية في مصر واليمن على يديه . والغريب في الأمر أنّنا لا نجد مؤرخاً من مؤرخي العصر الفاطمي يأتي على ذكر الطيب بن الآمر ووجوده ، بل نراهم جميعاً يذهبون إلى أن الآمر بأحكام الله لم يعقب ولداً ذكراً يتسلم الخلافة والإمامة من بعده ، لذلك تسلمها عمّه الحافظ عبد المجيد . أمّا زوجة الآمر التي كانت حاملاً عند مصرعه ، فقد ولدت انثى .

وهكذا لم نتمكن من أن نتبين الخيط الأسود من الخيط الأبيض في هذه النقطة الهامة التي هي كل المشكلة ، ممّا جعلنا نشك في صحة النصوص الطيبية ،

---

١ الصليحيون : ١١٩ كتاب عيون الأخبار لإدريس عماد الدين ج ٤ ص ٢٤٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لولا أنّنا عثرنا على السجل الذي أرسله الآمر قبل مصرعه بوقت قصير إلى الملكة الحرّة أروى الصليحية يبشرها فيه بولادة الطيب ، في كتاب تاريخ اليمن للمؤرخ المعاصر لتلك الفترة عمارة اليمني الحكمي (٥١٥ ـ ٥٦٩) علماً بأن عمارة لم يكن طيبياً ولا مجيدياً ولا فاطمياً في ميوله المذهبية ، وكان من المؤرخين الفقهاء والمطلعين الملمين بحقائق الأمور في مصر واليمن إبان الحكم الفاطمي . والذي يجعلنا نعتمد ما أورده عمارة أنه تحدث عن هذا السجل وظروفه ومناسباته في الوقت الذي كان يعيش فيه في مصر بين أتباع الفرقة المستعلية المجيدية الذين كانوا من ألد خصوم الفرقة الطيبية ، بدون خوف ولا وجل . وبالرغم من كل هذا سيظل الشك يراود مخيلتنا فنتساءل عن سبب ستر الإمام الطيب بعد أن تم نقله إلى مكان أمين في كنف الحرة أروى الصليحية باليمن ؟ ومن حقنا أن نتساءل ونشك حتى نصل إلى عين الحقيقة التي يقبلها العقل والمنطق . ولو فرضنا جدلاً أن الدعاة في القاهرة ستروا الإمام الطيب خوفاً عليه من الوزير ابن الأفضل ، فهل يظل مستوراً هو وعقبه إلى الأبد وقد أصبح في مكان تتوفر فيه الطمأنينة على حياته ؟ ونحن نعلم ـ دون كبير عناء ـ أن نظام الستر الإسماعيلي له ترتيب وقواعد لا يصح تجاوزها مطلقاً . فاستتار الإمام الطيب وعقبه منذ ذلك الوقت حتى الآن وإلى ما لا نهاية يخالف الأصول والأحكام الإسماعيلية ، ويعود بالدعوة القهقرى[1] . ومهما تكن ظروف هذه الأسطورة وملابساتها فقد أدت إلى انقسام الإسماعيلية المستعلية إلى فرقتين : الأولى زعمت بوجود الطيب وانتقاله إلى اليمن فعرفت بالطيبية وجعلت مركزها في اليمن واستقلت كلّياً عن الخلافة الفاطمية في مصر ، والثانية نادت بإمامة الحافظ عبد المجيد الذي أصبح خليفة لمصر وعرفت بالمجيدية .

١ الصليحيون : ١٨٧ ـ ١٨٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحركة الإسماعيلية في اليمن

التاريخ يجهل جهلاً تاماً متى بدأت الحركة الإسماعيلية في اليمن ، ومن هو أول من دعا لها في تلك الديار . ونحن لا نستطيع على ضوء ما نملكه من نصوص ووثائق أن نحدد بدقة ووضوح تاريخ بذر أول بذرة إسماعيلية في اليمن ، لأن الدعوة الإسماعيلية كما هو معلوم بدأت سرية تخضع لنظام دقيق من « التقية » عملاً بما يروى عن الإمام جعفر الصادق : « التقية ديني ودين آبائي ، من لا تقية له فلا دين له . . »[1] وقوله : « والمذيع لأمرنا كالجاحد له » وقوله عليه السلام : « إن احتمال أمرنا ستره وصيانته عن غير أهله » وقوله : « رحم الله عبداً اجتر مودّة الناس إلينا وإلى نفسه فحدثهم بما يعرفون وستر عنهم ما ينكرون . . اكتم سرّنا ولا تذعه[2] » هذا ما جعل الدعاة الإسماعيلية الأُول يحرصون أشد الحرص على أن تظل أسرار دعوتهم بعيدة عن متناول أيدي من ليست لهم علاقة بالدعوة ، لذلك نرى التاريخ الإسماعيلي يقف موقف الصمت المطبق تجاه هذه الأمور ، كما أن مؤرخي الدعوة لم يعطونا صورة صحيحة عنها . مما جعلنا نلجأ إلى فك بعض الإشارات والرموز التي وردت في بعض المؤلفات والوثائق السرية عسى أن نوفّق لرسم خط بياني واضح لهذه الفترة الغامضة من التاريخ الإسماعيلي .

يذكر الداعي جعفر بن منصور في كتابه الموسوم بأسرار النطقاء أن الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (١٤٥ — ١٩٣ هـ) أول الأئمة المستورين كان يقيم في المدينة وينشر الدعوة منها إلى جميع البلدان الإسلامية . « . . . ففرّق الإمام محمد بن إسماعيل دعاته في جزائر الأرض ، وأمر أهل

---

١ دعائم الإسلام للقاضي النعمان تحقيق آصف فيضي ص ٦٠

٢ المصدر نفسه ص ٦٠ — ٦١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجزائر بإقامة الدعوة باسمه ، فعمرت الأرض ، وانتشر الأمر ، وأقبلوا في السياحة لإيجاد دار هجرة . . . » . هذا ما ذكره أكبر داعٍ من دعاة اليمن الأُول ، ومن الطبيعي جداً أن يتطلع الإمام محمد بن إسماعيل إلى اليمن المعقل المنيع للشيعة — كما تطلع إلى المغرب فسيّر إليه الدعاة — كجزيرة من جزائر الأرض فيرسل إليه الدعاة أصحاب الخبرة والدراية بشؤونه وبفن نشر الدعوة والمبادىء ، بسرية تامة وبموجب نظام « التقية » الشديد .

ويمكننا القول بأن عدداً كبيراً من أهالي اليمن كانوا في كلّ عام بعد أن يؤدوا فريضة الحج يتوجهون لزيارة العتبات المقدسة في العراق . ولعل دعاة الإسماعيلية قد استغلّوا هذا الموعد وسيلة لبث عقائدهم ودعوتهم . ويلفت نظرنا نص آخر وجدناه في مخطوط إسماعيلي سوري يشير إلى أن الداعي الكبير عبد الله بن ميمون القداح (١٩٠ — ٢٧٠ هـ) هو أول من فكّر بإرسال الدعاة إلى اليمن . لذلك نراه يختار ولده الأكبر أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح لهذه المهمة . حيث تمكن من مرافقة الحجيج إلى اليمن وزرع أول نواة إسماعيلية في (عدن لاعة) . ويؤيد ما ذهبنا إليه النص التالي : « . . . أصبح سيدنا الشيخ الجليل والعلامة النحرير عبد الله بن ميمون القداح حجة عظيمة الشأن والقدر لمولانا عليه السلام محمد بن إسماعيل . . فغاب وإياه عن الأنظار لينشر الدعوة في الجزائر والأمصار . . . »

وتحدثنا الروايات الإسماعيلية بأن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح قد عاد من اليمن عندما أعلنت وفاة والده عبد الله واحتل مرتبته . « . . . كان حجة ثالث الأئمة المستورين أي الحسين بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل تسلم من عبد الله بن ميمون . فأصبح الحجة الجليل قدرها . العظيم خطرها . وأرفع الحجب وأسماها . وألطفها وأعلاها . . . »[1] ويذكر التاريخ الإسماعيلي

---

١ كتاب الأزهار مخطوط سوري مؤلفه مجهول ص ١٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بأن حجّة الإمام الحسين بن عبد الله – أي أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح – هو الذي أرسل الداعي الحسين الأهوازي إلى البحرين ، وأخذ العهود والمواثيق على علي بن الفضل الجدني والحسن بن فرج بن حوشب (منصور اليمن) وسيرهما في أول سفارة إسماعيلية إلى اليمن .

ويحدثنا ابن حوشب عن كيفية تحوله من مذهب الاثني عشرية إلى المذهب الإسماعيلي فيقول : « . . . بينما كنت أفكر ذات مرّة تذكرت القول المأثور عن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم في سنة ٢٥٢ من أن المهدي سيظهر بعد اثنتين وأربعين سنة أي سنة ٢٩٤[1] . فخرجت إلى دجلة ثم أخذت في قراءة سورة الكهف ، فأقبل شيخ يمشي ، ما نظرت إلى أحد يملأ عيني هيبة قبله . فجلس ناحية ، وجلس الرجل بين يديه ، وأقبل غلام فقرب مني ، فقلت : من أنت ؟ فقال : حسيني . فاستعبرت ، وقلت : بأبي الحسين المضرج بالدماء ، الممنوع من هذا الماء ! فرأيت الشيخ ينظر إليّ ، وكلّم الرجل الذي بين يديه كلاماً لم أفهمه ، فقال لي الرجل : تقدم إلينا ! فقمت وجلست بين يديه ... »[2] . ثم يذكر ابن حوشب الحديث الذي دار بينه وبين الشيخ ، ويبين مبلغ حديثه من نفسه ، وما لاحظه عليه من رجاحة العقل . ويصف اليأس الذي تسرب إلى نفسه بجهله المكان الذي رحل إليه الشيخ بعد المقابلة ويقول بأنّه بينما كان مطرقاً يفكر في نفس المكان السابق ، إذ انقشعت عن نفسه غياهب الأسى حين حضر الرجل الذي شاهده في صحبة الشيخ ، وأخبره بمقره ، فرافقه إلى حيث مثل بين يديه . فتوسل ابن حوشب إليه أن يقبل منه البيعة وأن يأخذ عليه العهود والمواثيق للإمام الإسماعيلي ، فتردد الشيخ ريثما ينتهي من اختبار درجة ثقافته المذهبية وقوّة احتماله . ولما وقف على

---

١ في الأصل ٢٩٦ .

٢ افتتاح الدعوة للقاضي النعمان مخطوط ، الورقة ٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجمل آرائه أجابه إلى طلبه ، ثم أدخله في اليوم الثاني على صاحب الأمر الذي تروج باسمه الدعوة ، الإمام الحسين بن عبد الله ، فأعجب بنبوغه وإخلاصه وتفانيه في سبيل آل البيت فقربه إليه : « . . . وكان الإمام يخصني ويقربني ويرمز بقرب الأمر ودنو العصر . . » .

ويذكر ابن حوشب بأنّه بينما كان في أحد الأيام جالساً بين يدي الإمام قال له : « . . يا أبا القاسم ! البيت يماني والركن يماني والدين يماني والكعبة يمانية ، ولن يقوم هذا الدين ويظهر أمره إلاّ من قبل اليمن ... يا أبا القاسم ! هل لك في غربة في الله ؟ » . قلت : « يا مولاي ! الأمر إليك ! فما أمرتني به أمتثله » . قال . « اصبر ، كأنّي برجل قد أقبل إلينا من اليمن ، وما لليمن إلاّ أنت » . فقلت : « أستعين بالله على ما يرضيك »[1] .

ومهما يكن الأمر فإنّنا نستنتج من كل هذه الأقوال بأن النواة الإسماعيلية الأولى زرعت في بلاد اليمن وفي (عدن لاعة) بالذات قبل (منصور اليمن) بفترة طويلة ، ولمّا اعتراها بعض الفتور إثر عودة أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح لتسلم مرتبة الحجية ، أخذ الإمام يعد العدة لاختيار من يحل محله في اليمن . وممّا أورده ابن حوشب يتضح لنا بأن الاختيار وقع عليه بعد أن أصبح موضع ثقة الإمام ، وأمله الذي يرجوه ، ونلاحظ أن الإمام الإسماعيلي كان على علم بوصول علي بن الفضل يحمل إليه أخبار اليمن . وبالفعل ما عتم أن وصل ابن الفضل إلى الكوفة سنة ٢٦٧ هـ بعد أن أدى فريضة الحج في مكة المكرمة ، فعرض عليه الإمام أن يصحبه ابن حوشب لمؤازرته في بث الدعوة باليمن فقال ابن الفضل : « . . . والله إن الفرصة ممكنة في اليمن ، وإن الذي تدعون إليه جائز هنالك ، وناموسنا يمشي عليهم . وذلك لما أعرف

---

١ عيون الأخبار للداعي إدريس عماد الدين ج ٥ ص ٤٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيهم من ضعف الأحلام ، وقلّة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية . . . » فقال الإمام مخاطباً ابن الفضل : « إن هذا الرجل الذي نبعث به معك بحر علم ، فانظر كيف تصحبه » ، ثم قال عليه السلام : « الله الله بصاحبك ، وقرّه واعرف له حقّه ، ولا تخالفه فيما يراه لك ، إنّه أعرف منك ، وإنّك إن خالفته لم ترشد . . . » . ثم توجه إلى ابن حوشب فقال : « يا أبا القاسم ! هذا الذي كنّا ننتظره ، فكيف رأيك في الذي عرضته عليك من أهل اليمن ؟ . . . » فامتثل أبو القاسم لأوامر الإمام التي قال فيها : « إلى عدن لاعة فاقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تعز دولتنا ، ومنها تفترق دعاتنا ، اجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل الظاهر ، ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وإن ورد عليك ما لا تعلمه ، فقل لهذا من يعلمه ، وليس هذا وقت ذكره . . » ، كما أوصاه بعلي بن الفضل فقال له : « . . هو شاب قريب عهد بالأمر ، فانظر كيف تسوس أمره . . » ، ثم خاطبهما معاً بقوله : « أبعثكما إلى اليمن تدعوان إلى ولدي هذا ، فسيكون له ولذريته عزّ وسلطان ، وإن الله عزّ وجل قسم لليمانيين ألا يتم أمر في هذه الشريعة إلا بنصرهم . . » . وبعد أن تزودا بكل ما يحتاجانه في هذه المهمة الشاقة خرجا من الكوفة إلى القادسية في نهاية سنة ٢٦٧ هـ . وفي ذلك يقول ابن حوشب : « ولما ودعت الأهل والأحبة متشوقاً إلى إقطاع الغربة وتوجهت ، فلمّا خرجت من القادسية أوجست خيفة ، فسمعت حادياً يقول[1] :

يا حادي العيس مليحَ الزَّجرِ بشّرْ مطاياكَ بضوء الفجر

.....

١ افتتاح الدعوة للقاضي النعمان الورقة ١٠ – ١٢ وزهر المعاني للداعي إدريس ص ٦٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فسررت واستحسنت ذلك الفأل لما سمعته ، ووافيت مكّة في حين قدوم الحاج من اليمن . . » . وبعد أن أدى وصاحبه مناسك الحج تابعا السير جنوباً حتى وصلا إلى (غلافقـه) في أول سنة ٢٦٨ هـ وكانت في ذلك الوقت (زبيد) بندر المدينة على ساحل البحر الأحمر . وهنا افترق الداعيان بعد أن اتفقا على أن يتصل كل واحد منهما بصاحبه ليتعرف أحواله ، فاتجه أبو القاسم إلى مدينة الجند ، وكانت غايته عدن لاعة لأنّها كما قال الإمام الحسين لأبي القاسم : «أقوى لأمرك وأمضى لناموسك»[1] . وبالفعل وصل إلى عدن لاعة عن طريق بعض تجار هذه المدينة من بني موسى ، وكان قد تقابل معهم في عدن أبين ، ولما وصل لاعة أخبره من بها من أهل الدعوة أن الداعي أحمد بن عبد الله بن خليع كان قائماً بالدعوة ، ولكن الأمير ابن جعفر قبض عليه ، وتوفي منذ عهد قريب وهو في السجن ، فنزل أبو القاسم في دار من دور ابن خليع ، وتزوج ابنته وتقلد مقاليد الدعوة هناك .

أما علي بن الفضل فقد اتجه إلى بلاد يافع الجبلية ، بالقرب من الجنـد . ونهج الداعيان منهجاً واحداً في نشر نفوذهما في بلاد اليمن ، وقد اتخذا الدين وسيلة لنشر هذا النفوذ . فأظهر كلّ منهما الزهد والتقشف والصلاح عملاً بوصية الإمام الحسين إليهما ، كما تظاهر كل منهما بالتفقه في الدين والتضلع في المذاهب السنية ، وكانا يأمران بالمعروف وينهيان عن المنكر ، فمال إليهما كثير من أهل اليمن ، وأقبلوا عليهما من كل فج وخاصة بعد أن أظهرا دعوتهما علناً سنة ٢٧٠ هـ بعد أن قاما بها سرّاً لمدة سنتين . فأصبح لكل منهما جماعة كبيرة تخلص له الإخلاص كُلّه ، وبعد أن قوي حزب كل منهما في جهته عمل على الحصول على الأموال لتنفيذ مخططه ، وللدفاع عن

---

١ افتتاح الدعوة للقاضي النعمان الورقة ١٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أتباعه ومريديه ، وكانت الزكاة هي السبيل القويم الذي يتفق وأمور الدين . فأمر أبو القاسم من جهة أتباعه بجمعها ، واستعمل عليهم منهم ثقاة وعدولا ، يقبضون أعشار أموالهم على ما يوجبه الشرع وتعاليم الإمام الإسماعيلي . وظل ابن حوشب يعمل بجد ونشاط لبناء دولة إسماعيلية حتى أصبح الجزء الأكبر من اليمن خاضعاً لنفوذه وسلطانه .

سُرَّ الإمام كثيراً عندما وردت إليه الهدايا من اليمن وهو في سلمية من بلاد الشام فقال مخاطباً ابنه وولي عهده : « هذه أول ثمرة أيامك ، وبركة دولتك » وتمثل بقول الشاعر :

اللهُ أعطاكَ التي لا فوقَها وكَمٌ أرادوا منعها وعوقها
عنك ، ويأبى الله إلاّ سوقها إليك حتى طوقوك طوقها

وبمناسبة هذه الانتصارات الرائعة التي حققها ابن حوشب لقبه الإمام « بمنصور اليمن » وشبهه بفجر الدعوة الذي مهد لشمسها بالظهور . ووصفه الدعاة الذين أخذوا عنه فيما بعد : « كان سيدنا وشيخنا منصور اليمن بمثابة الفجر المتنفس ، وبه كشف الله عز وجل عن الأولياء الغمة ، وأنار حنادس الظلمة »[1]

وهكذا استطاع ابن حوشب بما أوتيه من حنكة سياسية أن يُركز دعائم أول دولة إسماعيلية في بلاد اليمن على أنقاض التفكك والانحلال ، وأن يجعل من هذه الدولة الفتية مدرسة كبرى لتخريج الدعاة وتوزيعهم إلى جميع أنحاء العالم . ولكن دولته لم تعمر طويلاً إذ سرعان ما عادت اليمن مرّة أخرى إلى حكم القبائل المتنافرة المتشاحنة بعد وفاة ابن حوشب . على أن عدداً من اليمنيين ظل

---

١ غاية المواليد الورقة ٤٨ – ٤٩ وافتتاح الدعوة الورقة ١٨ وعيون الأخبار ج ٥ ص ٣٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على إخلاصه وولائه للإمام الإسماعيلي واستمر الأمر كذلك حتى كانت سنة ٤٣٩ هـ حين تسلم الداعي علي بن محمد الصليحي شؤون الدعوة خلفاً للداعي الشيخ سليمان بن عبد الله الزواحي الذي تولاها بعد أن فترت إثر وفاة ابن حوشب وانقسام أبنائه على أنفسهم . فاجتمع بفريق من قومه همدان ودعاهم إلى نصرته ومؤازرته في دعوته ، فأجابوه وبايعوه ــ كانوا ستين رجلاً من رجالات عشيرته ــ على الموت أو الظفر بقيام الدعوة الإسماعيلية . وبذلك اشتد ساعده ، وتمكن من تكوين جماعة صغيرة مخلصة ، وبدأ يستعد للثورة ، فاتخذ حصن مسار بجبل حراز مقراً له وما زال يستميل الناس حتى اجتمع إليه خلق كثير .

وفي سنة ٤٥٥ هـ تمكن من احتلال اليمن بكاملها بعد القضاء على دولة نجاح ، فملك قلاعها وحصونها ومدنها وسهلها وجبلها وشمل سلطانه مكّة وحضرموت ، واتخذ صنعاء عاصمة لملكه فبنى فيها عدة قصور ، ووحد البلاد تحت علم واحد ، وأخذ ينظم سياسة الدولة وإدارتها . وولى من يثق بهم الحصون والبلاد ، واستعمل ابنه أحمد بن علي المكرم على الجند وما يليها . وأعاد الدعوة وتنظيمها إلى ما كانت عليه قبل وفاة ابن حوشب ، وأقام الخطبة للإمام المستنصر ولزوجته السيدة الحرّة أسماء بنت شهاب . وبذلك زالت الخلافة العباسية من بلاد اليمن .

وبلغ من ثقة الإمام المستنصر بعلي الصليحي واطمئنانه إلى إخلاصه وولائه أن منحه الألقاب التالية : « الأمير الأجل ، شرف المعالي ، تاج الدولة ، سيف الإمام ، المظفر في الدين ، نظام المؤمنين ، منتخب الدولة وصفوتها ، ذو المجدين ، منجب الدولة وغرسها ، ذو السيفين ، نجيب الدولة وصنيعتها ، ذو الفضلين » .[1]

---

١ سجلات وتوقيعات المستنصر رسالة رقم ٣ ص ٣٤ ، والصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن للهمداني ص ٦٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولشدة تعلق علي الصليحي بحب الإمام المستنصر وتمسكه بأهداب الدين كتب إليه أن يأذن له بالسفر إلى القاهرة للمثول بين يديه ، كذلك طلب من الإمام المستنصر السماح له بأداء فريضة الحج « ليطهر نفسه من دنس الدنيا ، وليقضي على الفساد الذي حل بالحرم المعظم ، ويقوم منآده ، ويقيم للعدل عماده ، ويعمر طرقه للسفر ، ويطهرها من المفسدين »[1] فوافق الخليفة المستنصر على طلبه وأرسل إليه سجلاً بذلك مؤرخاً في شهر ربيع الأول سنة ٤٥٩ هـ ، وفيه نصح لداعيه بأن يعالج الأمور في تلك الجهات بتأليف القلوب وتجنب الحروب ، وأن يؤثر الخير والعافية ما استطاع ، وأن يجنب نفسه والناس الفتنة ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، وقال : « . . وأنت خير من لحظته عين الإمامة بالاصطناع . . وإن أمكنك ذلك المكان ، بتأليف القلوب ، وتجنب سورة الحروب ، فوا برد ذلك على الأكباد ، إنّه لآية المراد ، وغاية قصد القصاد »[2] وفي ختام السجل ينصح الإمام الصليحي بعدم القدوم إلى القاهرة في الوقت الحاضر لأنّه يشفق عليه لبعد الطريق ومشقته .

ولما وصل سجل الإمام كان علي الصليحي في طريقه إلى الحج بعد أن استخلف ابنه أحمد المكرم على صنعاء ، وأنابه عنه في حكم البلاد وأوصاه « بالعدل وحسن السيرة والسياسة ، وتقوى الله في الجهد والسريرة ، والعمل بأعمال الشريعة واقامة دعائمها ، والائتمار بأوامرها ، والانتهاء عن محارمها »[3] وكان مسيره من صنعاء في يوم الاثنين السادس من ذي القعدة سنة ٤٥٩ هـ . وما كاد موكب الصليحي يحط الرحال في قرية (أم الدهيم) حتى فاجأه سعيد الأحول على رأس جماعة من العبيد والأحباش . وبعد معركة طاحنة استمرت

---

١ عيون الأخبار ج ٧ ص ٩٠

٢ الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٩٧

٣ المصدر نفسه ص ٩٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عدة أيام قتل الملك علي الصليحي وبعض أقاربه . فتسلم الملك ولده أحمد المكرم الذي أنابه عنه في حكم البلاد ، فاستطاع بعد نضال عنيف طويل أن يتغلّب على القبائل الثائرة ويفك الحصار عن صنعاء ، ويتتبع خصومه في كل مكان مسجلاً الانتصارات الرائعة التي استأصل فيها كافة العناصر المعادية ، فاستقرت له الأمور وأخذ يعالج أمور المملكة بالحكمة والصبر . هذا ما جعل الخليفة الفاطمي والإمام الإسماعيلي المستنصر بالله يقدر له هذه الانتصارات ويمنحه الألقاب ، ويوافق على زواجه من السيدة أروى الصليحية التي كانت على جانب كبير من الذكاء والأخلاق الفاضلة ، إلى جانب ما وهبها الله من جمال الصورة .

وفي أواخر أيام الملك المكرم نقل مقرّه إلى ذي جبلة فأقام بها مدة واشتد عليه مرض الفالج الذي أصابه بعد تخليص أمه أسماء من الأسر بزبيد ، فأشار عليه الأطباء أن يحتجب عن الناس ، ففوّض لزوجته أروى شؤون إدارة الدولة واعتكف في حصن التعكر حتى توفّي في جمادى الأولى سنة ٤٧٧ هـ . فاختلف رأي أمراء اليمن الصليحيين والزواحيين فيمن يتولى الحكم بعده ، ولكن السيدة الحرّة لم تقف مكتوفة اليدين تجاه هذا الاختلاف ، فأرسلت خطاباً إلى الإمام المستنصر تعلمه فيه بوفاة زوجها واختلاف الأمراء على تولي الحكم ، وبنفس الوقت تتوسل إليه ليوافق على تعيين ابنها الوحيد (عبد المستنصر علي بن المكرم) الذي كان لا يزال طفلاً خلفاً لوالده ، فوافق الإمام المستنصر وكلّف عضد الدين أبا الحسن جوهر المستنصري أن يحمل تعزيته إلى السيدة أروى ويثني على إخلاصها ووفائها للدعوة ، وكتب إلى أمراء اليمن يدعوهم إلى الاتحاد والتضامن ونبذ الضغائن والأحقاد ، ويحضهم على طاعة السيدة الحرّة وابنها .

ويحدثنا المؤرخ الإسماعيلي اليمني إدريس عماد الدين بأن السيدة أروى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتمت وفاة زوجها حتى ورود سجل المستنصر بالله : « . . كتمت الحرّة الملكة الأمر إلى أن جاءها سجل أمير المؤمنين المستنصر بالله بإقامة ولد المكرم الأصغر عبد المستنصر علي بن المكرم أحمد »[1] كما أمر الإمام بأن ترسل كل المراسلات إلى علي بن المكرم ، وكلّفه بالقيام بمرافق الدعوة وأمور الدولة بقوله : « . . . وقد رأى أمير المؤمنين أن يصطنعك ويلحقك برتبة أبيك وينصبك منصبه ويرقى بك درجته . . .وأمره — أي الأمير أبو الحسن جوهر المستنصري — أن يقلدك النظر فيما كان أبوك تقلده من الدعوة الهادية والأحكام في سائر اليمن وسائر الأعمال المضافة إليه برّاً وبحراً وسهلاً ووعراً ونازحاً . . ودانياً وقريباً وناثياً . . حتى خصّك من ملابس الإمامة بشريف الحباء »[2] .

وهكذا ظلّت السيدة الحرّة بعد موت زوجها تدير دفة السياسة اليمنية ، فأظهرت كفاءة نادرة في إدارة شؤون البلاد ، ويقظة تامة في كل ما يتعلّق بأمور الدعوة الإسماعيلية . وحرصت أشد الحرص على تمتين العلاقة مع إمامها المستنصر بالله الخليفة الفاطمي ، فتفانت في إطاعة أوامره وتنفيذها بدقة ، ممّا جعل الإمام يوليها ثقته ويفوضها في أمر تعيين الدعاة في المناطق البعيدة عن اليمن .

وتوضح السجلات التي كان يزودها بها الإمام المستنصر بالله من وقت لآخر مدى تقديره لإخلاصها وتشيد بإيمانها العميق وبمقدرتها السياسية .

وعندما يتعرض المؤرخ الإسماعيلي إدريس عماد الدين لذكرها يقول : « كانت الملكة الحرّة متبحرة في علم التنزيل والتأويل ، والحديث الثابت عن الأئمة والرسول عليهم السلام . . . وكان الدعاة يتعلّمون منها من وراء

.....

١ عيون الأخبار ج ٧ ص ١٢٦ — ١٣٠ والصليحيون : ١٤٨

٢ السجل رقم ١٤ من السجلات المستنصرية ، والصليحيون : ١٤٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الستر ، ويأخذون عنها ويرجعون إليها » وامتازت السيدة أروى بالصلاح والتقوى والخبرة الواسعة ، والمعرفة الفائقة بأحوال الناس ، ممّا ساعدها على إدارة شؤون بلادها في ظروف سيئة أحاطت بها . والظاهر أن الإمام المستنصر قدر لها خدماتها ونبوغها وفضّلها فقدمها على الفضلاء من كبار رجال الدعوة ورفعها إلى مقامات الحجج : « وقد استحقت التقديم والتفضيل على الفضلاء من الرجال . وكان الإمام المستنصر أصدر إليها أجل أبواب دعوته ، فأفادها من علوم الدعوة ورفعت عن حدود الدعاة إلى مقامات الحجج . . . »[1] .

ولم يعمر ولدها عبد المستنصر طويلاً ، فقد وافته المنية إثر مرض عضال ، فعاد الخلاف يذر قرنه من جديد بين الداعي سبأ بن أحمد المظفر — الذي كان يهدف إلى حكم اليمن والتزوج من السيدة الحرة — وبين السيدة الحرّة التي أظهرت عدم رغبتها في هذا الزواج واستعدت للقتال . وبالفعل اشتعلت نيران الحرب بينهما أياماً ، وكادت أن تعم جميع أنحاء المملكة اليمنية لولا أن تدخل قسم كبير من الأمراء الصليحيين والزواحيين لفض النزاع ، خشية أن تتعرض الدعوة للانهيار ، وبنفس الوقت أعلنت السيدة الحرة أنّها لن تجيب الداعي سبأ إلى مراده إلاّ بأمر الإمام المستنصر . فأوفد الداعي سبأ وفداً إلى الإمام المستنصر يعرض عليه الأمر عسى أن يوافق على هذا الزواج حرصاً على وحدة الصف وحقناً لدماء الإسماعيلية . ومن الطبيعي أن لا يرضى الإمام عن بقاء هذا النزاع بين أتباعه ، فكتب إلى السيدة الحرة يأمرها بقبول أمر الزواج . وتحقيقاً لرغبة الإمام قبلت السيدة الحرّة أن تصبح زوجة للداعي سبأ . ومع هذا فإنّها لم تمكّنه من السيطرة على شؤون البلاد ، بل استأثرت بالسلطة وظلت على إخلاصها للمستنصر حتّى وفاته[2] .

---

١ عيون الأخبار ج ٧ ص ٢٠٧ والصليحيون : ١٤٣ — ١٤٤ واعلام الإسماعيلية ص ١٤٤

٢ الصليحيون : ١٥٧ وما بعدها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولما توفّي الإمام المستنصر سنة ٤٧٨ هـ وانقسمت الإسماعيلية على نفسها إلى نزارية ومستعلية ، أيدت السيدة الحرّة أبا القاسم أحمد المستعلي فساعد هذا التأييد الخليفة المستعلي ووقف حائلاً دون تسرب الدعوة النزارية إلى بلاد اليمن مدة من الوقت .

وظلت السيدة الحرة تعمل جاهدة في سبيل نشر الدعوة المستعلية في اليمن وتقويتها حتى توفّي الإمام الآمر بأحكام الله وتولى الخلافة والإمامة الحافظ عبد المجيد على نحو ما ذكرناه سابقاً ، فرفضت الاعتراف بالحافظ لأنّه ليس له حق في الإمامة ، وساقت الإمامة في الإمام المستور الطيب الابن المزعوم للإمام الآمر بأحكام الله . وفي سنة ٥٣٢ هـ توفّيت السيدة الحرّة وكان موتها سبباً في أفول نجم الدعوة الإسماعيلية في اليمن وضياع النفوذ الفاطمي . ومنذ ذلك الوقت لم يقم أتباع الدعوة الطيبية بأي نشاط سياسي بل ركنوا إلى التجارة وعاشوا في نطاق خاص بهم ، واتخذوا التقية نظاماً لهم وأوجدوا داعية لهم ينوب عن الإمام المستور في تصريف أمورهم الدينية . وقد هيأت التجارة التقليدية بين اليمن والهند ، ولا سيما في ولاية جوجرات جنوب بمباي لجماعة من الهنود أن يعتنقوا الدعوة الطيبية وكثر عددهم هناك ، وعرفت بينهم باسم (البهرة) . وفي القرن العاشر الهجري انقسمت الدعوة الطيبية إلى فرقتين : فرقة البهرة الداوودية ، وفرقة البهرة السليمانية . ويرجع هذا الانقسام إلى الخلاف على من يتولى مرتبة الداعي المطلق للطائفة .

فالفرقة الداوودية تنتسب إلى الداعي داود برهان الدين الداعي السابع والعشرين من سلسلة دعاة الفرقة المستعلية الطيبية المتوفّى سنة ١٠٢١ هـ . والفرقة السليمانية تنتسب إلى الداعي سليمان بن حسن الذي رفض أتباعه الاعتراف بداوود واعترفوا بسليمان سنة ٩٩٧ هـ داعية لهم . ومنذ ذلك التاريخ أصبح مقر الفرقة الداوودية في الهند وداعيتهم الآن محمد برهان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدين بن طاهر سيف الدين ، ويعتبر الداعي الثاني والخمسين من سلسلة دعاة الدعوة الطيبية ويقيم في مدينة بمباي بالهند . وكذلك داعي الفرقة السليمانية علي بن حسين يقيم في اليمن .

إبراهيم بن الحسين الحامدي

عندما قررت السيدة الحرّة أروى الصليحية بثاقب بصيرتها أن تفصل الدعوة عن الدولة فصلاً تاماً عقدت مؤتمراً لكبار السلاطين والدعاة لانتخاب من يتولى رئاسة الدعوة ، فوقع الاختيار على الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي الهمداني (٥٢٠ — ٥٣٦) ليتولى هذه المهمة . وفي هذا الاختيار يقول الداعي إدريس عماد الدين[1] : « . . . اجتمع عدة من سلاطين اليمن إلى قاضي القضاة وداعي الدعاة باليمن يحيى بن لمك . وكل من أولئك السلاطين يرى أنها ستقع إليه بإقامة الدعوة الشريفة الإشارة ، ومتطلع إلى أن يلي إيراد الأمر فيها وإصداره . والذؤيب بن موسى متواضع مع علو مرتبته لأبويه ، إلى ما يشار إليه من عالي منزلته ، فحين اجتمعوا عند القاضي الأجل يحيى بن لمك ابن مالك أعلن بالتعريف بفضل الداعي ذؤيب بن موسى وعالي مقامه ، وانه المعاضد له ، والخالف له بعد انقضاء أيامه ، وتلا على السلاطين والمؤمنين التقليديين من الحرّة الملكة السيدة ولية أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائه الميامين ، ومن داعي الدعاة وقاضي القضاة يحيى بن لمك ذي الحجة الماضية البراهين ، فسمع أهل الفضل والديانة قول الحرة الملكة حجة الإمام الآمر ، وقول داعيه يحيى بن لمك ، ولم يكن منهم جاحد ولا مكابر »

---

١ عيون الأخبار جـ ٥ ص ١٤٠ والصليحيون : ١٨٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعد أفول نجم الدولة الصليحية بوفاة السيدة الحرّة أصبحت الدعوة منظمة دينية بحتة يرأسها الداعي ذؤيب بن موسى ، ومن الطبيعي حسب ترتيبات الدعوة الإسماعيلية أن يختار من بين الدعاة داعياً مأذوناً له يساعده في أعماله فاختار مترجمنا الداعي السلطان إبراهيم بن الحسين بن أبي السعود الحامدي الهمداني ، وهو من كبار الدعاة العلماء الذين أوجدتهم مدارس الدعوة الإسماعيلية المستعلية الطيبية في اليمن .

ولمّا توفّي الذؤيب خلفه مأذونه السلطان إبراهيم داعياً مطلقاً للإمام المستور الطيب بن الآمر في اليمن وما جاورها من البلاد والهند والسند وذلك سنة ٥٣٦ هـ . وجعل الشيخ علي بن الحسين بن جعفر الأنف القريشي العبشمي مأذوناً له ، فكان له معاضداً على أمره ، قائماً بنشر الدعوة في سرّه وجهره ، ولم يعمر علي بن الحسين طويلاً فقد وافته المنية في سنة ٥٥٤ هـ فاستعان الحامدي بابنه حاتم حيث اتخذه مأذوناً له ، ونقل مقره إلى صنعاء ، ثم أعلن عدم تدخله في سياسة الدولة ، وواظب على دراسة العلوم ونقل التراث العلمي الإسماعيلي وجمعه وتدريسه للدعاة التابعين لمدرسته ، ووزع الدعاة في بلاد اليمن والهند والسند ، وفيه يقول الشاعر الحارثي :

أبا حسن أنقذتَ بالعلمِ أنفسا ... وآمنتها من طارق الحدثان
فجوزيت بالحسنى وكوفيت بالمنى ... ودمت سعيداً في أعزّ مكـان
عَمَرْت بصنعا دعوة طيبية ... جعلت لها أسّا وشِدْت مباني [1]

ويذكر التاريخ الإسماعيلي اليمني له عدة مؤلفات علمية تبحث في فلسفة الدعوة الإسماعيلية وفي التأويل والحقائق ، ومن مؤلفاته : كتاب

---

١ الصليحيون : ٢٧١ – ٢٧٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الابتداء والانتهاء ، وكتاب تسع وتسعين مسألة في الحقائق ، وكتاب الرسائل الشريفة في المعاني اللطيفة ، وكتاب كنز الولد ذو الأهمية البالغة[1] .

ولقد عثرنا له مؤخراً في كتاب إسماعيلي يمني يسمى (كتاب مجموع التربية)[2] على بحوث ومحاضرات ومقالات ورسائل جلّها في الأبحاث العرفانية الإسماعيلية .

وفي عهد هذا الداعي الأجل تعرضت الدعوة المستعلية الطيبية إلى هزات عنيفة قاسية ، لأن ملوك آل زريع في عدن مالوا إلى الدعوة المستعلية المجيدية التي أخذت تنتشر بقوة في أنحاء اليمن حتى أصبح لها دعاة نشيطون في قلب تنظيمات الدعوة الطيبية وفي معاقلها ، كحراز ، ونجران ، واليمن الأسفل . وكذلك أعلن ملوك همدان اليامیون في صنعاء وبلاد همدان عن تنصلهم من جميع الدعوات والمذاهب .

ومع كل هذا فقد ظل الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي على إخلاصه للدعوة الطيبية مواصلاً نشاطه الدعاوي والعلمي حتى توفاه الله في صنعاء في شهر شعبان سنة ٥٥٧ هجرية .

كنز الولد

لا شك أن مؤلف كتاب «كنز الولد» قد تبحّر في معرفة عقائد الإسماعيلية وأصولها وأحكامها ؛ فقد أهّلته منزلته الدينية كنائب الغيبة أو ممثل الإمام الغائب لذلك ، وفتحت له محتويات خزائن مركز الدعوة التي احتفظ بها دعاة اليمن مطوّقين إيّاها بالكتمان التام . وكان هذا الكتمان

---

١ المرشد إلى أدب الإسماعيلية : إيفانوف ص ٥٤ . اعلام الإسماعيلية ص ٨٧

٢ هذا الكتاب في مجلدين تأليف الداعي محمد بن طاهر ولدينا نسخة محفوظة منه في مكتبتنا الخا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مصير مؤلف الحامدي أيضاً لدى الإسماعيلية الطيبية لما احتوى عليه من وصف دقيق لفلسفة الدعوة وصورها العرفانية ، وعلم الحقائق الباطني ، والإلهيات والمراتب الروحية والدينية .

ودعي الكتاب « كنز الولد » لما ذكر في مواضع عدة عن « ظهور الولد التام » الذي هو القائم المنتظر . ويثبت رأينا هذا ما ورد في النص : « . . . وهو ص . ع . الذي يقوم في آخر الأزمان مقام النفس ويحمل أثقالها ويتصور بصورتها ، وتدور عليه الرتب السبعة العلمية الروحانية الدينية لأنّه يستوفي جميع القول ممّن تقدمه من الرسل والأنبياء والأوصياء والأئمة ص . أجمعين . . . » وكنز الولد هو كنز القائم المنتظر الذي سيظهر عند تمام الأدوار السبعة المعروفة لدى الإسماعيلية .

قسّم الحامدي كنزه إلى أربعة عشر باباً ، وقد استهل المقدمة ، على عادة كتاب العصر وعلمائه ، بالاستعانة والتوكل والشهادة والصلاة ، ثم يذكر موضوع الكتاب والأسباب الداعية إلى تأليفه .

ويبحث الباب الأول « في التوحيد من غير تشبيه ولا تعطيل » ليظهر أهميّة التوحيد وقوامه . ويعالج الباب الثاني « الابداع الذي هو المبدع الأول » مبيّناً جلال المبدع الأول وعلمه وانفراده بجميع الصفات ذاكراً أيضاً مختلف آراء أهل الملل والنحل من أهل التأويل المحض والفلاسفة وكبار الحدود والدعاة .

أمّا الباب الثالث فيدور حول « المنبعثَين عن المبدع الأول معاً وتباينهما » . فالمنبعث الأول قد التزم بحده السابق عليه فنزهه ووحده فاستحق اسم الفعل وبذلك كمل به الكمال الثاني فكان كاملاً في ذاته . أمّا المنبعث الثاني فكامل في ذاته ناقص في فعله إذ لم يتم له الكمال الثاني بجميع حقوقه وحدوده . ولزيادة إيضاح المراد يذكر الحامدي قوام العقل الأول والعقول السبعة الانبعاثية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ووجود الأئمة السبعة في عالم الدين كل واحد عن الآخر إلى الوصيع . م .

وجاء في الباب الرابع « القول على المنبعث الأول القائم بالفعل . وما ذلك الفعل ؟ » وهنا يستعين المؤلف بآراء من تقدمه من فلاسفة الدعوة وعلمائها ليؤكد التزام المنبعث الأول بالسابق عليه في الوجود لأنّه حجابه ، ولكونه أولاً في العقول المنبعثة بكونه محضاً وجد عن محض ، وعلى ذلك تكون منزلته من مراتب الأعداد منزلة الاثنين ، بكونه ثانياً في الوجود ، وكون وجوده عند الترتيب بعد الواحد المتقدم الرتبة في الوجود الذي هو العقل الأول ؛ أو الموجود الأول .

وينقلنا الباب الخامس إلى « القول على المنبعث الثاني القائم بالقوة وما سبب ذلك ؟ » يرى المؤلف في هذا الباب أن المنبعث الثاني لم يلتزم بالمنبعث الأول الذي سبقه ، ولم يعرفه ، ولم يتوسل به ويتوجه إليه ، لذلك كان كاملاً في ذاته بالكمال الاول الذي ساوى فيه الأول والثاني ، وناقصاً في فعله ، فبذلك قام بالقوة التي هي أصل وجوده . ويخلص إلى أن المنبعث الثاني هبط إلى رتبة العاشر لكونه لم يقر بالسبق عليه للمنبعث الأول ، ثم بعد أن شعر بخطئه تاب وأناب وتوسل بالعقول التي هي فوقه ، فقبلوا توبته فصعد إلى مرتبته ، ثم ينتقل الحامدي إلى « القول على الهيولى والصورة وما هما في ذاتهما وسبب تكثفهما وامتزاجهما ؟ » وأما في الباب السادس فيعتمد على نظرية المثل والممثول الإسماعيلية منتجاً عنها أن الصورة لطيفة فاعلة ، والهيولى كثيفة مفعول بها .

ويتدرج بنا الباب السابع إلى « ظهور المواليد الثلاثة : المعدن والنبات والحيوان » إبداعاً ثالثاً من غير جماع ، ولا توسط نطفة ، ولا اغتذاء برحم ، وإنماء في بطن أنثى ولا أم ، بل ابتداء ذلك بتفاعل قوى الكواكب الخمسة من زحل إلى الزهرة في خمسة آلاف سنة . وفي الباب الثامن يتحدث المؤلف عن « ظهور الشخص البشري » ثم ينتقل في الباب التاسع إلى « القول على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ظهور الشخص الفاضل من تحت خط الاعتدال » مفصلاً وشارحاً التفاعلات في المغاير والحدد ومبيناً مراتب الدعوة الإسماعيلية وأفلاكها الدينية بصورة واضحة تدل على أنهم يتمتعون بمناقب قدسية عرفانية استمدوها من الإحاطة بالعلوم الماورائية .

ويقدم الحامدي في الباب العاشر الكلام عن « الارتقاء والصعود إلى دار المعاد » مبيناً كيفية معاد الحدود وخاصة صعود المستفيد إلى صورة مفيده ، وذاكراً أن أفلاك الدين يكون صعودها بحسب اكتسابها ومراتبها التي تقابل مراتب الأفلاك .

أما قوام الباب الحادي عشر فيعتمد على « معرفة الحدود العلوية والسفلية » ووجوب الأخذ عنهم والاقتداء بهم لكونهم هم الذين بإمكانهم نقل النفس المستجيبة للدعوة من حد القوة إلى حد الفعل . وفي الباب الثاني عشر يتعرض المؤلف إلى « الثواب والارتقاء في الدرج إلى الجنة الدانية والعالية » حيث السعادة الأبدية .

ويصف الحامدي في الباب الثالث عشر كيفية « اتصال المستفيد بالمفيد وارتقائه إليه واتصاله به » داعماً رأيه بنظرية بعض كبار الدعاة والفلاسفة الذين تقدموه . ثم يختم الكتاب في « القول على العذاب بحقيقته وكيفيته » مستشهداً بالآراء والمصطلحات الفلسفية الإسماعيلية المشفوعة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الأئمة من آل البيت .

تحقيق الكتاب :

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على ثلاث نسخ خطية : الأولى تفضل بوضعها تحت تصرفنا الشيخ محيي الدين حيدر من مدينة مصياف وقد رمزنا لها بالحرف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ج) . كتبت هذه النسخة على ورق صقيل بمداد أزرق ، والعناوين بالحبر الأحمر المذهب ، وتقع هذه النسخة في مجلدين : المجلد الأول في ٢٦٤ صفحة ، ومقاس الصفحة ١٦ × ٢٤ سم . وتشتمل كل صفحة على ١٨ سطراً ، ويقع المجلد الثاني في ٢٥٠ صفحة ، مقاس الصفحة ١٦ × ٢٤ سم . وفي كل صفحة ١٨ سطراً .

جاء في نهاية المجلد الأول ما يلي : « انتهى الكتاب الأول من كنز الولد ويليه الكتاب الثاني يتبعه وهو النهاية ، الناسخ العبد الفقير ، والمذنب الكبير ، والمقصر الكثير لله تعالى خادم أعتاب محمد وعلي وآلهما والأئمة الطاهرين أجمعين أمثال البيت المعمور ، والطور المستور ، وأمثال الوقت الذي سما فضله عن الوصف والنعت ، أهل الشفاعة يوم الحشر والنشور ، الشيخ أحمد محمد منصور من مصياف الواقعة تحت جبل الأعراف حمانا الله وإخواننا التابعين من أهل الزيغ والانحراف . كان الفراغ من هذا الكتاب يوم الأحد صباحاً » والجدير بالملاحظة أن ترتيب الأبواب في مقدمة المؤلف جاء مختلفاً عن ترتيبها في النص بالإضافة إلى ورود نقاط مكان عنوان الباب الرابع الذي أدى إلى دغم فحواه مع الثالث وكذلك بالنسبة للباب الخامس .

وفي نهاية المجلد الثاني وردت العبارة التالية : « قد وقع الفراغ من تحرير هذه النسخة في أول ليلة رجب المكرم على ممثوله وصاحبه مولى كل مؤمن ومؤمنة الصلاة والسلام ، عند وقت صلاة الصبح من سنة ١٢٠٧ من الهجرة النبوية على صاحبها الشفيع الأعظم وآله أفضل الصلاة والتحية » .

ولقد أفاد الشيخ محيي الدين حيدر مالك المخطوطة جواباً على سؤالي عن كيفية حصوله على هذه النسخة بأنّه ورثها عن والده ، ولا يعرف بالضبط متى دخلت في ملكية العائلة .

أمّا النسخة الثانية التي رمزنا إليها بالحرف (ط) فهي النسخة المصورة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التي أعارتنا إياها جامعة طهران بعد مفاوضات ومراسلات استمرت أكثر من عام ، ولولا توسط الآغا خان شخصياً لما استطعنا الحصول عليها .

والنسخة (ط) في مجلدين : المجلد الأول في ٣٣٥ صفحة ، في كل صفحة ١٣ سطراً ، وفي كل سطر ١٠ كلمات . ويقع المجلد الثاني في ٢١٥ صفحة عدد أسطرها صورة طبق الأصل عن المجلد الأول قياس ١٨ × ٢٤ سم .

جاء في نهاية المجلد الثاني : « قد وقع الفراغ من تحرير هذه النسخة في السابع عشر الثلاثاء من شهر محرم الحرام من سنة ١٣٥٣ من الهجرة الطاهرة صلوات الله على صاحبها المطابق باليوم الأول من شهر مايو من سنة ١٩٣٤ من العيسوية بخط الأحقر المذنب شيخ آدم بن الشيخ الماجد محمد علي السورتي غفر الله ذنوبهما ، بحق محمد وآله صلى الله عليهم أجمعين » . وهذه العبارة في آخر النسخة التي نسخت عنها : تمّ الكتاب بعون الله الواحد المنان كتبه أقل عبيد سيدنا طول الله عمره الشريف وغلمانه محمد بن الماجد ملا سلطان علي ابن المرحوم شرفعلي بن سلطانعلي بن حسن علي املنيروالا في اليوم الحادي والعشرين من شهر شوال من سنة ألف وثلثة مائة والعشرين من هـ . غفر الإله ذنوبه وذنوب والديه بحق معفحح صلعم » .

وعلى مايبدو إن هذه النسخة المصورة كانت في ملكية « الجمعية الإسماعيلية في بومباي الهند » ولا أعلم كيف وصلت إلى مكتبة كلية الحقوق في جامعة طهران الإيرانية التي أعطتها الرقم ف ٣٠٠٠ .

ومع أن النسخة « ط » أحدث من النسخة « ج » فقد استفدنا منها في المقابلة لأنها أصوب وأقل غلطاً من النسخة الأولى ، وبالرغم من هذا فقد لاحظنا أن ترتيب الأبواب في مقدمة المؤلف يختلف عن ترتيب الأبواب في المتن ، وخاصة عنوان الباب الرابع والخامس اللذين سقطا من المكان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المخصص لهما في المتن ، وضم محتواهما إلى الباب الثالث . وكذلك اشتمل الباب الثامن على نصوص الباب التاسع والعاشر .

كما أن الناسخ أهمل رسم الصور التوضيحية التي رسمها المؤلف في مواضعها من المتن وترك في مكانها نقاطاً أو فراغاً .

أما النسخة الثالثة التي رمزنا إليها بالحرف (م) فهي النسخة المصورة التي عثرنا عليها صدفة بينما كنّا نتفحص بعض المخطوطات المصورة التي باعها أحد الأساتذة الجامعيين للمركز الإسماعيلي في بيروت لأنه لم يستطع الاستفادة منها ، أو بالأحرى لأنّه لم يعرف مبلغ قيمتها التاريخية والعلمية .

ومن حسن الحظ أن هذه النسخة قد صورت عن النسخة التي كتبت بخط المؤلف بالذات على هامش المجالس المؤيدية وجامع الحقائق سنة ٥٥٥ هجرية. ونظراً لأهمية هذه النسخة التامة الكاملة فقد اعتمدناها أصلاً في التحقيق والمطابقة . فاستطعنا أن نخرج هذه النسخة المطبوعة بصورها التوضيحية وأبوابها المرتبة المنسجمة مع بعضها البعض .

ولقد اعتمدنا في ترقيم الصفحات على رقم الصورة التي تضم صفحتين من الكتاب . فوضعنا رقم الصورة في الأعلى ورقم الصفحة في الأسفل . ولا بد من الإشارة إلى أنّنا لاحظنا أن المؤلف قد انتقل اعتباراً من رقم ٩٢ / ١٨٢ من الكتابة على هامش المجالس المؤيدية إلى الكتابة في وسط الصفحة وعلى الهامش معاً حتى رقم ٩٧ / ١٩١ حيث عاد إلى الكتابة على هامش النصف الأول من جامع الحقائق . وكذلك لاحظنا في المصورة وجود عدة ورقات غير مكتوبة وقد أفردت للصور التوضيحية وهي من الرقم $\frac{١٤٠}{٢٧٧}$ إلى $\frac{١٤٠}{٢٨٧}$.

وجاء في نهاية النسخة (م) ما يلي : « فرغ نساخته يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولى من سنة **خمس وخمسين وخمسمائة** في دار ط × ه . من محلات ٣٤٨ع حماه الله وحرسه ، والله خير حافظاً وهو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أرحم الراحمين ، واستغفر الله وأتوب إليه وأتوكل عليه وأفوض أمري إليه هو أمانة مصونة مكنونة مخزونة لا يقف عليه من لا يستحقه . مولاي أنت عالم السرائر إني ما أردت بتأليف ذلك ونظمه إلاّ رضى وجهك الكريم تعريفاً بالتوحيد ، ودالاً على مراتب الحدود ، لا أبغي بذلك الحطام العاجل ، بل الثواب الآجل إنّك الرزّاق المتفضل المتطول » .

هذه هي النسخ الثلاث التي حصلنا عليها من كتاب « كنز الولد » فاستخلصنا منها هذه الطبعة التي نضعها موضع التداول بين أيدي العلماء والباحثين المهتمين بالدراسات الإسلامية ، قانعين بنشر المتن محققاً مضبوطاً مع شرح بعض التعابير الإسماعيلية والرموز والإشارات بقدر الجهد والطاقة ، متجاوزين عن الإشارة في الهوامش إلى بعض الأخطاء اللغوية والإملائية لعلمنا بأن الإسماعيلية يعتبرون اللغة وسيلة لا غاية .

وفي نهاية المطاف لا بد لي من توجيه كلمة شكر وامتنان لفضيلة الأستاذ محمد تقي دانش بزه مدير مكتبة جامعة طهران لتفضله بإعارتي النسخة المصورة « ط » جزاه الله عني وعن العلم كل خير .

ولا يسعني إلا الاعتراف بفضل « المعهد الألماني للأبحاث الشرقية » في بيروت الذي قرّر أن يكون هذا الكتاب من مطبوعاته . واذكر على وجه الخصوص فضل الدكتور « البرت ديتريش » المشرف على « النشرات الإسلامية » والدكتور « فريتس شتيبات » مدير المعهد السابق في بيروت ، والمدير الحالي الدكتور « اسطفان ڤيلد » ، فلهم جميعاً مني أعمق الشكر وأجزله .

بيروت في ٣ ـ ٦ ـ ١٩٧٠

مصطفى غالب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين[1]

٧٩/١٥٦ | الحمد لله نور النور، ومدبر الأمور، ومقدر دهر الدهور، العالم بخفيات الصدور ٣
لا من شيء أبدعه[2] ولا من أصل اخترعه[3]، ولا من شيء تقدم عليه، ولا
بشيء يضاف إليه، ولا لشيء يستعان به، أول الأعداد[4]، فرد الآحاد،
مبدأ الوجود[5] ومنبع الجود، ومنشيء الحدود، الشاهد المشهود، النافي ٦
عن ذاته الإلهيّة للمبدع المعبود، من لا تجاسره الخواطر، ولا تحويه المشاعر،
ولا تدركه البصائر، المنزّه عن الأسماء والصفات، والبريء عن الأشباه في
جميع الحالات، والمتعالي عن مشاكلة أهل الأرضين والسموات؛ إذ ٩
لا ضدّ له ولا ند، سبحانه، وجل جلاله وعلا مُلكه، وعزّ سلطانه،

---

١ أستعين : نستعين ط .

٢ أبدعه : الإبداع والابتداع : هو عند الحكماء إيجاد شيء غير مسبوق بمادة ولا زمان . بدع — بدعاً الشيء : اخترعه وصنعه لا على مثال . الإبداع والانبعاث : استعاضة عن نظرية الفيض .

٣ اخترع الشيء : أنشأه، ابتدعه، ويقال « اخترع الله الكائنات » أي ابتدعها من العدم .

٤ أول الأعداد : الواحد في وجود الأعداد مترتباً أولا ثابتاً بكونه نهاية أولة وعلة أولى بها يتعلق وجود ما سواه من الأعداد متوجهاً فيه نحو النهاية الثانية، وعلة أولى بها يتعلق وجود ما سواه من الأعداد .

٥ مبدأ الوجود : المبدأ : الأصل، السبب الذي لولاه لما وجد سواه، وعلة أولى بها يتعلق وجود ما سواه من الموجودات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأشهد أن لا إله إلاّ هو شهادة من عرف حدوده حداً حداً[1] ، وسلب عنهم الإلهيّة وجردها عنهم[2] ؛ له القبل والبعد .

٣ وعرفه بجليل صنعته ، وعظيم حكمته ، فنزهه ، ولم يسه عنه بأن يتعداها ، وأقام ميزان عدله في مشيئته لإثبات التوحيد ، وتصديق الوعد والوعيد ؛ من أصل الأول في الابتداء في عالم الأمر والخلق ، ما به إلى ذلك اهتداء .

٦ وأشهدُ أن محمّداً عبده ورسوله الأمين ، وصفيّه المكين ، أفضل الأنبياء عنده ، الممنوح أنواره وسعده ، صاحب المعجزات الباهرات ، والآيات البينات ، محيي العظام الرفات ، المنقذ أهل[3] الغرق في الجهالات ، المتغطمطين ٩ في الظلمات ، الآتي بكلمة الإخلاص ، المنقذ بها حين لات مناص ، الموحد المبدع ذات الذوات ، أصل الوجود والبركات ، بديع الصالحات ، ومسدي الحسنات . فصلى الله عليه من نبي أكمل الله به الديانات ، وختم به النبوات ، ١٢ وقمع به أصل أهل الضلالات ، ودمغ ببرهانه ذوي الشبهات ، وأنار به السبل في جميع الجهات . وعلى وصيه وابن عمه ، المفرج كربه وهمه ، سيف الله المسلول ، وخيرته المقبول ، المعجزة الباهرة ، والقدرة القاهرة ، لسان صدق ١٥ جده إبراهيم صلى الله عليه وسلم . نبأ الله العظيم ، والسهم العلي الكريم ، الذي تحركت المتحركات لظهوره ، وسرت العناية الإلهية لحضوره ، ودارت لسببه الأفلاك ، وسبحت الأملاك ، صالح المؤمنين ، وأمير المتقين ، وقائد ١٨ الغر المحجلين ، حوض الكوثر ، والقمر الأزهر ؛ فلمّا ظهر بهر ، وقام فقهر ،

---

١ يعني عرف حدود التوحيد المعروفة بالدعوة الإسماعيلية وهم : السابق والتالي والناطق والأساس وهؤلاء الأصول الأربعة .

٢ من صميم التوحيد الإسماعيلي سلب الإلهية عن كافة الحدود .

٣ أهل : سقطت في ج .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأعزّ الإسلام ونصر ، وأمده الله بلواء حمده والظفر ، فكمل به الدين ، وأباد به الملحدين ، وأيّد به الموحدين ، المثل المضروب للأولين والآخرين . فصلى الله عليهما وعلى ذريتهما الطيبين ، وعترتهما الطاهرين ، الأئمة المنتجبين[1] آل طه ويس ، وعلى صاحب العصر والزمان ، وولي الفضل والإحسان ، الإمام الطيب أبي القاسم أمير المؤمنين[2] وسلم تسليماً كثيراً .

أمّا بعد : فإن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمُنكر والبَغْي يَعظكُم لعلّكم تذكرون . ولا عدل إلاّ عدل الله ، ولا إحسان إلاّ فضله وكرمه وجوده المؤيد به حدوده ، والمجري به سعوده ، لإظهار النفوس من العدم إلى الوجود ، وإفاضة الجود على المسترشد المحدود . كما قال الحكيم (ع م)[3] : أفضل الحسنات احياء الأموات . فحق ذوي القربى طاعتهم ، والالتزام بولايتهم ، والتمسك بحبالهم[4] والمعرفة لمراتبهم ، وتقويم النفوس بمحبتهم ، وتتميمها بمواصلتهم ، وإكمالها بقوانين

---

١ يعني الأئمة المنصوص عليهم من صلب الإمام علي بن أبي طالب .

٢ الإمام الطيب أبو القاسم : يذكر التاريخ أن الخليفة الفاطمي الآمر قبل مقتله بقليل أنجب طفلا في اليوم الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وسماه الطيب ، وكناه أبا القاسم وكتب سجلات البشارة بهذا المولود والنص على إمامته ، ولما قتل جماعة من الإسماعيلية النزارية الخليفة الآمر باحكام الله في الثاني من ذي القعدة من سنة أربع وعشرين وخمسمائة استتر الإمام الطيب ، وما زال مستوراً حتى الآن والإمامة بالنسبة لفرقته « المستعلية » جارية في الإمام الطيب أبي القاسم وعقبه نائب الغيبة الداعي المطلق .

٣ الحكيم : يقصد به الإمام أحمد الوفي صاحب رسائل إخوان الصفاء .

٤ لأنهم حسب المفهوم الإسماعيلي هم أولو الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم ، لقوله (صلعم) : إني قد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً : الثقلين ، وأحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

علومهم ، وتنويرها بمعاني ألغازهم ، | وتجريد توحيد الله[1] تعالى بعلو رتبهم ٨٠/١٥٧
ودرجهم[2] ومنازلهم . إذ لا نجاة ولا فوز إلاّ بشفاعتهم ، ولا شفاعة إلاّ
بمواصلتهم ، ولا خلاص إلاّ باتباعهم فيما شرعوه وشرحوه ، ووضعوه
ورمزوا به وصرحوه ، ولا بلوغ إلى ذلك إلاّ بشق الأنفس، والسعي والطلب
والتعلق بالمعلم الصادق لإدراك المعاني والحقائق ، ولا وجود لمعلم لا يفيد
كما لا وجود لمتعلم لا يستفيد . كما أمر الله تعالى ورسم به في كتابه العزيز وحتم
بقوله : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ﴾[3] . وقال: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ
نَفْساً إلاّ وُسْعَها ﴾[4] . وقال : على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره .
وقال : ﴿ وَما عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا
عَلَّمَكُمُ اللهُ ﴾[5] . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نقص مال من
صدقة . وقال صلى الله عليه وسلم : طلب العلم فريضة ونشره في مستحقّه
فريضة . وقال صلى الله عليه وسلم : من أعطى الحكمة غير أهلها فقد ظلمها ،
ومن عدل بها عن مستحقّها فقد ظلمه . وقال صلى الله عليه وسلّم : إن
لكل شيء زكاة وزكاة العلم نشره . وقال صلى الله عليه وسلم: إذا ظهرت
البدع في أمتي ولم يظهر العالم علمه فعليه لعنة الله . وقال صلى الله عليه
وسلم : لا يجب على الإنسان أن يضع نفسه في غير موضعها .

---

١ يمكننا أن نلخص توحيد الله تعالى بالنسبة للإسماعيلية في قولهم : إن الله الذي لا إله إلا هو وبطلان كونه تعالى ليسا وبطلان كونه أيساً وإنه تعالى لا ينال بصفة من الصفات وأنه لا يجسم ولا في جسم ولا يعقل ذاته عاقل ولا يحس به محس وأنه تعالى لا يعرب عنه بلفظ قول ولا بعقد ضمير ؛ توحيد : توحيدهم ج وط .

٢ درجهم : درجاتهم ج وط .

٣ سورة ٧/٦٥ .

٤ سورة ٢٨٦/٢ .

٥ سورة ٤/٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واعلم هداك الله لأوضح المسالك ، ونجاك عن المهالك أن لكل رابع من الائتماء[1] قوّة وتأييداً ، واستطالة وتشديداً . ولكل سابع[2] أعظم وأعلى وأقوم يقوم مقام النطق ؛ ونحن في دور سابع الأشهاد المتوجه نحوه ملاحم آبائه وأجداده ، والإشارات والرموز في أسانيدهم ، والبشارات الموصوفة بالبركات ، والنعم والخيرات ، بظهور العلوم والمعجزات ، وإشراق النور ، وينبوع الأنهار ، وازهرار الأشجار بالخضرة[3] والنوّار ، حتى تتصل أنواره بنور القائم عليهما السلام على أتم تمام ، وأحسن نظام .

ولمّا تبلبلت الألسن بالكفر والنفاق ، والتمويه والشقاق ، بالطعن على الحدود[4] ، والكفر بالمعبود ، عزم العبد الضعيف المسكين الحنيف ، المستميح من تأييد مولاه ومواده وسناه ، أن يجمع مجموعاً بعون الله ومشيئته ونظره ورحمته ، وهو يتوسل إليه بحجبه النورانية ، وأسمائه[5] الروحانية ، وصفاته النفسانية ، وبولي العصر والزمان ، ولي الفضل والإحسان ، أن يثبته على طاعته ومرضاته ، ويوفّقه للسداد في أغراضه ونيّاته ، ولا يؤاخذه في جميع ما جمع ، وإظهار ما شفع ، ويغفر له ، ويرحمه ، إنّه قادر على ذلك إن شاء الله . ويلفظ فيه من غرائب الحكم المكنونة ، ومعاني العلوم

---

١ الأئمة الذين يتمون الأدوار الصغيرة والمتم هو السابع .

٢ سابع : أي الإمام السابع في الأدوار الصغيرة . والدور الصغير هو الفترة التي تقع بين كل ناطق وناطق ويقوم فيها سبعة أئمة . والسابع قوته تكون معادلة لقوة الأئمة الستة الذين سبقوه في الدور نفسه بمجموعهم .

٣ بالخضرة : بالخضر ط .

٤ يعني بالطعن على الحدود الدينية وهم : الإمام ، الحجة ، الباب ، داعي الدعاة ، الخ . . .

٥ يقال إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً وأعظمهم المبدع الأول ، الملك ، القدوس ، السلام . ولهذه الأسماء مراتب واعداد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصونة ، في غضون أوضاع الحدود ، طالباً بذلك الثواب ، والفوز يوم المآب . وإن كان العبد الضعيف أدون المؤمنين حداً ، وأقربهم في العلم درجة وعهداً ، كما قال تعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَليمٌ﴾[1] ولا حول لي[2] ولا قوّة في ذلك إلاّ بالله العلي العظيم ، هو وليّي وناصري ومعيني ، وبه أستعين . فما جئت فيه من صواب[3] فمن لحظاته وبركاته وتأييده ونظراته . وما سهوت عنه أو غفلت منه ، فمن نقص صورتي ، وسَمْت[4] بصيرتي ، فاستغفره فهو المتجاوز عن الزلل والخطأ والخطل ، فلست معصوماً[5] إلاّ به ، ولا خلاص لي إلاّ بأسبابه .

وقد قال الله تعالى : ﴿إنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ ويغفر ما دون ذلك﴾[6] وهو تعالى المحيط بسريرتي ، والمطّلع على مكنون عقيدتي . إنّي له عابد وشاكر وحامد ، ومجرد وموحد ومنزّه وقاصد . لا أعبد سواه ، ولا أتأله | إلاّ إياه ، من حيث ظهر فبهر[7] وبان ، وما استتر ، وخفي عمن نظر ، له الحمد على ما أولاه ، ولمملوكه من جوده العفو بما يتولاه ، والمملوك أحد الأجراء في عباده ، والخدام في بلاده ، يثير من الحرث ما قدر ، ويزرع في النسل على ما أُمر ، لا يتعدى طوره ، ولا يتجاوز حدّه ، يسعى[8] في خلاص ما خلص لـه من روباس الطبيعة الظلمانية ، واستعادة ما استعاد له إلى الصعود إلى الأرواح الروحانية ، والمساكن القدسانية ، كما قال الله تعالى : ﴿كما بَدَأنا أوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إنّا كُنّا فاعِلينَ﴾[9]

٨٠/١٥٨

١ سورة ٧٦/١٢ .
٢ ولا حول لي : ولا حولا ج .
٣ صواب : أصواب ج .
٤ وسمت : وسمة ط و م .
٥ الإسماعيلية لا يمنحون العصمة إلا للأئمة ولمن يعصم بواسطتهم بعد أن يترقى في المراتب والحدود .
٦ سورة ٤٨/٤ .
٧ ظهر بهر : فهر ط .
٨ في خلاص ما خلص له من : من التورط في روباس لأن في ذلك خلاص له ج وط .
٩ سورة ١٠٤/٢١ .

ووسمته بكتاب كنز الولد[1] ، وجعلته أبواباً مفننة ، وفصولاً مبيّنة ، أربعة عشر باباً والله الموفق للصواب :

الباب الأول : في القول على التوحيد من غير تشبيه ولا تعطيل .

الباب الثاني : في القول على الإبداع الذي هو المُبْدَعُ الأول .

الباب الثالث : في القول على المنبعثين عن المبدع الأول معاً وتباينهما .

الباب الرابع : في القول على المنبعث الأول القائم بالفعل . وما ذلك الفعل ؟

الباب الخامس : في القول على المنبعث الثاني القائم بالقوّة . وما سبب ذلك ؟

الباب السادس : في القول على الهيولى والصورة وما هما في ذاتهما وسبب تكثفهما وامتزاجهما ؟

الباب السابع : في القول على ظهور المواليد الثلاثة : المعدن والنبات والحيوان .

الباب الثامن : في القول على ظهور الشخص البشري أولاً ، وفي كل ظهور بعد وفاء الكور .

الباب التاسع : في القول على ظهور الشخص الفاضل من تحت خط الاعتدال.

الباب العاشر : في القول على الارتقاء والصعود إلى دار المعاد إن شاء الله تعالى .

الباب الحادي عشر : في القول على معرفة الحدود[2] العلوية والسفلية .

الباب الثاني عشر : في القول على الثواب والارتقاء في الدرج إلى الجنة الدانية والعالية إن شاء الله .

الباب الثالث عشر : في القول على اتصال المستفيد بالمفيد وارتقائه إليه واتصاله به .

الباب الرابع عشر : في القول على العذاب بحقيقته وكيفيته نعوذ بالله منه .

---

١ كنز الولد : خزينة العلوم والفوائد ج وط .

٢ في القول على معرفة الحدود : في القول على الثواب ج .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البَابُ الأوّل

في القول على التوحيد[1] مما وضعته الحدود لأنّه أول ما افترض الله سبحانه على عباده بقوله ع ج : ﴿وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاّ ليَعْبُدونِ﴾[2] . وأجل العبادات توحيده وتمجيده وتقديسه كما قال الحكيم[3] : إذا كان الله أعظم من كل شيء ، فالمعرفة به من أجل العلوم .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن معرفة الله تعالى فقال : تدلك الصنعة على صانعها ، والفعل على فاعله . لذلك واجب على كل عالم أن يعرف الصنعة على حكم النظر لا على حكم التقليد ، ويجب على كل عارف[4] أن يعلم بأن الوجود ينفي الشك والريبة ، والعدم يثبت البعد[5] والحيرة . فالوجود ما دلّ عليه القلب والنظر ، فمن سلك طريق التوحيد على حكم النظر

---

١ في القول على التوحيد : في القول على التوحيد من غير تشبية ولا تعطيل ج و ط .

٢ سورة ٥١/٥٦ .

٣ من الملاحظ ان دعاة وعلماء الإسماعيلية يستعملون هذه العبارة (الحكيم ع. م) في أكثر كتب الحقيقة دون أن يشيروا إلى صاحب هذا الاسم ، ولا إلى الشخصية المقصودة بهذه العبارة ، وباعتقادي أن المقصود فيها هو أحد الأئمة المستورين ، ونرجح بأن المعني بهذا القول الإمام المستور الوفي أحمد (١٩٨ – ٢٦٥ هـ) صاحب رسائل إخوان الصفاء .

٤ يعني بكل عارف أولئك الذين تكشفت لهم روح الروح أو نفس النفس وجواهرها العرفانية الباطنية .

٥ يريد البعد عن التأييد والمؤيدين وعن الارتشاف من ينابيعهم الروحانية السرمدية .

فقد حدد وتاهَ وأبطل . ومن سلك طريق التوحيد على حكم القلب والانفراد، فقد أعدم وعطل .

وقال عالم الأنبياء : نظرنا وعلمنا ، فأثبتنا ما نظرنا بما علمنا ، فدلنا خاتم الأنبياء وسيد الأصفياء أن الصانع يعرف بصنعته ، والحكيم يوصف بحكمته ، والعالم يميز بعلمه ، وهو صلوات الله عليه وآله أوضح الأنبياء برهاناً ، وأعلاهم في التوحيد شاناً ، وذريته الأخيار الأبرار الأطهار يقومون مقامه وينوبون منابه ، في كل زمان منهم هاد[1] مرشد ، وصفي وموحد . كما قال القاضي الأعظم يُروى عن مولانا الباقر[2] قوله : إن الله تعالى جعل في كل زمان فترة من أهل العلم بقية يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون على الأذى ، ويبصرون بنور الله من العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، ومن تائه ضلال قد هدوه ، يبذلون نفوسهم دون هلاك العباد ، فما أحسن آثارهم في البلاد .

٨١ / ١٥٩

وقال صاحب كيفية الطلب[3] : وكم من عباد لله يلقون كلاليبهم فيستخرجون بها من قعر جهنم أولئك الذين فضلهم الله ورفعهم في العلم درجات . وروي أن كميل بن زياد سأل مولانا أمير المؤمنين مولانا علي بن أبي طالب (صلعم) عن توحيد مجرد بلسان صدق مفرد ،

---

١ هاد : يقصد الشخص الملهم المؤول الذي يكشف جواهر الصورة الإنسانية وهومثال الصورة الإلهية اللامعلومة ، الذي يقيم التوازن بين الباطن والظاهر ، وهو الإمام بنظر الحكمة الإلهية الإسماعيلية .

٢ يعني الإمام محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع.م (٥٧ – ١١٤ هـ) . ج وط صلى الله عليه

٣ يريد صاحب رسالة كيفية الطلب لمن أراد التخلص من حبائل الشيطان لبعض دعاة الحق . انظر المرشد إيفانوف ص٣٨٢والفهرسة للمجدوع طبع إيران (١٠٤–١٠٦) ج وط رضي الله عنه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال : ويحك يا كميل من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ، ومن أشار إليه فهو ثنوي ، ومن نطق به فهو جاهل ، ومن سكت عنه فهو غافل ، ومن ظن أنّه واصل فليس له حاصل[1] ، وكلّ ما ميزتموه[2] في أوهامكم في أصدق معانيه[3] فمصروف عنه مردود إليكم ، مصنوع محدث . وقال[4] :

العجز عَن درك الإدراك ادراك والبحثُ عن سر كنهِ الذات إشراك
والكشفُ عن مستجنات الغيوب عمى علَيهِ مِن ظُلمات العجز أفْلاك

وروي أيضاً أن رجلاً يمانياً سأله فقال : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ فقال : نعم . أفأعبد ما لا أرى ؟ قال : وكيف تراه ؟ قال منه السلام : لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن[5] تدركه القلوب بحقائق الإيمان ، قريب من الأشياء غير ملامس ، بعيد منها غير مباين[6] متكلم بلا روية ، مريد بلا همة ، صانع بلا جارحة ، لطيف لا يوصف بالخفاء ، بصير لا يوصف بالحساسة[7] ، رحيم لا يوصف بالرقة ، تعنو الوجوه لعظمته ، وتذهل القلوب من مخافته .

.....

١ حاصل : أي ما بقي وثبت وذهب ما سواه ، والمقصود ليس له إمام لأنه حاصل الكل ، ومجمع الأنفس ، وروح الروح .

٢ ميزتموه : أي عرفتم حقيقته الباطنية القدسية وحدوده الروحانية والجسمانية الدينية .

٣ أصدق معانيه : التي هي الصورة الإلهية لأنه بنظر الحكمة الإلهية الإسماعيلية ليس الله نفسه ، ولكنه لا ينفصل عنه .

٤ تنسب هذه الأبيات للإمام علي بن أبي طالب (ع. م) أساس أئمة الدور السادس . قال : وقال صلوات الله شعراً ج و ط .

٥ ولكن : وكن ج .

٦ مباين : مبائن ط .

٧ بالحاسة : بالحساسة ج .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال سيدنا المؤيد[1] قدس الله روحه في بعض خطبه : اللّهم يا من وقع اعترافنا بصدق ما قاله في حكيم ذكره ، إذ يقول وقوله الحق : ﴿ وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[2] ، إنّا نسألك المسامحة لمن هو في رقة العبودية في مضيق الانحصار ، إذ تناول ذكرك بغير ما أنت أهله بحكم الاضطرار ، فإنّما هو ذنب مشفوع بالاستغفار .

فقد صحّ واتضح بهذه الألفاظ الصادرة عن تلك الألسن الصادقة التي هي بالحق والحقائق ناطقة ، ان الغيب سبحانه وتعالى جلّ جلاله لا يقال عليه باسم من الأسماء ، ولا يوصف بما به مبدعاته تدعى ، ولكن لا بد من استعارة الأسماء الحسنى كما قال تعالى : ﴿ ولله الأسْماء الحُسْنى فادْعُوهُ بِها ﴾[3] ففعلنا ما أمرنا ، وقصدنا ما به عرفنا ، فتوحيده معرفة حدوده[4] وسلب الإلهية عنهم له تجريده[5] ، وسلب الأسماء والصفات عنه لهم تنزيهه ، فهو

---

١ المؤيد : يريد داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي الذي عرف في تاريخ الأدب العربي بمناظرته مع أبي العلاء المعري حول تحريم أكل اللحوم . جاء من شيراز في فارس إلى مصر مقر الخلافة الفاطمية وأقام بها زهاء ثلاثين عاماً ، عمل خلالها على نشر العقائد الإسماعيلية ، فكان له تأثير كبير في الحياة العقلية ، وفي القاهرة أنشد المؤيد أكثر قصائد ديوانه ، وألقى مجالسه التي بلغت الثمانمائة مجلس . قيل إنه ولد سنة ٣٩٠ هـ وتوفي في القاهرة سنة ٤٧٠ هجرية وصلى عليه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (أعلام الإسماعيلية مصطفى غالب ٥٩٦ – ٥٩٨ ، والمرشد إلى الأدب الإسماعيلي إيفانوف ص ٤٧) .

٢ سورة ٩١/٦ و ٧٤/٢٢ و ٦٧/٣٩ .

٣ سورة ١٨٠/٧ .

٤ مذهب الإسماعيلية في التوحيد أقيم على دعائم مستمدة من نفي الصفات وسلبها عن الله لأنه أصدق ما يعتمد عليه في التوحيد والتمجيد ، وإن الله بالعرف الإسماعيلي لا يعقل ذاته عاقل ، ولا يحس به محس ، وتوحيده معرفة حدوده العلوية والسفلية .

٥ التجريد : باعتبار أن الله حسب الاعتقاد الإسماعيلي متعال عن المراتب كلها كمالا ونقصاناً ، ووحدة وكثرة ، ولا مثل له يتعلق بتجريد المجردين فيخرج عن نعوت مبدعاته إذا لم يجرده =

تعالى لا ينفى ، ولا يعطل ، ولا يقال عليه ما يقال على مخترعاته ، ولا يبطل .

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : إن أول الديانة لله تعالى معرفته ، وكمال معرفته توحيده ، ونظام توحيده نفي الصفات عنه ، وإقامة حدوده « بشهادة العقول إن كل صفة وموصوف مخلوق »[1] وبشهادة الصفة والموصوف جميعاً ؛ إن الحدث الممتنع من الأزل منفي عنه سبحانه . وقال : الكلام فيما لا تدركه جهل ، والمناظرة فيما لا يبلغه العقل خطأ .

| وقال صاحب الرسائل صلوات الله عليه[2] : الواجب تنزيه الباري « عما ٨١/١٦٠ يوصف به العقل والنفس لما كانا من مخترعاته ومخلوقاته وإنه سبحانه معللهما »[3] وسبب وجودهما لا إله إلاّ هو كل له عابدون ، فبالبرهان إن العقل والنفس لا يدركان صفته ، وإنّما يقال بالتقريب ما يتقرر في العقول وتسكن إليه النفوس . لا بخفائه استتر ، ولا بظهوره كظهور مخلوقاته ظهر ، فهو مستور بنوره كظهوره بنوره وإشراقه ، لأن نوره بهر الأنوار ، وانحصرت عن رؤيته الأبصار ، وحارت عن كنه صفته الأفكار . كل ذلك لجلالته وعظمته وإشراقه واحاطته بمخلوقاته وقدرته عليها ، وإنّها كلّها في قبضته وغير خارجة من قدرته ، وكيف تجد المخلوقات السبيل إلى وصف

.....

= المجردون ، بل هو تعالى وتكبر جرد المجرد أو لم يجرد لا مثل له ، إذ لو كان لكانا اثنين ، ولكانا من حيث كونهما اثنين يوجد في كل واحد منهما ما يباين به الآخر ، وبه تقع الاثنينية ، والله تعالى في ذروة لا يجوز أن يكون له ضد ولا مثل .

١ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين من ج و ط .

٢ صاحب الرسائل : يريد صاحب رسائل إخوان الصفاء الوفي أحمد (١٩٨ – ٢٦٥ هجرية) .

٣ سقطت الكلمات التي بين قوسين من ج و ط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خالقها إلاّ بما دلها عليه ، ودعاها بما علمها من العبادة له إليه، لا إله إلاّ هو ربّ العالمين .

قال سيدنا المؤيد أعلى الله قدسه في بعض خطبه ومجالسه قولاً يدل به على حقيقة التوحيد منه قوله : وأشهد أن لا إله إلاّ الذي تقدس عن أن يكون متى ، ولا بأيدي الأوهام متناولاً ، فالوهم إذا سافر إليه تاه في عرض الفلاة ، وإذا قعد عنه قعد معطلاً مبطلاً .

وقال في موضع ثان : فسبحان من تصرف الخطرات فيه محال ، وصرفها عنه كفر وضلال . وقال أيضاً : اللّهم يا من يجل عن أن يقال يا من ، فيكون مشبهاً ، وممتنع أن لا يقال يا من ، فيكون تعطيلاً وعمى ، فالفكر عنه على تصريفه مصروف ، والوهم بين الحركة والسكون موقوف ، والطريق ما بين النفي والإثبات مخوف .

وقال أيضاً : الحمد لله الذي بَعُدَ فعزّ توحيده أن ينال بمراس الفكر ، فالبصيرة عن إدراكه بحقيقته كالبصر مبدع الخالق ، البارىء ، المصور « وهو المنزّه عن صفة الخالق البارىء المصور »[1] .

وقال : الحمد لله الذي لا يدركه من لا تدركه الأبصار، ولا يحصره من لا تحصره الأفكار ، الذي دون تناوله للأفكار أستار ، أو لإقدام الأوهام زلل وعثار ، فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة ، ولا يوما إليه بالإشارة مكيفة ، ولا يقال عليه حيّاً ، ولا قادراً ، ولا عالماً ، ولا عاقلاً ، ولا كاملاً ، ولاتاماً ، ولا فاعلاً ، لأنّه مبدع الحي ، القادر ، العالم ، العاقل ، التام ، الكامل ، الفاعل ؛ ولا يقال له ذات ، لأن كل ذات حاملة للصفات ،

---

١ سقطت الكلمات التي بين قوسين من ج .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كالجسم وأعراضه التسعة ، والنفس وصفاتها[1] ، ولا يقال إنّه جوهر ، لأن الجوهر ينقسم إلى الجسم ، وإلى غير الجسم ، ولا يقال عرض لأن العرض محمولاً مقبولاً ، ملازماً وزائلاً . ولا يقال إنّه علّة ، لأن في المعلول بعض آثار العلة . ولا يقال إنّه قديم ، لأن القديم شاهد على هويته بالحدث . كما قال الحكيم حميد الدين قس[2] : الأشياء تنقسم على ثلاثة أقسام : أولها وأشرفها وأكملها ما يكون لا بزمان ويختص ذلك باسم الإبداع . وثانيها الذي هو أوسطها ما يكون مع الزمان ويختص ذلك باسم الانبعاث . وثالثها الذي هو دونها وأخسها ما يكون بزمان ويختص ذلك باسم الاحداث . وكان ما يكون بزمان هو الفعل الصادر عن علّة فاعلة معوقة عن فعلها ، إمّا من جهة ذاتها بكونها مشوبة بما يعوقها ، أو من جهة المادة التي فيها تفعل بامتناعها عن القبول دفعة ، أو كليهما ، وذلك يختص بعالم الكون والفساد ، وهي بعد المكان والزمان . فالحي ، القادر ، القديم ، العالم ، هو الموجود الأول . ولا يقال إن المتعالي سبحانه شيء لا كالأشياء ، فالشيء يقتضي شيئاً شيئه ، ومن قال لا أعرفه إلاّ بأنّه هو ، فذلك إشارة إلى معلوم

٨٢ / ١٦١

---

١ صفات النفس في العرفان الإسماعيلي تكون نفس أزكى من نفس ، ونفس أفخر من نفس ، والنفس الإنسانية جوهر من نفس كلية . وتختلف من حيث المرتبة وحصول صور المحسوسات والمعقولات الموجبة للأعمال المفروضة والسنن الدينية المنتهية إلى استفادة معرفة العقول الإبداعية التي بها ديمومتها وسرمديتها ، ومن حيث تمييزها للخير والشر والباقي من الفاني .

٢ يريد حجة العراقين صاحب المؤلفات الفلسفية الكثيرة أحمد حميد الدين الكرماني تلميذ الفيلسوف أبي يعقوب السجستاني . استدعاه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عندما اشتد وطيس المعارك الدينية وقامت الدعوات الجديدة إلى القاهرة فألقى المجالس والمحاضرات في دار الحكمة وصنف البحوث والرسائل التي ناقش فيها المنشقين القائلين بألوهية الحاكم بأمر الله . توفي في القاهرة سنة ٤١١ هجرية . أعلام الإسماعيلية مصطفى غالب ص ٩٩ وعيون الأخبار للداعي إدريس عماد الدين ص ٤٥ ج ٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما ، ومن قال إن أفعال العبادة ترضيه وتسخطه ، فقد أجرى عليه الحالات والاستحالات لاستحالته من السخط إلى الرضى عند وجوب الطاعة ، واستحالته من الرضى إلى السخط لوجوب المعصية ، وأفعال العباد راجعة عليهم . فالمبدع الحق متعالي عن ذلك لقوله تعالى : ﴿ [مَنْ أحْسَنَ] فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أساء فَعَلَيْها وَما رَبُّكَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبيدِ ﴾[1] . فهذه سمات المحدثات ، ومبدعها متعال عنها ، لأن المبدع لا يشبه شيئاً ممّا أحدث . ولو أشبه شيئاً منها بوجه من الوجوه لكان مُحْدَثاً لا مُحْدِثاً ، غير أنّا علمنا الخلقة كونها بعد أن لم تكن فعلمنا أن لها مبدعاً تعجز عقولنا عن دركه تعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الدرة اليتيمة[2] : دليله آياته ، ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تمييزه من خلقه وظهوره بالشيء إقباله عليه ، وثباته باتصاله إليه يتجلّى[3] ولا يتحالى[4] ويتدانى[5] ولا يتدلى ، علوه من غير توقل ، ومجيئه من غير تنقل ، فمنك يعلمك ، وعنك يفهمك .

قال سيدنا حميد الدين : وهو تعالى من هو من العلاء في ذروة ، لا يجوز أن يكون غيره يسبقه ويتأول عليه فيكون هو دونه . فهو من فوق

---

١ سورة ٤١/٤٦ ولكن المؤلف اقتبس (من أحسن) من آية أخرى فوضعها بدلا من مطلع الآية (من عمل صالحاً) .

٢ الدرة اليتيمة : تنسب للإمام علي بن أبي طالب ع. م .

٣ التجلي : الظهور بالحقيقة واليقين ، أو الكشف والمكاشفة العرفانية بالرؤية العقلية والسمع الحسي الباطني .

٤ المقصود أنه لا يحل في شيء كما يعتقد أصحاب « مذهب الحلول » .

٥ يتدانى قرباً بجوهره الحقيقي عندما يتأمل المكاشف نفسه في روح الروح تصبح الروح موضوع تأمل روح الروح وتثبت روح الروح في محلها ومكانها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نهاية المراتب[1] في الجلال ، والعظمة ، والكبرياء ، والثناء ، والقدرة ، والبهاء ، على أمر يضيق مجال العقول في الإحاطة ، تعالى الله علواً كبيراً ، والذي يكون بهذه المثابة فلا يكون له ضد ولا مثل ، فسبحانه ولا إله إلاّ هو جل أن يكون له فيما هو هو ضد أو مثل .

وقال الشيخ الحميد السجستاني[2] في إثبات النبوات : فسبحان المتعالي عن درك الصفات ، وإحاطة تصاريف اللغات ، لا تلحقه أحكام التبديل ، ولا اختلاف التحويل ، ولا تعتوره همم الأحلام ، ولا حضور رويات الافهام ، ولا جولان خواطر الأوهام . لا ينال بحس ، ولا ينعت بجنس ، ولا يخطر في الظنون ، ولا يُرى بالعيون ، ولا يوصف بالحواس ، ولا يدرك بالقياس ، ولا يشبه بالناس . المنزّه عن ضد مناف ، أو ند مكاف ، أو شبه بشيء ، لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ، المتعالي عن شبه المحدودين ، ذوات الموجودين ، الذي تحيرت الأوهام في نعت جبروته ، وحصرت الافهام عن صفة ملكوته ، وقصرت الألباب عن استشعار معرفة ديمومته ، وكلت الأبصار عن إدراك كيفية عظمته ، الدال بتدبير التراكيب ، وتقدير التراتيب ، في السقف المرفوع ، والمهاد[3] الموضوع ،

---

١ أي المراتب العلوية والسفلية والحدود الروحية والدينية لأنها تحت اختراعه ، فهو تعالى لا بجسم ولا في جسم ولا يعقل ذاته عاقل ولا يعرب عنه بلفظ قول ولا بعقد ضمير ولا يحس به محس . نهاية : النهايات ج و ط .

٢ هو أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجزي أو السجستاني المولود في سجستان سنة ٢٧١ هجرية له مؤلفات عديدة في علم العرفان الإسماعيلي ومن أشهر كتبه كتاب (النصرة) الذي عارض فيه كتاب الإصلاح الذي وضعه أبو حاتم الرازي في الرد على آراء الداعي النسفي التي وردت في كتابه المحصول وبذلك انتصر للنسفي على الرازي . قتل في تركستان سنة ٣٣١ هـ .

٣ المهاد : المهد ج ط . ورد هذا النص في مقدمة كتاب اثبات النبوات للسجستاني .

والإنسان المصنوع على أن ذلك محدث مبدع ، مخالف لمبدعه ، الذي ليس له مثل ، ولا شبه ، لقوله تعالى : ﴿ إذاً لذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ سُبْحانَ اللهِ عَمّا يَصِفُون ﴾[1] . غير ذي ضد ، لأن الضد إنّما يضاده مناف ، ولا بذي ند ، لأن الند إنّما يناده مكاف ، دل على الهوية بخلقه وآثاره ، وعلى أسمائه بأنبيائه وأخياره ، فليس للعقل في نيل أسمائه مجال[2] ، إذ تشبيه المبدع بمبدعاته محال . جل عن أن يحده تفكير ، أو يحيط به تقدير ، أو يكون له كفواً ونظيراً . ونشهد شهادة ، هي فاتحة الإحسان ، ومرضاة الرحمن ، أن لا إله إلاّ الله الذي لا يبلغ مدحه قائل ، ولا ينقص خزائنه نائل .

٨٢/١٦١ وقال سيدنا | حميد الدين[3] : من حيث هو هو ، لا صفة له ولا نعت له ولا حد ولا شبه ، ولا قرين ، ولا وزير ، كما ينعت من كان في عالم الجسم والعقل ، وهويته ليست بهوية يمكن أن يكون لغيره من مبدعاته مشاركه فيها ، إذ لو أمكن أن يشاركه شيء فيها من بعض الجهات لوجب أن يكون ذلك الشيء مبايناً له من الجهة التي لم تقع المشاركة فيها ، وإذا كان التباين موجوداً لكل منهما بما يختص به ، أو لواحد منهما ، وجب أن يتقدمهما من خصصهما بما باين به كل منهما

---

١ سورة ٢٣/٩١ .

٢ يشير إلى تنزيه الله تعالى عن التشبيه بكل ما هو صادر أو ناشىء عنه : فهو لا يعرف ، ولا يوصف ، ولا يسمى . إنه غيب الغيوب ، ومبدع المبدعات ، لا تدركه الأبصار ، ولا يمكن أن ينسب إليه لا اسم ولا صفة ، ولا وجود ولا عدم وجود . لأنه فوق الكائنات والموجودات ، وهو ليس بكائن ولا يكون ، لأنه موجد الكينونة وفعلها ذاته .

٣ زاد في ط ج : قدس الله روحه في الرسالة الوضية في معالم الدين في الفصل الرابع من المقالة الأولى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صاحبه ووافق به صاحبه ، فيكون هو المعبود لا غيره . وبعد فإذا قيل إنّه تعالى واحد ، وعالم ، وقادر ، وحي ، أو غير ذلك ، فليس ذلك له بعلم وحياة وقدرة يصير بها موصوفاً ، بل بمعنى أنّه فاعل الواحد ، والعالم ، والقادر ، والحي في غير ذلك ، كما يقال للسلطان إنّه بنى المدينة الفلانية ، وضرب رقبة فلان هو بان وضارب ، وليس ذلك صفة لذاته بمعنى أنّه تولى ذلك بنفسه ، بل صفة لمأموره الذي أقدره على ذلك، فبنى بنفسه، وضرب بنفسه ، وصار ضارباً بأمره ، وبانياً ، والكل منسوب إليه ، يكون حدوثه بأمره . فعلى مثل ذلك نقول على الله تعالى .

وقال في موضع ثانٍ[1] : الحمد لله الذي عز عن أن يكون له مثال ، وجل عن أن ينعته بوجه من الوجوه مقال ، الذي حارت العقول فيه[2] ، فلا تنهض لطلب المسالك في إدراك ما تسمه به إلاّ شملها العجز عن الوصول إليه ، وتاهت الألباب فلا توري زنداً في قصد ما تجعله صفة له إلاّ وملكها الجهل بما تقتضي به عليه ، أحمده حمد من يقر بما عقل به ذاته من أنّه فقط ولا أحد من مبدعاته إله ، ولا شيء من مخترعاته إلاّ بالتسبيح له ، وأشهد حقاً[3] بما عليه نشأت[4] ممّا أرجو به الخلاص ، وأنال به

---

١ يريد يعجز عن الدلالة على ما لم يكن مثله ، وليس مما يبنى عن الحروف من لفظ أو كلام شيء يدل على حقيقة المبدع ، لكون ما يراد دركه من المبدع تعالى بوصف وراء ما تؤديه الحروف المؤلفة من المعاني عاجزة عن الأداء عما لم يكن من عنصرها ، وقاصرة عن الاخبار عما لم يكن من جوهرها . وقال في موضع ثان : وقال في موضع ثاني من أول الرسالة الدرية في ج و ط .

٢ لأنه تعالى في حجاب من الامتناع عن قضايا العقليات .

٣ أي شهادة من عرف الحقيقة العرفانية السرمدية والحدود الجوهرية الباطنية والحامل والمحمولات .

٤ يعني بذلك أنه رضع لبان دعوة الحق ونشا وترعرع في كنفها وبواسطة علومها استطاع أن يصل إلى المعرفة الحقة .

الفوز حين لات مناص ، أن[1] الإلهية ليست لشيء ممّا يدرك بعقل أو نفس، ولا لما يحكم عليه بوهم أو حس ، إلا لما تضطر الأنفس عند الإقرار به إلاّ إلى القول بأنه الله الذي لا إله إلا هو ، ولا معبود سواه .

وقال سيدنا المؤيد في الدين أعلى الله قدسه: الحمد لله الذي تشبيهه إشراك ، وتعطيله هلاك ، والعجز عن إدراكه إدراك .

وقال العالم عليه السلام[2] : وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له المتعالي عن الأشباه والأشياء والاضداد ، المتكبر عن الأكفاء والأنداد ، المتجبر عن الولادة والأولاد ، المتنزه عن المقدار والاعداد ، الذي علا بجوده عن صفات كل مخلوق ، وعن سمات كل مربوب لا يقدر العقل مع جلالة مرتبته، وسمو رفعته، بأصناف قواه، على أن يدرك شيئاً من جلالته، أو أن يحيط بأدنى قدرة من قدره التي بها أبدعه إلاّ الإقرار بإنيته ، ثم يبقى بعد الإقرار متحيراً كليلاً في نفي ما يتصور عنده من إثباته إثباتاً بعد نفي ، ونفياً بعد إثبات ، ولا يبلغ مرتبته إلاّ بما تحيط قوته من إثبات محض الإقرار بالعجز ، والخضوع لمن أبدعه وأعجزه وأظهره ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقال سيدنا حميد الدين قس : ثم إن المبدع الأول الذي هو الإبداع التام الكامل ، مع تمامه وكماله ، لا يحيط علماً بما عنه وجوده سبحانه أصلاً ، ولا يعقل ، ولا يتهدى إلى شيء عند الانتداب لذلك ولا ينهض لأمر يعقله في ذلك ، إلاّ وهو بكونه نهاية النهايات كلها في الأشياء كلها ، شرفاً وكمالاً

---

١ أن : سقطت في ج .

٢ بالرغم من وفرة النصوص الموجودة لدينا لم نتمكن من معرفة المقصود بهذا الاسم فلربما أراد أحد الحجج أو الدعاة .

من | ذاته استعاره ، وفي ذاته وجده ، فلا يحصل إلاّ على تصور ذاته ، فيرجع ٨٣/١٦٣
حاسراً عالماً بأن ذلك غير مقدور عليه[1] . ولما كان الإبداع فعلاً ووجوداً
٣ محضاً ووجهه إلى أن يكون موجوداً ، فهو عمّا هو خارج عن ذاته الذي
عنه صدر إلى الوجود في شغل ، ولا سبيل له إلى ملاحظته والإحاطة به ، فهو
متحير ، ومع كونه متحيراً ، فهو مشتاق إلى الملاحظة للإحاطة ، وأنّى له
٦ ذلك[2] والامتناع قد حجبه ، فتحيره كتحير الطالب للقبض[3] على الماء بيده ،
والمشتاق إلى اعتلاء شعاع الشمس ببصره ، فهو في حيرة ، وليس له من العلم
أكثر من علمه بذاته بأنها مبدعة مشتاقة إلى ما عنه وجدت ، متحيرة فيه ،
٩ وليس كونه عاجزاً عن عقل ما عنه وجوده وإدراكه ، ومتحيراً فيه
لنقصان في ذاته على حسب ما يكون في ذواتنا بجهلنا ما لا نعلمه ، بل لكون
المتعالي سبحانه على أمر يعظم عن الإدراك ، ويتعالى عن إحاطة عقل به[4] إذ

---

١ لأن الخلوص إلى المعرفة لا يكون إلا بالعناية التامة وذلك في إصلاح أمر النفس وتقويمها بتحليها بالمعارف ، وتحسينها باداء الفرائض وتشويقها إلى مساكنة الملائكة ، ومجاورة الملأ الأعلى ، وذلك يكون عن طريق التوحيد ومعرفة الحدود العالية والدانية ، والاعتراف بأن كل حد منهم واحد في مرتبته ، لا يشاركه فيها سواه .

٢ يعني العقل يحيط بجوهره العالم الطبيعي باعتباره مركزاً لعالم الأجسام العالية الثابتة إلى الأجسام المستحيلة المسماة عالم الكون والفساد . لأنه العلة الأولى لوجود ما سواها من الموجودات ، والمبدأ الأول لحركات جميع المتحركات في عالمي العقل والجسم . فهو دائم الإشراق في الأدوار يقبل ما يتصل به من فيض وإبداع المبدع . والاشتياق يعني أن النفس تنهد دائماً وأبداً إلى الوصول لمعدنها ، ولما كانت جزءاً انبثقت من الكل فشوقها يكون من أجل بلوغ كليتها. وباعتبار أن كل محيط يكون أشرف من المحاط به وأسبق وجوداً ؛ ولما كان العقل جوهراً محيطاً بالأشياء كلها لأنه السابق في الوجود قبل كل محاط به والجوهر الثابت الذي تنتهي إليه الجواهر العقلية كلها ؛وبحسب المفهوم الإسماعيلي من يمتنع عن معرفة هذه الأمور تحجب عنه الإحاطة .

٣ للقبض : سقطت في ج ط .

٤ إذ لا سبيل لإدراكه تعالى بعقد ضمير ولا بإحاطة تفكير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإدراك من المدرك إنّما يكون بالقيام تجاه المطلوب علمه ، وطلب ما ينعته به منه . فالعقول تكع عن ذلك ، وتعجز وتتحير فيه ، وتقصر مثل قصور أبصارنا عن مقابلة عين الشمس ، لا لنقصان فيها عن الإدراك ، بل لكون الشمس فيما عليه هويتها على أمر تخطف الأبصار إذا قابلتها ، فتعجز وتبرق ، فتنقلب عنها خاسئة وهي حسيرة .

وقال في موضع ثان[1] : الله تعالى متكبراً بقدسانيته عن جميع النعوت والصفات المدركة بالعقل والحس ، فلا شيء في وجه من الوجوه يشاركه ، ولا معنى من المعاني المدلول عليها بالألفاظ يعتوره ، وهو المتقدس الذي عجزت العقول عن نعته ، وأظلمت المقاصد في السلوك نحو شيء يضاف إليه ، فيليق به تعالى وتكبر عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقال أيضاً : ولمّا كان الباري لا محسوساً[2] ولا معقولاً ، استحال أن يقال عليه ما يقال عليهما ، فهو من حيث هو هو لا يدرك أصلاً لسموه على مخترعاته ، سمو المحيط الذي لا ينال ، وعلوه عليها علو المتعالي الذي ليس في الاستطاعة أن تصطاد معرفته بشيء فيقال ذلك بأنّه تعالى وراء الكمال ، وفوق الجلال ، وكون العقول مبهورة تحت ثقل العجزة ، فسبحان من هذه العزّة عزته ، ولا إله إلاّ هو .

وعنه وقد سأله بعض تلامذته[3] عن إجماع الخلق بأن الله سبحانه مُوَحِّد ، والمخلوق مُوَحَّد ، فكيف يكون ذلك من جهة الفاعل والمفعول ؟ فقال : إن الله تعالى يجل عن أن يكون فعل الموحدين . وقد قال النبي

---

١ ثان : ثاني في ط تالي في ج .

٢ أي لا يدرك إلا بالإقرار بأن لجميع العوالم مبدعاً أبدعهم تعجز العقول عن إدراكه .

٣ يريد بعض المستجيبين الذين هم في دور الاستفادة والاستمداد بالعلوم العرفانية الباطنية .

صلى الله عليه وسلم في ذلك قولاً يدل على معنى حقيقة التوحيد بقوله : إن الله مُوَحِّدٌ ، والمؤمن أيضاً موَحِّد ، وذلك أن الله لمّا وجد عنه الواحد الفرد مبدأ الأعداد ، وأصل الآحاد والأفراد ، وكان بذلك هو الفاعل للواحد الموجد له أولاً ، أصلاً لكل شيء ومبدأه ، فقد ثبت أنّه مُوَحِّد هذا الواحد وموجده ومبدعه ، لا من شيء[1] . وأمّا توحيد المؤمن فهو معرفته لهذا الواحد الأول الفاضل الكامل الذي هو الوجود الباري ومبدعه ومخترعه ، وإنّه لا شيء يماثله ولا يشاكله ، بسبقه وشرفه بفعله ومعرفة[2] ما انبعث عنه من الآحاد والأفراد من عالم الخلق وعالم الأمر ، وسلبه عن جميعهم الإلهية للمبدع الحق ، وتجريدهم عنها ، وتنزيهه[3] الباري عن الأسماء والصفات ، وجميع الإشارات .

وقد قال العالم ع م في ذلك المعنى يحققه | ويصححه بقوله : وأمّا ٨٣/١٦٤ معرفة التوحيد ، فإن حد الصفة والمعرفة هو لأول موجود عن المبدع الحق ، وأن المبدع الحق يتعالى عن الصفات ، ويتنزه[4] عن الإشارات ، والكل عاجز عن صفته وتوهمه ، والإشارة إليه ، يتساوى في ذلك العجز آخر موجود

---

١ لأنه كامل متجرد عن الاتحاد بالأجسام متعال عن ذلك علواً كبيراً ولا يكون له رتبة من نوع رتب الموجودات التي تم وجودها بإبداعه لها واختراعه إياها . إذ لو كان له مثل لكانا اثنين ، ولكانا من حيث كونهما اثنين يوجد في كل واحد منهما ما يباين به الآخر . وبه تقع الاثنينية فيكون لكل واحد منهما جزآن بهما وجود ذاتيهما أحدهما مشترك والآخر خاص ، فيجب بذلك ما يتقدم عليهما جميعا ويكون هو الذي أعطى كلا منهما ما اختص به وباين الآخر وهو بالإلهية أحرى . وهو متعال عن المراتب كلها وحدة وكثرة . وأما توحيد هذا الواحد وموجده ومبدعه لا من شيء فرد لامتناع وجود مثله : سقطت هذه الجملة من م وهي زيادة من النساخ .

٢ معرفة : عرفان في ج .

٣ أي نفي جميع الصفات عن غيب الغيوب .

٤ ويتنزه : وتنير ط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأول موجود على جلالته، فليس إلاّ إثباته بالإقرار بأنّه المبدِع المبدَع الحق تعالى ، لا من جهة صفة تقع عليه ، إذ لا ند له ولا ضد سبحانه . وإنّما من آثار صنعه في المبدع بأنّه لا إله إلاّ هو . فهذه معرفة التوحيد والخروج من التعطيل والتشبيه ، وكل قول في التوحيد غير هذا فهو خطأ يدخل في التشبيه أو في التعطيل ، أعاذنا الله عن ذلك برحمته .

وقال أيضاً : اعلم أن محض التوحيد ، وحقيقة التجريد ، هو إثبات الواحد المحض ، وتنزيه[1] الفرد عن الحد ، ولا الحدود ، ولا أي الوجهين المذكورين في نفي صفات الخلق عن الخالق ، وإثبات ذلك كما تقدم القول والشرط . فتوحيده معرفة[2] أسمائه ، وتجريده الاتصال بأوليائه ، فمن عرفهم ووحده من قبلهم ، نجا ، ومن جهلهم ولم يتصل بهم ضل وغوى .

وقال سيدنا المؤيد قس : الحمد لله مبدع الأحد كاملاً ، ولذاته عاقلاً ، وباختراعاته كافلاً ، الكائن لكل مفعول فاعلاً ، ولكل محمول حاملاً ،لا يستند إلاّ إلى هويته من سند[3] ،ولا يقوم إلاّ بعمد وحدانيته من عمد.

وقال في موضع ثان : وأشهد أن لا إله إلاّ الذي أوجد الوجود فامتنع عن مشاكلته في كيفيته ، واستعبد الفرد المعبود ، فارتفع عن مماثلته في هويته . وقال في موضع ثان : «أشهد أن لا إله إلاّ الذي لا يوصل

.....

١ وتنزيه : وتنزيهه في ط .

٢ أي معرفة الحدود وقبول الفوائد التي تؤخذ عنهم عرفانياً .

٣ الإسماعيلية ينفون الهويات واللاهويات عنه تعالى لأن الهوية المحضة التي تضاف إلى المبدع عن هو ولا هو، إنما هي أيسية السابق من أيسية الابداع المجود به عليه ، يعني أن المبدع هو الذي عرفه السابق بأيسيته ، فصارت معرفته لمن أبدعه هوية المبدع ، فلا هناك هوية موجودة ، ولا هوية معدومة ، سوى ما أظهر للسابق من أيسيته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلاّ بحدوده إلى معرفة توحيده »[1] وأهل الزيغ يتألهون[2] في تشبيهه وتحديده .

وقال أيضاً : اللهم يا من جل عن علّة المحدود وعلا عن ذكر الموجود وخفي في وجوده ، وظهر في حدوده ، ودل بما ظهر من مبدعاته على توحيده . وقال في بعض أشعاره في ذلك :

هُم الأُولى بهم تجلى ربّنا لخَلقِه سبحانَهُ عزّ وجل

وقال في موضع ثان :

هم نهاياتُ كلِّ من خلق الا ه وغايـات خَلْقِه والسـلام
وإليهم تُنمى اللطائف إذا را حتْ إلى الأرضِ تنتمي الأجسام

وقال في بعض خطبه : وأشهد أن لا إله إلاّ الذي من ألحد في حدوده سقط عن معالم توحيده ، ومن عدل عن اتباع من شهد لهم كتابه بالتطهير[3] ، فقد عدل عن حكم تعديله إلى التجوير ، أحمده إذا قام منهم في كل عصر هادياً، نصبه للدين داعياً، وللإيمان منادياً، فمن آمن به أمن ، ومن زاغ عنه امتحن وامتهن، ومن خالف محدوده ، وحاد حدوده[4]، سلبه الله سعوده .

---

١ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين من ج وط .

٢ يقصد أهل الضلال الذين يقولون بالحلول والتجسد من أصحاب الغلو . يتألهون : يتألهون ج ط .

٣ يريد بذلك الأئمة من آل البيت الذين اصطفاهم سبحانه وتعالى وطهرهم فاكتسبوا بذلك عصمة ذاتية وتنزهوا عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها ، وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بقوله تعالى : « ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » سورة ٣٣/٣٣ .

٤ حاد حدوده : يذهب الإسماعيلية إلى أن هناك حدوداً علوية روحانية هي : السابق والتالي والجد والفتح والخيال ، يقابلها حدود دينية سفلية هي : الناطق والأساس والحجة والإمام والداعي ، ويقولون بأن السابق والتالي هما الأصلان العلويان والناطق والأساس الأصلان الدينيان ، ويطلقون على هؤلاء الأصول الأربعة . ولديهم العقول العشرة الروحانية يقابلها المراتب الدينية العشرة . وكل هؤلاء هم الحدود الواجب معرفتهم وطاعتهم ومن عرفهم عرف الله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال أيضاً: باري البرايا في القدم، أوجد لهم ذاته، كما حكم حكم بالحق، ولم يدع إلى عدم . فهو الظاهر لتثبيت الحجّة عليهم ، وهو الباطن الذي لا يدرك بالحواس والأوهام ، أقام في العالم الذي برأه[1] ، وكل ينظر إليه على قدر صفائه ، أو كالناظر إلى وجهه في المرآة . آنس إليهم لتثبيت الحجة عليهم ، إذ هم يعجزون عن إدراك كيفيته[2] ، ولا يبلغون بقوة عقولهم إلى معرفة ماهيته ، وحقيق على من لم يصح لـه الوجود ، ولا معرفة الحدود ، أن يلزم الإنكار والجحود .

٨٤/١٦٥ | وروي عن مولانا الصادق[3] صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلاً يكبر فقال له : بماذا أكبر من كل شيء ؟ فقال : إذا حددته والله أكبر أن يحد أو يوصف ، ولا ينعت بالأشباح ، ولا يقرن بالأرواح ، ولا بالحدود والنواح ، وتعالى أن يحس أو يحس أو يدرك بعقد ضمير ، أو إحاطة تفكير ، وما كان من آي التشبيه فمراده به أولياؤه الذين هم صفاته الحسنى ، وأسماؤه العُليا[4] ، وإلاّ لم يصح عقد التوحيد ، ولا بان الازدواج من التجريد ، جل عن العيون أن تبصره ، وعن الأوهام أن تحصره ، وعن الحجب أن تسترّه ، وعن الأزمنة أن تغيره ، وعن الأمكنة أن تعتوره ، وتعالى عن الاضداد والأنداد، وفعل الفساد ، وإخلاف الميعاد ، وتكليف ما يعجز عنه العباد .

---

١ براه : براه إلى ما بعد إمام في ج وط .

٢ يكون العجز بالمفهوم الإسماعيلي عن الإحاطة لأن النفس قائمة بالقوة بالطبع لذلك فهي تشتاق إلى القيام بالفعل وذلك لن يتيسر لها إلا عن طريق الإفادة من المفيد الوصول إلى كمالها ، لكونها ناقصة محتاجة إلى ما تسد به من المعارف التي فيها كمالها وذلك عن طريق العقل الذي تكتسب من فوائده ما يمكنها حمله وإحاطته به . فإذا اعجزها صعوبة المسلك ، هبطت كليلة تعبة من جهة الهبوط لا من جهة الصعود ، والعقل يفيض العجز عليها عن نيل جميع فوائد العقل . يعجزون : عاجزون ج .

٣ الإمام جعفر الصادق (٨٣ – ١٤٨ هـ) .

٤ العليا : العلية ج .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهذه فصول تنزه المتعالي عما تتصف به مبدعاته ، وعن الأسماء التي تتسم بها مخترعاته ، فلا ثبات لتوحيده وتمجيده ، وتنزيهه وتجريده ، إلاّ بمعرفة حدوده[1] .

وقد جاء عن سيدنا حميد الدين ق س . في آخر كتاب راحة العقل ما ختمه به ، ما هو الحق الواضح ، والمعنى اللائح بقوله : وإن سعادة الأنفس بالتعليم من الهداة المرسلين[2] مثل نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم[3] والأئمة من ذريته القائمين مقامه في الهداية والتعليم . وإن سعادتها لا تتم إلاّ باستفادة ما تعمله وتعلمه منهم[4] ، وإن تعلم وتعتقد في توحيدها أن المتعلّق به[5] الموجودات سبحانه ليس له في الموجودات لا صورة ولا صفة ولا أمر من الأمور ، فيكون للعقول بها وصلة إلى الإحاطة به[6] وبحسب تصورها ، فإن كل متصور ومنبأ عنه بلغة من اللغات ، فهو خالقه وفعله تعالى وتكبر ، وإذا قصد أحدنا الإخبار عنه بما يحسب أنّه دقّق ونظر ، وفكر وتوهم

---

١ يعني العلوية والسفلية . ٢ المرسلين : الراشدين ج .

٣ باعتباره الناطق السادس مثال السابق في دوره .

٤ لأنهم صفوة البشرية يمنحون السعادة لمن طلب حقائق الأشياء ، وشاء الانتقال من العالم الطبيعي إلى العالم الروحاني مغبوطاً مثاباً قادراً على نيل فوائده من الاغتذاء من نعيمهم ، والالتذاذ باتحاد روحه الجزئية بالنفس الكلية ويصير لها ناموساً أصلياً .

٥ يريد السابق في الوجود علة العلل الذي يمد كافة الحدود الروحانية ولا يستمد منها لأنه هادي بجوهره .

٦ الإحاطة به : العقل جوهراً محيطاً بالأشياء كلها لأنه السابق في الوجود قبل كل محاط به ، ولا يمكن توهم شيء نه محيط بالعقل لأنه يحيط بكافة المعقولات لأنه علة لجميع مراتب الموجودات فجميع مراتب الموجودات واقعة تحته لأنه أصلها ، والمعلول لا يعطي ولا يوجد فيه إلا ما أفاضت عليه علته بذاتها لأن ما كان في المعلول موجوداً موجود في العلة التي عنها كان المعلول موجوداً .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقدر ، كان ذلك الذي يحسبه تاماً كافياً في الإخبار عنه تعالى منقلباً إلى صفة ما هو داخل في الموجودات التي هي مخترعة محدثة ، كانقلاب ما يراد به الإعراب عن الهمزة التي ليست لها صورة في اللغة ، إمّا إلى الألف ، وإمّا إلى الواو ، وإلى الياء التي هي من اللغة ومبانيها ، وهذه جملة وراءها تفصيل يحيط بها من كان أخانا حقاً[1] .

فهذا ما رمز به وهو تصريح لمن عنده علم من الأصول التي بها الوصول إلى حقائق الأشياء وهو قوله : فمن قصد بوهمه أنّه دقق ونظر وفكّر ، في معرفة الله وحسب أن ذلك تاماً كافياً في الإخبار عنه تعالى، كان ذلك منقلباً إلى صفة ما هو داخل في الموجودات التي هي مخترعة محدثة ، وضرب بالهمزة مثلاً إنّها ليست من الحروف ، وإنّها لا تقع من الحروف إلاّ على ثلاثة : الألف ، والواو ، والياء .

وقال : تحت هذا تفصيل ، وتفصيله أن الأسماء والصفات لا تقع على المتعالي سبحانه ، وإن مثلها مثل الهمزة في اللغة ، وأن أكثر وقوعها على ثلاثة حدود عظماء فضلاء كرماء : أولها الواحد الذي هو المبدع الأول الذي هو الألف من الحروف وممثوله . والواو في حساب الجمل ستة ، كما الألف واحد يدل على وحدانيته ؛ فالستة التي هي الواو ، النطقاء الستة في أدوار السّر والشرع ، ومعناها أمير المؤمنين[2] لأنّه لطيف الشرائع ومُمَعنِيها ؛ والياء لها عشرة وإليه انتهاء العدد ، وهي آخر الحروف ، وهي ياء النداء ، وبها التوسل لقولك يا الله ، | يا رحمن ، فهي علي القائم الذي هو

٨٤/١٦٦

---

١ يريد من كان من العارفين المستفيدين من التأييد الواقع عليه من المؤيد والقائم بالظاهر والباطن معاً يكتسب الصعود من القوة إلى الفعل وينال الكمال المطلق .

٢ أمير المؤمنين : أمير المؤمنين مولانا علي صلوات الله عليه وآله في ج وط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الناطق السابع آخر الحدود ، الذي[1] يقوم مقام الأول . كما أن صورة الياء التي لها عشرة صورة الألف ، فذلك كذلك فالأسماء المتناهية بالشرف والجلال والعظمة والبهاء لهؤلاء الحدود خصوصاً ، ثم من بعدها لما هو من جنسها عموماً . فاعرف ذلك إن شاء الله تعالى ، وعليك بمعرفة الحدود[2] لتتصل بالمعبود ، والتزم بكل إمام حق يقوم تنجو من موبقات الغموم .

قال سيدنا المؤيد : فالعمل العمل أيها الأخ ، فبالعمل تتصل بالعلم[3] ، وبالعلم والعمل تكمل صورتك ، وتنال الدرجات ، وتبلغ غاية الغايات ، فلمثل هذا فليعمل العاملون . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فيها لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾[4] . والعمل هو ولاية الأئمة (ص) وبطاعة إمام الزمان ينال عفو الرحمن ، ولا تقبل الأعمال المفترضات والمسنونات ، إلاّ بطاعة من قد فرض الله طاعته ، لقوله[5] سبحانه : ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[6] . فطاعة الله سبحانه واجبة على كل مسلم ومؤمن ، وكذلك

---

١ يعتبر القائم آخر إمام من أئمة دور محمد (ص) وتكون نفسه حاملة لهم ويصيرون وإياه صورة واحدة نورانية قائمة ، ويكون الناطق السابع والإمام صاحب القيامة الكبرى ويصبح دوره مع ولده خمسين ألف سنة وهو دور كشف ، ومن ثم تتعاقب الأدوار كشف وستر .

٢ تذهب الأصول والأحكام الإسماعيلية إلى أنه لا يمكن للإنسان أن يعرف ربه إذا لم يعرف حدوده الذين يوصلونه إليه .

٣ يريد عن طريق الظاهر أو بالأحرى العبادة العملية وما تتضمنه من واجبات جسمانية يستطيع المؤمن أن يصل إلى العبادة العلمية بما فيها من معان عرفانية روحانية باطنية .

٤ سورة ١٠٧/١٨ ، ١٠٨ .

٥ لقوله سبحانه : لقول الله سبحانه في ج و ط .

٦ سورة ٥٩/٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طاعة الرسول وأولي الأمر . فهذه ثلاث طاعات مفترضات لا ينفك بعضها من بعض . أي وقت تركت واحدة منها بطل الباقي .

فقد صح أن توحيد الله سبحانه بمعرفة حدوده ، وهم أشرف الصنعة وأكملها وأفضلها . كما قال رسول الله ص[1] : تدلك الصنعة على صانعها ، والفعل على فاعله . فهم زبدة الصنعة وأجلها ، وأعظم بها لنطقها بالتوحيد ، وتجريدها عن ذاتها الإلهية لمبدع المبدعات المبدي المعيد ، وقد لقطنا من أوضاع الحدود بحسب ما أردنا إيراده تعريفاً وتصريحاً ، لأن يكون المعتقد في اعتقاده على بصيرة وحقيقة ، ولتكون صورته سامية على الصور القاصرة ، متميزة عن العقول الحائرة الخاسرة ، أهل الشك والإلحاد والتيه في طرق الفساد ، أهل الشرك الذين وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ وما يُؤْمِنُ أكْثَرُهُمْ باللهِ إلاَّ وَهُمْ مُشْرِكونَ ﴾[2] . فمنهم ملحد وغال وقال ، وهم ثلاثة أصناف :

الأول منهم فريق من الفلاسفة يعتقدون أن العقل الأول الذي هو السبب الأول لا مبدع له[3] ، ولا مسبب إلاّ هو فهو مسبب ذاته . فشبهوا بذلك وألحدوا ، ونفوا المبدع الحق وجحدوا ، فبذلك عاندوا الحدود ، وقطعوا الوسائط ، فبعدوا . والعقل الأول هو علّة الموجودات ، وفي معلولاته أثر منه ، وذلك الأثر هو العقل المولود الذي به يفرق المخلوق بين الحق والباطل ، وبين الخطأ والصواب ،

---

١ ص : صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ج وط . ٢ سورة ١٢/١٠٦ .

٣ يرى الإسماعيلية أن من يذهب إلى أن المبدع الأول لا مبدع له لأنه هو الذي أبدع ذاته قد ألحد لأن المبدع الأول بنظرهم أبدعه الباري سبحانه وتعالى من نور وحدته كحد أول من الحدود الروحانية . وقالوا إنه هو القلم والعقل الأول أو العقل الفعال يقابله في عالم الدين الناطق ، ووكله تعالى بحفظ العالمين ليتم حكمته ، لأنه مشرف وحدته الذي به شرف نور التأييد ، ومعدن حكمته الذي به صح تجريد التوحيد . فريق : فرق ط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبين الخير والشر ، والنفع والضر ، والباري سبحانه يتعالى أن يكون علّة لشيء ، وكذلك العلم الأول الذي هو ذات الحيوان والنبات أثر من المبدع
٣ الأول. وكذلك هو أصل الموجودات[١] وأولها وواحدها، ومبدأها ومنتهاها[٢] ، وهي[٣] ملزمة له بجميع هذه الصفات والإضافات ، بسمة الحدث والازدواج والاختراع ، فهو الحي ، والحياة[٤] صفته التي هي ذات ما وجد عليه ، وله
٦ كمال أول ، وكمال ثاني ، وهو حامل في ذاته ، محمول في ذاته ، فهو أول ٨٥/١٦٧
وما كان له أول فله آخر ، وما كان له آخر فله أول ، وهو بصفاته معروف ، | وبسريان تأييده[٥] موصوف ، وهو تحت انحصار العبودية موقوف .

٩ ونحن نبين في الباب الذي يتلو هذا الباب حقيقة ذلك ، فهؤلاء قوم أدركوا الطبائع ومطبوعاتها ، والأفلاك وهيئاتها ، فظنوا أنهم قد وقعوا على حاصل . قال الله تعالى : ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنداداً﴾[٦] . وقال : ﴿ إِنَّ اللّهَ لا يَغفِرُ
١٢ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دُونَ ذلكَ لِمَنْ يَشاء﴾[٧] .

وقال : [وَمَنْ يُشْرِكُ باللهِ] ﴿ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾[٨] .

والصنف الثاني الذين يعتقدون بإلهيّة الهيئة أجمع . ومن يعتقد منهم بالشمس

---

١ أصل الموجودات : لأنه العلة الأولى التي بها استقامت السماوات بأقطارها ، والدوائر بغاياتها ومراكزها ، واستفاءت الكواكب بحركاتها وطبائعها ، ولمعت الصورة الطبيعية منه بأشخاصها وأنواعها وأجناسها للإقرار للصانع بمحض التوحيد .

٢ مبدأها لأنه السابق في الوجود ، ومنتهاها لأن كافة الموجودات تنتهي إليه يريد الإمام الأول ، وخاتم الأدوار القائم المنتظر . ٣ وهي : سقطت في ط .

٤ لأنه أصلها ولأجله وجدت بما فيها من موجودات .

٥ التأييد : يكون ابتداء التأييد بالمؤيد ، إذا صار قادراً على استنباط الأشياء من غير طريق الحواس والاستدلال بالظواهر على الخفيات .

٦ سورة ٢٢/٢ . ٧ سورة ٤٨/٤ .

٨ سورة ٦/٥ في أصل الآية (يكفر بالإيمان) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجرمانية وما شاكلها ، بأنّها هي الكل والجملة ، ولم يميزوا بعقولهم السخيفة ، وآرائهم الضعيفة ، أنّها تدرك ببعض الحواس ، وتحويها الجهات ، وأنّها مدبرة مسخرة ، مجبورة مقدرة ، كما قال تعالى : [و] ﴿ الشّمْسُ وَالقَمَرُ بِحُسْبانٍ ﴾ [1] .

وقال : ﴿ وَالقَمَرَ والنّجُومَ مُسَخَّراتٍ ﴾ [2] . وقال : ﴿ وَمِنْ آياتِهِ اللّيلُ والنّهارُ وَالشّمْسُ والقمَرُ لا تَسْجُدُوا للشّمْسِ وَلا للقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الذي خَلَقَهُنَّ إنْ كُنْتُمْ إيّاهُ تَعْبُدُون ﴾ [3] .

وقال : ﴿ وَالشّمْسُ تَجْري لِمُسْتَقَرٍّ لها ﴾ [4] . وهي متحركة حركة عرضية ملازمة لها أبداً ، ولها شرف وهبوط ووبال ، وأوجات وحضيض ، وأفول وكسوف ، ونحوس وسعود . وبعض هذه الأوصاف تسلب عنها الإلهية ، وتجري عليها العبودية والحدث الممتنع عن الأزل .

والصنف الثالث الغلاة الذين يعتقدون إلهية البشر ، ولم يتضح لهم معاني سلب الإلهيّة عنهم . أول ذلك كونهم في عالم الكون والفساد ، ومقارنتهم للأجساد ، وقد علموا بتناسلهم وتناكحهم ، ويأكلون ويشربون ويتغوطون ، ويفرحون ويترحون ، وتعتريهم الأحزان والغموم والهموم والأمراض والأعراض ، والأسقام والآلام ، والموت والقتل ، والخوف والفاقة في كل وقت وحين إلى الماء والطعام . وهذه صفات من هو مخلوق محدث محتاج مقر بالعبودية ، داخل تحت عظمة الإلهية .

ونحن نبين في الأبواب التالية بشرف هذه الآيات التي اعتقدوا إلهيتها ، وعظمتها وجلالها عند الله سبحانه بمعاني حقيقية ، لا على ما يتوهمونه . والله سبحانه الموفق للصواب بعونه وبركته ورحمته ومشيئته إن شاء الله تعالى.

---

١ سورة ٥٥/ه أضاف إلى الأصل و . ٢ سورة ٥٤/٧ و ١٢/١٦ .
٣ سورة ٣٧/٤١ . ٤ سورة ٣٨/٣٦ . في ج : الآية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البَابُ الثَّانِي

في القول على الإبداع الذي هو المبدع الأول من حيث [1] شرفه وفعله ووحدانيته وسبقه ، ووجوده أولاً وكماله ، وأزليته ، وجلاله ، وعلمه ، وبهائه ، وعقله ، وثنائه ، وعظمته ، وكبريائه ، وقدرته ، وحياته ، وانفراده بجميع صفاته .

اعلم علمك الله تعالى الخير وجعلك من أهله ، إن هذا الباب بعد إثبات توحيد[2] المتعالي سبحانه ، من أشرف الأبواب المذكورة ، وفيه من الأسرار التي رمزت بها الحدود تلويحاً لا تصريحاً ، لأنّه المبدأ الأول الذي تعرف به الأصول[3] ، والفروع ، والفصول ، والعلل ، والمعلولات ، والأسباب ، والكائنات ووالفوا بين ذلك[4] ، حتى لا يقع علم الكيفيات واللميات ، في أيدي الجهلة الغفلة من فسقة الجن والأنس[5] ، لأنّه العلم المكنون ، المستور المصون ، ولا يظهرون شيئاً من ذلك ، إلاّ وحياً من لسان إلى أذن ،

---

١ حيث : سقطت في ط .

٢ في الباب الأول أثبت التوحيد على رأي الإسماعيلية .

٣ أول ما يطلب من الإسماعيلي كمبدأ عرفاني أول التوحيد والتجريد والتنزيه ومتى عرف المستجيب ذلك وأقر به تسهل عليه معرفة الأصول الأربعة وبقية الحدود والفروع والعلل والمعلولات .

٤ أي ليتسنى لهم تطبيق المثل والممثول والظاهر والباطن .

٥ نرى المؤلف ينهج نهج كل من بحث في علم الحقيقة فيصر على وجوب التقيد بنظام التقية والكتمان أسوة بمن سبقه من الدعاة والعلماء الإسماعيلية حتى لا يكشف هذا العلم لغير أهله .

بعد قبض العهود المؤكدة ، وتغليظ المواثيق المشددة ، والامتحان بدفع النجاوى والزكاة[1] والشراوي ، والفطر ، والصدقات[2] .

وقد وثقت بك في حفظ مجموع من الحكم التي شرحتها[3] في مصدور قبله ، وتحملت فيه الأمانة التي هي عهد الله وميثاقه الذي أخذ على الملائكة المقربين ، والأنبياء والمرسلين ، | والأوصياء الطاهرين ، والأئمة المنتجبين ، والحدود التابعين ، أنّك لتصونه غاية الصيانة ، ولترعي فيه الأمانة ، ولتتجنب[4] الخيانة ، وتجعله لخلاص صورتك ، وإنارة بصيرتك ، والله على ما نقول وكيل .

٨٥/١٦٨

نعود إلى ما كنّا فيه : فجميع أهل الشرائع من الأولين وفرق الآخرين ينتحلون في ذلك انتحالات[5] ويرجمون أقوالاً . فمنهم من يقول : إن الله سبحانه أبدع العقل الأول وحيداً فريداً لا ثانياً له ، وإن النفس الكلية انبعثت عنه على سبيل وجود الضوء من الضوء . ووجد عن النفس الكلية : الجد والفتح والخيال ، ثم الهيولى والصورة ، ثم الأفلاك والبروج ؛ والأملاك والطبائع ، والأمهات والمواليد المتأخرات . وهؤلاء أهل التأويل المحض ، ومن ينحو نحوهم من الفلاسفة ، وغيرهم من أهل الشرائع الظاهرة يقولون بالقلم ، واللوح ، وإسرافيل ، وميكائيل ، وجبرائيل ؛ وذلك حدهم من العلم .

---

١ النجاوى والزكاة : تدفع هذه الضرائب عن طيب خاطر بين يدي الإمام أو من يمثله في قطره ، والإسماعيلية لا يزالون حتى هذا العصر يؤدون هذا الواجب .

٢ الصدقات : الصدقة ج .

٣ يظهر أن المؤلف أصدر عدة أبحاث باطنية قبل هذا الكتاب وقد تحمل الأتباع الأمانة في الكتمان . شرحتها : ما شرح ط.

٤ لتتجنب : لتجنب ط و م .

٥ انتحالات : انتحارات ج .

ومن أهل المقالة من يرى أن في الابتداء خطيئة وقعت على بعض العالم الروحاني مثل الشخص الفاضل صاحب الرسائل نضر الله وجهه، وأن تلك الخطيئة أوجبت الهبوط والتكثف .

وفرقة تنفي الخطيئة ، وتقول[1] التكثف من سبب نقصان النفس عن مرتبـــة العقل «وبعد الهيولى والصورة عن مرتبة النفس والعقل»[2] ؛ وجاءوا في ذلك بمثل ما جاء به أهل الظاهر ، باعتقادهم أن الله تعالى خلق آدم من طين على ما جاء في التنزيل ، ولا مخلوق معه سواه ، وخلق زوجته من ضلعه ، ثم تزاوج وأولد ذكوراً وإناثاً ، وزاوج بينهم باختلاف البطون ؛ فأوقعوا على قدرة الله تعالى العجز والقصور في جميع الأمور ؛ باعتقادهم أنّه قدر على خلق واحد من البشر . فما المانع الذي منعه أن لا يخلق ما قد أراده معه ؟ فكان اعتقادهم ذلك خداجاً شابوه بالجور والفساد ، فضلّوا وأزالوا وأضلوا ، ببعدهم عن الطريق وميلهم عن أهل الحق والتحقيق ؛ لقوله : ﴿فاسْئلُوا أهْلَ الذّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُون﴾[3] . قوله : ﴿وَاللهُ أخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ

---

١ أقوال فلاسفة الإسماعيلية حول نقصان النفس عن مرتبة العقل متنوعة لأن كل واحد منهم سلك طريقا غير الذي سلكه زميله لإثبات هذا النقص ونوعه وكيفيته ، ولكنهم متفقون على أن ذلك النقصان هو في الرتبة لا في الذات ، لأن وجود ما دون العقل الأول بالإضافة إليه وجود ناقص لأنه فوقه ، فإن الأشياء كلها تامة في ذواتها لكون وجودها عن التمام الذي هو العقل الأول ، ولا نقصان فيها إذ لو كانت ناقصة في ذواتها لكان محالا وجودها عن التمام . والمحتاج إلى التمام هو فعل النفس لا ذات النفس ، لأن فعل النفس لا يتم إلا بزمان ، وانبعاث النفس هو مع الزمان ، كما ان العقل الأول هو والزمان واحد ، لأن المبدع الأول هو والإبداع والزمان والتمام أيس واحد ، لأن الباري أبدع الأيسيات كلها دفعة واحدة .

٢ سقطت هذه الكلمات الموضوعة بين قوسين من ج و ط .

٣ سورة ٤٣/١٦ و ٧/٢١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾[1] .

وقوله لرسوله الكريم : ﴿ وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾[2] . وقوله : ﴿ وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ﴾[3] . وقوله : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوى ﴾[4] . وقوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ ﴾[5] .

فإذا كان الرسول الفاضل متعلماً وله معلم ، وبينه وبين خالقه وسائط ، فمن أي جهة يقع العذر لأهل العمى والجهل عن العلم والتعليم والالتزام بالوسائط التي نصبها الرسول « ودلّ عليها بقوله »[6] :

إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما[7] لن تضلوا من بعدي ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، إنّه نبأني العليم الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كهاتين ؛ وأشار بإصبعيه المسبحتين[8] .

فأهل التأويل يمتازون عن أهل الظاهر بحقيقة ذلك بما أخذوه عن أهل بيت

---

١ سورة ٧٨/١٦ .
٢ سورة ٤٨/٢٩ .
٣ سورة ١١٣/٤ .
٤ سورة ٥/٥٣ .
٥ سورة ١٩٣/٢٦ ، ١٩٤ .
٦ ودل عليها بقوله : ودل عليها بالأخذ من علي عليه السلام يقول صلى الله عليه وسلم جو ط .
٧ بهما : به في ط .
٨ الشيعة بفروعها وأصولها تتخذ من هذا الحديث دليلا قطعياً على وجوب الرجوع إلى آل البيت ، وانهم المرجع الأصلي بعد النبي لأحكام الله المنزلة لقوله (ص) : « إني قد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً : الثقلين ، وأحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي . ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » وهذا الحديث اتفقت الرواية عليه من طرق أهل السنة والشيعة . والقول واضح المعنى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النبوة ؛ وكذلك أهل الحقائق يمتازون بمعرفة المبدإ الأول الروحاني عن أهل التأويل الذين ناسبوا أهل الظاهر في تأويل ما يعتقدونه في المبدع الأول ووحدانيته ، وإدخال العجز | على قدرة الله سبحانه في إقرارهم بأنّه أبدعه لا من شيء . ٨٦/١٦٩

فما المانع الذي حجز قدرته من أن يوجد ما قد شاء إيجاده . فهذا بذلك أشبه ؛ ولا فرق بين العقول القاصرة ، والألباب الحدة[1] ، ببعدهم عن المعلم الصادق[2] ، وقلة وقوع بصائرهم على الحقائق ، أفلم يتدبروا قول من يقول العقل القائم بالفعل ، وإن كل اسم واقع على مسمى ؛ فما هو إذاً الفعل الذي قام به ؟

قال سيدنا حميد الدين قس : فكان العقل ذا نسبتين : نسبة أشرف ، ونسبة أدون . فأما النسبة الأشرف فاضافته إلى مبدعه ، وأمّا النسبة الأدون فنسبته إلى ذاته . فوجب بكون ذلك أن يوجد عنه اثنان : أحدهما قائم بالفعل عن النسبة الأشرف ، وأحدهما قائم بالقوة عن النسبة الأدون[3] .

« فبذلك وجب لما قام هذا المنبعث الثاني بالقوة »[4] أن يكون عن المبدع الأول والمنبعث الأول عقول سبعة مجردة ، واحد عن واحد إلى المنبعث الأول ، وذلك قوله . ونقول : إن الموجود عن العقل الأول اثنان : وأن أحدهما أشرف من الآخر كشرف الوصي القائم بالفعل ،

---

١ الحدة : الحاسرة ج وط .

٢ يعني بذلك صاحب الإفادة الروحية الهادي ينبوع المعرفة الإمام أو من ينوب عنه من حدوده .

٣ يريد بالقائم بالفعل الإمام ، وبالقائم بالقوة الكتاب ، وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف الكرماني في كتابه راحة العقل .

٤ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين من ج وط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القيم بجميع ما جاء به على ما تركه[1] ، ومن كون تمامية دوره بأتماء سبعة ، وقيام كل منهم بنص من تقدمه صاعداً إلى الأساس[2] . وفعل كل منهم في ركن من أركان الدين ، ودعائم الإسلام[3] التي جاء بها الناطق لظهور الحكم والمعارف المضمنة تحته ، على أن الموجود عن العقل الأول ، والمنبعث الأول ، عقول سبعة ، كل واحد منهم عن الآخر صاعداً إلى المنبعث الأول ؛ وأن نور كل منهم ساطع سار فيما وجد عن الأول ، من الهيولى والصورة .

فقد أوجب في هذا الفصل أن كل عقل من هذه العقول المنبعثة، واحداً بعد واحد ، إلى المنبعث الأول .

ثم جاء في الكتاب بعينه بفصل ينافي فيه هذا الفصل ، إذ لم يكن هنالك معنى يؤيد القول عليهما ، ويصحح كل واحد منهم بحقيقته[4] وعلى جهته . وإلاّ كانت الفائدة ضائعة ، وحاشا لذلك الحد الشريف أن يقول بما ليس له معنى يشده ويعضده ، وهو قوله نضر الله وجهه : ودار الإبداع والانبعاث لا عائق فيها ، لخلوها من المواد[5] التي تعوقها وتجردها عنها ، وكونها صورة

---

١ كون الوصي أو الأساس أساساً بالناطق التام في الذات والفعل الذي به وجوده وإليه معاده ، والناطق أصلا في عالم الشرع والوضع إليه ينتهي الكل من الحدود وليس فوقه إلا من أبدعه وعن الناطق وجد الكتاب والأساس . القيم : القائم في ج .

٢ يقصد أساس الدور الجديد الذي يلي الإمام الذي أتم الدور السابق ونصب أساس الدور اللاحق .

٣ من الأمور الشرعية والوضعية التكليفية .

٤ يريد بوجودهم في الصنعة الإلهية بالموازنة لوجودهم في الصنعة النبوية ومطابق لها . وإذا حللنا الشريعة الجامعة لأركانها ومعالمها والحدود القائمين بها إلى ما منه وجد الكل وجدناها منحلة إلى شيئين علومها وأعمالها ، أو بالأحرى الكتاب بما عليه صيغته من الإعجاز بالموازنة مع ما انحل إليه العالم بأركانه وأفلاكه وكواكبه من الهيولى التي هي وصورتها شيء واحد . والآخر الأساس القائم بحفظ الكتاب الذي منه كانت الشريعة وهو كالمادة له يعمل فيه ويستخرج مكنون علمه ويبسطه ويؤيد الشريعة وينصرها .

٥ المواد : المراد ط . قلت : وهي خالية من المواد لأنها جوهر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محضة لا تعتلق بمادة ، ولا بها مادة فتحجزها عن الفعل[1] ، وإذا كان لا عائق فيها ، فوجود موجوداتها لا بزمان بل دفعة واحدة مثل وجود إشراق بسيط الهواء عن ضوء الشمس لا بزمان ، وإضاءة النار للبيت المظلم ، دفعة واحدة بلا زمان، وكفعل الطبيعة في حركاتها[2] تلك الأفعال المرتفعة عن الزمان فيما تخرجه إلى الوجود مثل الطَلْع الذي تخرجه بكمه وحباته وأعلاقه ، في بدء أمره من الجُمّار معاً على أصغر شيء هيئته من غير أن تقدم شيئاً منه على شيء ممّا يتعلق بالكمال الأول ، وكالرمان الذي تخرجه من الجلنار بحباته وأقسام باطنه ، وقشوره على أصغر شيء صاغه[3] ، وأرق شيء جسماً من غير أن تخرج شيئاً منه بعد شيء بل معاً .

وقال أيضاً : ثم يكون الإبداع الذي هو المبدع الأول ذات الفعل الصادر عن المتعالي سبحانه وكونه قائماً بالفعل ، لا قائماً بالقوة ، فيكون بين كونه قائماً بالقوة ، وبين قيامه بالفعل ، إحاطته منه بذاته التي يتعلق بها وجود كل عقل منبعث تصور مدّة وزمان يلزم أن يكون وجود الكل بوجود الإبداع معاً . وإذا كان | ذلك كذلك فوجودها بوجوده معاً ، لا بزمان . ٨٦/١٧٠

فهذه الفصول ينقض بعضها بعضاً كما ذكرنا إذ لم يكن لكل فصل معنى يثبته ويؤيد معناه ويشده ، ويبرهن إرادته . وإلاّ لم يكن لقارىء كتابه محصول فائدة ينتفع بها . وهو نضر الله وجهه ما وضع كل فصل في موضعه إلاّ لمعنى من المعاني ، وقد أوجب في هذين الفصلين الآخرين أن وجود عالم الإبداع معاً .

---

١ لأنها مجردة بصورها النورانية المحضة لا كثافة فيها ولا تجسيم ، ولا يحويها مكان ولا احتاج مبدعها إلى زمان .

٢ حركاتها : محاكاتها ج و ط .

٣ صاغه : صيغة ط و م .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونحن نبين حقيقة ذلك، وحقيقة الفصل الأول. فحقيقته أن وجود عالم الإبداع ظهر دفعة واحدة عن المبدع الحق تعالى لا من شيء ، أي لا من مادة تقدمت عليه؛ ولا بشيء، أي لا بآلة استعان بها عليه ؛ ولا في شيء ، أي لا في مكان طبيعي فيكون لها مستقراً ؛ ولا مع شيء ، أي لا مع غيره يشاكله ويساويه ؛ ولا مثل شيء ، أي لا مثل معلوم كان له نظير فيه ؛ ولا لشيء ، أي لا لحاجة في زيادة ولا نقصان في ملكه ومشيئته ؛ فكان وجود الكل كما رمز به الحكماء ، ولوح به العلماء عنه تعالى بحرف الكاف والنون[1] ؛ فكان ما كان بلا معين ، ولا مشير ولا قرين ؛ لم يسبق أوله آخره ، ولا آخره أوله ، قدرة قدير ، لا يعجز عن الأمور والتقدير . فكان في حد واحد لا يفضل بعضه بعضاً ، ولا يزيد بعضه على بعض ، بل متساوي ومتكافي[2] لا تغير فيه ، ولا تزايل ، ولا تباين[3] ، وذلك بميزان العدل ، وموجب الحكمة دفعة واحدة ، إشراقه وظهوره مثل حب التين الذي يلفه غشاوة ، وظهوره معاً كما ذكر ذلك حميد الدين ، وضرب بحب الرمان والجمار من النخل المثل دفعة واحدة ، من غير تقدم لبعضه على بعض .

وقال في ذلك الشخص الفاضل صاحب الرسائل[4] : إن الأمور أوجدت دفعة واحدة ، لأن الله تعالى قدر أمر خلقه لما بدا بالقوة في دفعة واحدة ،

---

١ في العرفان الإسماعيلي «كن» هي الكلمة القدسية التي أبدع الله تعالى فيها كافة الحدود وقالوا إن الكاف منها دليلا على السابق والنون إشارة إلى تاليه ، أي إلى التالي . ويقال لها الأصلان العلويان يقابلهما في عالم الدين الناطق والأساس .

٢ متساوي ومتكافي : مساومة كاف جـ وط .

٣ لأنه هو التمام ، وهو التام على الحقيقة ، ويستحق أن يكون تاماً لامتناع الوجود من نوع وجوده ، فإن الشيء التام هو ما لا يوجد له خارجاً عن مثل في نوعيته . لأنه سرمدي الذات يستحق اسم الواحدية . والتباين : التفاوت لأن التفاوت يلزم النقصان بالذوات الطبيعية التي تظهر عند إضافة بعضها إلى بعض .

٤ انظر رسائل إخوان الصفا (الرسالة الرابعة في العقل والمعقول) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبالفعل[1] بالتدريج حتى تكون نهايته تامة كاملة ، وبلوغه إلى الحال الأفضل، والأمر الأكمل ؛ وهذا هو الحق بأن ذلك العالم لما أوجد كان وجوده جميعه بالقوة التي هي الكمال الأول في درجة التساوي «لا إله إلا الذي لا يوصل إلا بحدوده إلى معرفة توحيده ، وأهل الزيغ يتناهون في تشبيهه وتحديده ، وقال أيضاً : اللهم يا من جلّ عن علة المحدود وعلا عن ذكره الموجود وخفي في وجوده وظهر في حدوده دل بما ظهر من الموجود في مبدعاته على توحيده ، وقال في بعض أشعاره في ذلك :

هم الأولى بهم تجلى ربنا لخلقه سبحانه عز وجل

وقال في موضع ثان :

هم نهايات كل من خلق الـ ـله وغايات خلقه والسلام
واليهم تنمي اللطائف إن را حت إلى الأرض تنتمي الأجسام

وقال في بعض خطبه : وأشهد أن لا إله إلا الذي من الحد في التساوي »[2] في الحياة والعلم والقدرة التي فطروا عليها ، وأوجدوا على التشاكل فيها ، ولا يصح لأحد منهم إلاّ الكمال الثاني بالفعل المؤدي إلى ذلك .

وقد صورنا لك هذا الضرب في كيفية وجوده معاً متساوياً في الكمال الأول بالقوة ، ثم ظهور من ظهر منهم إلى الفعل الذي هو الكمال الثاني ، لتعاين حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى ، ويكون المرتاد[3] على بصيرة ويقين ، يلوح له الحق المبين فلا يدخل على من تجلت قدرته في عدله الجور في اختيار شخص على شخص بغير علم ولا عمل، وفي الخلقة الجسمانية ما يدل على المبدع ٨٧/١٧١

١ ينتقل القائم بالقوة الذي يعتبر ناقصاً إلى القيام بالفعل وهو الكمال عن طريق تلقي الاستفادة العلمية من المفيد .

٢ سقطت هذه الأسطر الموضوعة داخل قوسين من جوط .

٣ يريد طالب العلوم الروحانية الباطنية يعني المستفيد طالب التأييد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأول ، وذلك أن الشخص البشري يولد الكل منهم أطفالاً جهالاً لا علم لأحد منهم يفضل به على من سواه إلاّ كما قال الله تعالى : ﴿ واللهُ أخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾[1] الآية . فذلك العالم كان متساوياً متكافئاً من طريق العدل بالقوة في كمالهم الأول من حياة وعلم وقدرة .

وهذه الصورة مثلاً مضروباً يهتدي بها « هذا التصوير »[2] وقد جعلناه تقريباً للافهام في معرفة الابتداء ، لكونه الأصل الذي تتفرع منه العلوم كما قال مولانا القائم صلوات الله عليه[3] : معرفة الابتداء والانتهاء العلمان الجليلان[4] اللذين تفرعت منهما العلوم ، والنبأ لا يكون إلاّ على الأساس الصحيح .

وذلك أن عالم الإبداع الذي صورنا كون ظهوره معاً دفعة واحدة لم يسبق أوله آخره ، ولا آخره أوله ، متساويين متكافئين بميزان العدل ، وموجب الحكمة في الكمال الأول بالقوة ، في الحياة والعلم والقدرة ، بلا تفاضل ولا تباين ولا تغاير ولا تفاوت .

إذ لو كان ذلك كان بالنقصان في القدرة ، وإما العجز في المشيئة ، وإما الجور في الخيرة ، وجميع ذلك منفي عمن جلت قدرته ، وعظمت مشيئته ، فكان وجودهم معاً على سبيل النقط التي جعلناها في الوسط على سبيل ما ذكرت الحكماء ، ومثلته بحب التين المجتمع في كل حبة منه ما لا يحصى .

فلمّا كانوا على ذلك تحرك منهم واحد من ذاته بذاته ، حركة فكرة

---

١ سورة ٧٨/١٦ .
٢ سقط ما بين قوسين في ج وط .
٣ يريد الإمام الفاطمي القائم بأمر الله الخليفة الثاني في المغرب (٢٨٠ – ٣٣٤ هـ .)
٤ يقصد المبدأ والمعاد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتمييز وفطنة في كون ذلك العالم الروحاني النير الكامل في ذاته[1] وظهورهم معاً ، ولا إدراك له في كيفية وجودهم ، فهجمت به فكرته ، وقررت عنده فطنته ، أن لذلك العالم مبدعاً أبدعه ، وموجداً أوجده بمشيئته وقدرته ، وإنّه لا يدرك ، ولا يحاط به ، ولا يشبه شيئاً من صنعته ، وأنّه يعجز عن إدراكه ومعرفته ، إلاّ بوجود ما أوجده من عدم لا أصل له فنفى عن الجميع من عالمه الإلهية ، وأثبتها للمتعالي سبحانه المحق الذي لا شبه له ولا ند ولا ضد ، ولا مثل ولا مثيل ، ولا شكل . فنطق بالشهادة مفصحاً ، وأعلن بها مصرحاً ، كما جاء في الذكر الحكيم في قوله : ﴿ شَهِدَ اللهُ أنّهُ لا إلَه إلاّ هُوَ وَالمَلائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قائِماً بالقِسْطِ لا إلَهَ إلاّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[2] . فشهد له بالإلهية ، والعزّة ، والحكمة .

وقد جاء عن الشخص الفاضل صاحب الرسائل في الرسالة الجامعة[3] قال : وأمّا الواحد الموصوف بالجلالة والعظمة المشار إليه بالوجود . وأنّه مبدأ كل موجود ، يقبل فيض الجود وإليه تنتهي الحدود ، فهو العقل الأول ومبدعه يجل عن صفة الواصفين ، ونعت الناعتين ، وإنّما يقال : هو لا إلهَ إلاّ هو إيماناً وتسليماً .

فهذا القول هو إثبات التوحيد ، ولذلك صار الأصل المعتمد عليه في كل شريعة ودين ، وذلك أن العقل الأول نفى عن ذاته الإلهية ، وأثبتها لمبدعه فقال : لا إله إلاّ هو ، فوحد مبدعه وهو عقل ، بمعنى إثبات الوحدة المحضة بذلك ؛ لأن اتصال التأييد به متواتر لا يفنى ولا يزول ، بل متصل دائم أبداً ، وذلك بسبقه[4] ، ولذلك قال : ﴿ ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ ﴾[5] .

---

١ ذاته : سقطت في ج وط . ٢ سورة ٣/١٨ .
٣ النص مأخوذ من رسالة الجامعة الورقة ١٨٠ من النسخة الخطية الموجودة في مكتبتنا الخاصة .
٤ لأنه السابق في الوجود ، والموجود الأول . ٥ سورة ١٦/٩٦ .

فهذا ما جاء عن الإمام الفاضل أصدق كل قائل . وكذلك جاء عن سيدنا جعفر بن منصور اليمن قس [1] في مثل ذلك بقوله : الحمد لله مؤيد الحق ونصيره ، ومظهر الخلق بتقديره وتدبيره ، | ومقسم الأرزاق بتقديره ؛ ومدحض الباطل ومبيده ، ومجري الفلك بتسييره ، ومضيء النهار بسناء نوره ، والدال على توحيده ببراهينه ، ومستعبد جميع عباده بحدوده الذين جعلهم بينه وبين خلقه سبباً متصلاً لا ينفصل ، وأعجزهم عن معرفته ، الاّ من سببه ؛ واحتجب بحجاب عظمته عن بريته ، ودل على نفسه بنفسه ، وتصمد بعظيم ربوبيته عن أن يدرك بحس ، ولا يُعلم بلمس ، ولا يحيط بكنهه جن ولا إنس ، ولا يشرك في ملكه أحد ، أبدع قبل أن خلق ، فتعالى عن التشبيه بما أبدعه ؛ بل أفاض عظمته وجلاله وسناء نوره وبهاء قدرته ، على ما أبدعه ، الذي نفى عن هويته الإلهية ، وأقر لمبدعه بالوحدانية . ولو لم يوقع النفي بذاته في ابتداء نطقه ، لما كان لأحد إلى معرفة مبدعه سبيل ، ولا ثبت الإقرار ، فكان النفي تثبيتاً [2] بقولك : إلاّ الله . فدل أن ثمة إله مبدعاً للمبدع ، فكان في نفي المُبْدَع الإلهية عن ذاته إثباتاً لمُبْدِعه ، وكان في إثبات الإلهية بعد النفي سبب ظهور الخلق . فكان المُبْدَع خالقاً تنزيهاً للمُبْدِع وتعظيماً لقدرته ، فكان الإبداع

٨٨/١٧٤

---

١ جعفر بن منصور اليمن من كبار علماء الإسماعيلية وصاحب المؤلفات العديدة في علم التأويل وعلم الحقيقة ، ولد في اليمن سنة ٢٧٠ هـ ، عاصر عدة أئمة من الخلفاء الفاطميين وتوفي في خلافة المعز لدين الله في المنصورية سنة ٣٤٧ هـ . وصل إلى أعلى مرتبة من مراتب الدعوة الإسماعيلية (باب الأبواب) واسمه كما ورد في النصوص الإسماعيلية جعفر بن الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي . لقب والده الحسن بمنصور اليمن لما حقق من انتصارات في اليمن . والنص مأخوذ من كتابه سرائر النطقاء ؛ سقطت « قس » في النسخة ج .

٢ يذهب الإسماعيلية إلى أن الشهادة مبنية على النفي والإثبات ، فالابتداء بالنفي والانتهاء إلى الاثبات . وقالوا إن الكلمات الأربع من الشهادة « لا إله إلا الله » هي جنة بالحقيقة ومفاتيحها الأربعة ، الأصلان العلويان السابق والتالي ، والأساسان السفليان الناطق والأساس . ومن ينكر أصلا من هذه الأصول لا يتهيأ أن يفتح له شيء من معالم دينه .

من ليس ، والخلق من أيس ، تباركت قدرته ، وجلت عظمته ، فلا يُعلم إلاّ من حجابه ، ولا يؤتى إلاّ من بابه ، ولا يطاع إلاّ من أسبابه ؛ فهذا ما جاء عنه . فحجابه هو المُبْدَع الأول ، وبابه النهاية الثانية في عالم الدين ، وأسبابه الدعاة إليه في كل عصر وزمان .

وهذه البراهين الأربعة[1] :

الأول منها عن حميد الدين ، والثاني منها ما جاء به التنزيل المُبين ، والثالث منها عن الشخص الفاضل صاحب الرسائل ، والرابع عن الداعي المؤتمن جعفر بن منصور اليمن نضر الله وجوههم جميعاً ، ورزقنا شفاعتهم . وذلك أنّه لمّا فطن ذلك الحد الجليل لما هنالك في الابتداء الأول ، وشَهد لمبدعه بالإلهية ، كان ذلك أصل التوحيد ، وحقيقة التجريد ومعنى التنزيه ، واس العبادة في التقـــديس والتسبيح والتمجيد ، وهو الفعل الذي أُشير إليه بقيامه به[2] ، ووسم به[3] ، وأضيف خاصاً إليه ، وهو أيضاً كماله الثاني ، الذي رمز به حميد الدين ، وهو الوحدة بذاته الأولة[4] الحاملة ، وهو في ذاته فرد محض ، ومزدوج بالكمالين ، وكان المتكثر بذلك « بالأسماء والصفات

---

١ يريد الأقوال التي استقاها من أربعة نصوص لها قدسيتها .

٢ كل آراء علماء وفلاسفة الإسماعيلية في كافة العصور متفقة على أن المبدع سبحانه وتعالى لا مثل له ، فلا يتعلق بتوحيد الموحدين ، ولا بتجريد المجردين ، فيخرج من أن يكون لا مثل له إذا لم يوحده الموحدون ، أو عن نعوت مبدعاته إذا لم يجرده المجردون ، بل هو تعالى وتكبر — وحد الموحد أولم يوحد ، وجرد المجرد أو لم يجرد — لا مثل له ، إذ لو كان لكانا اثنين .

٣ ورد في النسخة ج وط زيادة ثلاثة أسطر في النص من قول حميد الدين : فلما كان الإبداع الذي هو الموجود الأول كمال الثاني بجوهره لا شيء هو غيره كانت جلالته وعظمته ، وقدرته وكبرياؤه ومجده وغبطته ومسرته بذاته على حالة يقصر الوصف عنها تفوق المسرات التي عندنا .

٤ هذا القول مأخوذ من كتاب راحة العقل لحجة العراقين أحمد حميد الدين الكرماني المشرع الخامس من السور الثاني. ص ١٤١ تحقيق مصطفى غالب. منشورات دار الأندلس بيروت .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتناهية بالشرف والجلال وبذلك »[1] ، ثبت أن فعله هذا عن ذاته
بذاته ، في ذاته ؛ لا بقصد عن مبدعه بقضية العدل وموجب الحكمة ، لا
الاختصاص بغير علم ولا عمل ، ولا سابقة استحقاق جور ، فلمّا تم فعله ، ٣
وقبلت شهادته ، التي لم يسبقه بها أحد من أبناء جنسه ، ووقع حينئذٍ به
الاختصاص والاتحاد[2] ، فأشرق نوره ، وبان ظهوره ، وترادف سروره ،
ووقع عليه اسم الإلهية من حيث ولهه في مبدعه ، وحيرته في كيفية إبداعه ، ٦
وأيضاً بوله[3] من دونه في جلالته ، فوجب له اسم السبق بسبقه إلى التوحيد
المحض ، واستحق اسم الأحدية والواحـــدية ، بتوحيده بالأولية ؛ وسمي
بالكلمة[4] ، لنطقه بكلمة الإخلاص دون غيره ، ووجب له اسم الأمر ، لما ٩
تم وكمل في عبادة مبدعه ، فصار بذلك أمره الأول[5] ووجب أن يكون مشيئة ،
وقدرة ، وإرادة ، في ذاته بذاته ، لما نظر وقدر ، وفكر وأقر بالحق الأنور ،
٨٩/١٧٥ وسمي | حقّاً باستحقاقه للفضل والعطاء والجزل ، وسمي موجوداً بتصوره ١٢
لما يبقيه ويؤزله[6] ، وسمي كاملاً وتاماً بكماله ، بما هو حياة العالم ، وكمالهم
وتمامهم بسببه ؛ وسمي عاقلاً وعقلاً معقولاً ، لعقله ذاته عن فكرة سابقة
إلى غير ما فكر فيه ، وفطن به ، وعالماً لعلمه بما هو العلم كلّه ، والعمل ١٥

---

١ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين من ج وط .
٢ يعتقد الإسماعيلية بأن الكلمة هي العلة الأولى لظهور السابق ، فمتى ظهر السابق ، اتحدت به ، فصارت كهوية السابق ، وهي التي تفرد بها السابق ، ولم يفضها على معلوله الذي هو التالي .
٣ بوله : بعده ج وط .
٤ الكلمة تعني بالعرفان الإسماعيلي أمر الله الذي عبر عنه بالحرفين (كن) ليعلم أنه علة جميع من يوجد فيه قيام الزوجية ، فليس شيء إلا والزوجية فيه موجودة ، لذلك فلا شيء خارج من أن يكون الأمر علته . وهذه الكلمة من جهة الأشخاص الطبيعية بلغت إلى الأساسين اللذين أحدهما صاحب التأليف والحركة ، والآخر صاحب التأويل والسكون أي الناطق والإمام .
٥ الأول : الأولي ج .
٦ ويؤزله : يؤن له في ج و ط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلّه ، ووجب له اسم الحياة[1] فكان هو الحي والحياة ، الأولة التي أوجد بها صفته ، فعليه الأسماء والصفات وقفت وحصرت ، وبها شرف ، وبه شرفت ؛ وهو مركزها وعليه دارت .

فهذا حقيقة فعله وقيامه به ، واستحقاقه لجميع ما استحقه بسببه ، وإلاّ ضاعت الفائدة وجور « مبدعه ودخل عليه العجز لو لم يكن ذلك كذلك »[2] وبذلك استحق اسم الإبداع لا من شيء أي لا من معلم ، ولا ملهم ، ولا مشير ، بل من ذاته بذاته .

وقد أوضح ذلك سيدنا المؤيد في بعض خطبه بقوله[3] : فهو الساكن من حيث أنّه استوى على عرشه في الكمال والتمام المتحرك ، شكراً لما وصل إليه من مبدعه من الإنعام ، أحمده ، إذ حمده مكون الأكوان ، المنبعث منه مخترع الزمان والمكان ، حمداً ضرورة عجز العبودية تحسنه ، وإن كانت حركة الوهم تهجنه .

فقد أشار إلى حركة الوهم ، وهو الحمد الذي عنه تكوين الأكوان ، والذي انبعث عنه المنبعث الثاني القائم بالقوة الذي اخترع الزمان والمكان ، بما نبينه في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال حميد الدين ق س : وهو ذو نسبتين[4] : نسبة أشرف بإضافته إلى ما عنه وجوده . ونسبة أدون بإضافته إلى ذاته . ولم يفصل المعنى في ذلك ،

---

١ يريد الحياة بمعناها الظاهر والباطن أي العمل والعلم .

٢ سقطت الكلمات الموضوعة بين قوسين من ج وط .

٣ يعني المؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعاة في عصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، صاحب المجالس المعروفة باسمه التي كان يلقيها في دار الحكمة في القاهرة ، وتضم العلوم العرفانية الإسماعيلية ، والدعاة الذين جاءوا بعده أخذوا عنه كافة علوم الحقيقة . وما أورده المؤلف مأخوذ من المجلس الثامن والتسعين بعد الأربعمائة .

٤ وهو ذو نسبتين : سقطت في م .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأوجب أن يوجد عنه اثنان ، بسبب هاتين النسبتين ، وليس ينسب إلى ذلك الحد الجليل دناءة[1] بتشريف الله له وتعظيمه بما استحقه من الفضل بسبقه ، وإنّما معنى النسبة الأشرف من النسبتين هو تسبيحه ، وتقديسه ، وتوحيده ، وتمجيده ، للمتعالي عليه سبحانه ، وهو الإضافة له إليه هذه[2] العبادة العلمية والعملية . فالعلمية ما هجم عليه من إلهية مبدعه ، والعملية شهادته بما شهد به أول عمل مقبول بما هو أصل التوحيد والعبادة ، كما قال تعالى : ﴿ إلاّ مَن شَهِدَ بالحقِّ وَهُمْ يعْلَمُونَ ﴾[3] وقال : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الّذينَ يَعْلَمُونَ والّذينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[4] . وقال : ﴿ والسّابِقُونَ السّابِقُونَ أولئِكَ المُقَرَّبُونَ ﴾[5] .

فهذه هي النسبة الأشرف للمبدع الأول المخصوص بالإلهية ، المصروف إليه تأييد العالم وتكوينه وتصويره[6] . ذكر الله عز وجل في محكم كتابه بتسميته له في آية واحدة بأربعة أسماء تدل على عظمته ، بقوله : ﴿ هُوَ اللهُ الخالِقُ البارىء المُصَوّرُ لَهُ الأسْماء الحُسْنى ﴾[7] الآية .

وأمّا النسبة الأدون المضافة إلى ذاته ، فذلك أنّه لمّا فكر أولاً فيما قد ذكرناه ، وفطن بإلهية مبدعه فشهد بما شهد به ، واستمر بصدق نيته ، وحسن طويته ، في التقديس والتسبيح والتعظيم ، بفرح وسرور ، وجـذل وحبور ، وغبطة بما حصل له من ذاته بذاته في ذاته ، بما هو عين كماله وتمامه ، وجد عنده من التأييد والبركة والنور بفعله ، خطر في باله عجباً زاده

---

١ هكذا وردت في جميع النسخ وفي كتاب راحة العقل للكرماني والرسالة الدرية في معنى التوحيد .
٢ هذه : سقطت في ج وط .
٣ سقطت هذه الآية من ج وط . سورة ٤٣/٨٦ .
٤ سورة ٣٩/٩ ٥ سورة ٥٦/١٠ ، ١١ .
٦ يريد تصويره عقلياً في المستفيد ليستمد من رحيقه العرفان الحقيقي السرمدي الذي ينقله من حد القوة إلى حد الفعل . ٧ سورة ٥٩/٢٤ .

رفعة وشرفاً من أبناء جنسه [1] ، إذ لم يفطنوا بما فطن به ، ولم يسارعوا إلى ما وقع عليه [2] ، فعلم أنّه بذلك يشرف | عليهم ، ويفضلهم مفتخراً به معجباً ، ٨٩/١٧٦ وهو ما ضربه حميد الدين في المسرّة ، فكان هذا الوهم الثاني هو النسبة الأدون ، ولم يقع عليها اسم الأدون [3] إلاّ بسبب أنها صورة حدثت مع تلك الصورة الشريفة ، ومن ذلك أن كثيراً ممن ينتحل العلم والحكمة يعتقدون أنّه سها أو غفل ، أو ادعى ، وهو يجل عن ذلك ويتكبر . بل هو وهم يزيد في شرفه ، ولكن قد اشتركا في هاتين الصورتين [4] . فهذه « هي الصورة النسبة الأدون » [5] المنسوبة إلى ذاته .

وإنّما مثل ذلك مثل رجل حضر وقت الصلاة إلى مسجد فيه جماعة من المصلين وهو أفضلهم وأعلمهم وأقومهم ، فتوجه في صلاته ، ولم يقم أحد منهم لقيامه ، فاستمر في صلاته ، وفي توجهه وتكبيره ، وقراءته وركوعه وسجوده ، فلحقه في وهمه وضميره العجب منهم ، ومن تخلفهم عن الصلاة في وقتها ، وعن قلّة [6] اتباعهم له ، إذ لم يقتدوا

---

١ لاتصال نور التأييد به من جهة المؤيد فوقف على حقائق الموجودات .

٢ يريد أولئك الذين لم يستجيبوا إلى دعوة الداعي لما دعاهم إلى دعوة الحق العرفانية واكتفوا بما يستخرجونه من جهة الاستدلال بالدلائل الحسية ولم تخطر ببالهم الأشياء الروحانية العقلانية .

٣ في جميع النسخ : الدون .

٤ يذهب الإسماعيلية إلى أن السابق هو ينبوع التأييد ومثله مثل الناطق الذي هو ينبوع التأليف يعني الذي يؤلف بين قلوب المؤمنين بما يوجده من علوم وتشاريع منبثقة من الرسالة التي كلف بتبليغها ، وهو الذي يلطف النفس ويخرجها من حد القوة إلى حد الفعل ، وبتأييد السابق صلاح الدنيا والآخرة ، وإدراك الأشياء المستغلقة . والسابق تام بالفعل من غير أن كان في القوة قبل أن ظهر بالفعل بسبحانيته وقدسانيته في إبداعه الأول تاماً بالفعل ، وهو غير مكتسب قوته وشرفه من شيء آخر ، كاكتساب الطبيعيات المتصرفة بين القوة والفعل . هاتان : هاذان في ط و م .

٥ سقطت هذه الجملة بين قوسين من ج وط .

٦ قلة : خلة في ج .

به ، فخالطوا ما ليس بخطإ . بل قد صارت الصورة صورتين : فصورة هي الصلاة ، وهي أشرفها ، وهي المقبولة ؛ والثانية ما خطر بباله مما ليس هو ملزم[1] به . قال الله تعالى : ﴿ يا أيّها الّذينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[2] . فهذا هو المعنى في النسبتين ، وهو الحد الفاضل ، الكامل ، الأول ، القديم بتقدمه الأزلي بتأزله المضاف إليه الفعل فيما دونه ، ولمّا فعل في ذاته ما جل به وعلا . قال الذكر الحكيم في صفته، وصفة تابعيه من بعده ، بما نذكره في موضعه: ﴿ سَبّحَ للهِ ما في السّمَواتِ والأرْضِ وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ . لَهُ مُلْكُ السّمَواتِ والأرْضِ يُحْيي وَيُميتُ وَهُوَ عَلى كُلّ شيء قَديرٌ ﴾[3] .. ﴿ هُوَ الأوّلُ وَالآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالباطِنُ وَهُوَ بِكلّ شيء عَليمٌ ﴾[4] . هُوَ الّذي خَلَقَ السّمَواتِ والأرْضَ في سِتّةِ أيّامٍ ثُمّ اسْتَوى عَلى العَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ في الأرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السّماءِ وَما يَعْرُجُ فيها وَهُوَ مَعَكُمْ أينَ ما كُنْتُمْ واللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ ﴾[5] . ﴿ لَهُ مُلْكُ السّمَواتِ والأرْضِ وَإلى اللهِ تُرْجَعُ الأمُورُ ﴾[6] . فهذه الآيات تختص به دون ما سواه .

قال سيدنا حميد الدين قس : إن الأشياء لا تزال ترتفع عن الكثرة تحليلاً إلى ما منه وجدت ، الى أن تنتهي إلى واحد ثابت هو علة لجميعها ، وبه قوامها ، فيكون ذلك الواحد المتقدم الرتبة وجوده لا بذاته ، بل هو في ذاته فعل عمن لا يستحق ان يقال انه فاعل ، وهو مفعول لا من مادة ، وهو فاعل لا في

---

١ ملزم : ملزوم في ط و ج .
٢ سورة : ٥/١٠٥ .
٣ سورة : ٥٧/١ ، ٢ .
٤ سورة : ٥٧/٣ .
٥ سورة : ٥٧/٤ .
٦ سورة : ٥٧/٥

مادة هي غيره . وإنّما قُلنا إنّه فعل في ذاته ، لكونه أول موجود، فقد بين أنّه فعل في ذاته لا من مادة ، وهو ما ذكرناه ، وفاعل لا في مادة هي غيره، وهو ما يصور به تابعيه على ما نبيّنه في موضعه .

وقال في فصل ثان : فالموجود الأول أصل إليه ينتهي كل موجود . فقد بيّنَ أنّه علّة لغيره ، وأنّه تام في فعله . وكما صارَ الناطق وجوده ناطقاً لا من جهة من كان من جنسه من البشر ، صارَ الموجود الأول لا عمن هو من جنسه ، فقد صرح أنّه من عالم مثل ما الناطق من جنس البشر[1] .

وقال أيضاً : فإن الصفات والمعاني ، تلحقه بالإضافات ، مثل الحالتين الأوليتين بهما الكمال الأول الذي به يتعلق وجود الذات التي هي الموصوف ، والكمال الثاني الذي به يتعلّق وجود شرف الذات التي هي الصفة . | فالكمال الأول ٩٠/١٧٧ مثله كالحامل ، والكمال الثاني كالمحمول بيانه ، وهما من تلك الذات كالفردين اللّذين بهما وجود الواحد الذي يجمع وحدة[2] ، وما بها صارا واحداً جمعاً ، وهما فردان ؛ ذلك بأن يكون جامعاً للوحدة والكثرة على نظام يبرأ من آية التغاير الموجب وجوده كون ما عنه وجوده على أمرين ، صار كل منهما لوجود كل منهما سبباً ، فيصير كونه على ذلك موجباً ما يتأول عليه ، بريئاً من آيات توجب رتبة وراءه ، وهو واحد بالذات ، كثير بالإضافات[3] ، مثل كونه إبداعاً إذا أُضيف إلى ما عنه وجوده ، وكونه مبدعاً إذا أُضيف

---

١ نجد المؤلف هنا يعمد إلى تطبيق نظرية المثل والممثول والظاهر والباطن معتمداً في بحثه على ما ورد في كتاب راحة العقل للكرماني في المشرع الثالث من السور الثالث فيذهب إلى أن الناطق في التنزيل أي الرسول النبي مثله مثل الموجود الأول أو العقل الأول أو السابق في عالم الابداع .

٢ كما هو معروف عن علماء الإسماعيلية نلاحظ أن المؤلف يطبق نظرية الإسماعيلية في الاعداد فيمثل الناطق بالواحد من الأعداد وما له من خواص ليست لغيره .

٣ لأنه هو مد هو فرد ، وكان فيها هو فرد لامتناع وجود مثله لأنه واحد بالذات . وذاته مزدوجة بفردين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى ذاته ، من غير أن تكون هذه الإضافات داخلة على ذاته بالتغاير[1] ، والكمالان اللّذان هما له كالفردين من ذات المبدع مبدعان ، يستحق كل منهما من حظ الإبداعية ما يستحقّه الآخر ، وذلك أن الكمال الأول الذي يجري مجرى الحامل مبدع ، كما أن الكمال الثاني مبدع ، وهما من جهة الإبداع بكونهما إبداعاً فرداً واحداً ، ومن جهة ذات المبدع فردان بكونهما مبدعين كمالاً أولاً ، وكمالاً ثانياً .

فهو نضر الله وجهه قد بين في هذا الفصل الكمال الأول الذي هو ذات الإبداع المشار إليه بالحياة ، والكمال الثاني هو فعله الذي تصوره من شهادته لمبدعه ، فصارت ذاته الأولة التي هي الكمال الأول حاملة ، والصورة التي هي كماله الثاني محمولة ، وهما فردان مزدوجان ، وهما من جهة كونه مبدعاً فردان ، ومن جهة كونه إبداعاً فرداً . فقد لاح حقيقة الحامل والمحمول ، والكمال الأول والكمال الثاني . فالكمال الثاني فعله الذي حدث من ذاته بذاته في ذاته ، بغير قصد من موجده .

وبرهـــان[2] ذلك أن الإنسان بحياتـــه التي هي أصل وجوده المنمية

---

١ لكونه يختص بمعنى لا يوجد في غيره لأن جميع الأشياء هي ذات المعلول الأول، وجودها من ذات العلة التي هي هو وهو هي ، لكون المعلول في وجوده من عنصر العلة ، وهو واحد بكونه أولا في الموجودات ككون الواحد أولا في الأعداد وانما استحق أن يكون هو الواحد الأول في الموجودات وسلمت هذه المرتبة التي هي أقل القليل وأول الكثرة له بتعالي الذي وجد سبحانه وتعالى عنها . إذ لو كان تعالى يستحق هذه المرتبة وكانت له لكان الموجود عنه اثنين لا واحداً بكون ما يترتب في الوجود بعد الواحد اثنين . لذلك نقول بأنه ذات واحدة متكثرة بالنسب والإضافات .

٢ يناقش هذه المشكلة الفيلسوف الإسماعيلي الكرماني في المشرع الثالث من السور الثالث من كتابه راحة العقل فيقول : « الكمال الأول الذي به يتعلق وجود الذات التي هي الموصوفة ، والكمال الثاني الذي به يتعلق وجود شرف الذات التي هي الصفة ، فالكمال الأول كالحامل مثاله ، والكمال الثاني كالمحمول بيانه ، وهما من تلك الذات كالفردين اللذين بهما وجود الواحد الذي =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لجسمه هو الكمال الأول[1] . فإذا اتصل بالعلم والحكمة ، من قبل أولياء الله الذي هو له صورة ، كان له كمالاً ثانياً ، وحياة قديمة محيية لتلك الحياة الطبيعية[2] ، فهما فردان من جهة إنّهما مخلوقان[3] ، وفرد من جهة إنّهما قد صارا شيئاً واحداً .

وكذلك سئل سيدنا حميد الدين : هل على الابداع تكليف ؟ فقال : التكليف عـــلى وجهين : تكليف مطلق ، وهو تكليف الأجرام والأفلاك على جريانها . وتكليف غير مطلق ، هو عبادة البشر ، ليصير من جهله ونقصه إلى غاية الشرف ، وعبادة العقل الأول لمبدعه ، هو نفي الإلهية عن ذاته ، وإثباتها لمبدعه ، من جهة الإقرار به ، والخضوع له ، والابتهال إليه والتسبيح ، والتقديس ، لا من جهة الإدراك ، فهو قبلة القبل وميزان العدل في التوحيد ، وإمداده لما دونه دائماً ، فلو انقطع لحظة ، لفسدت السموات والأرض[4]، ولبطل التوحيد ، وانقطع التأييد ، وعطلت الحدود ، ولصار أمر العالم إلى الفناء ، وليس للإفادة عنه عمل نوره ، وضياؤه الثواب للمؤمنين ، وناره العذاب للجاحدين .

= تجمع وحدة وما بها صار واحداً جميعاً وهما فردان ، ذلك بأن يكون جامعاً للوحدة والكثرة على نظام يبرأ به في آية التغاير الموجب وجوده وكون ما عنه وجوده على أمرين ، لوجود كل منهما سبباً فيصير كونه على ذلك موجباً ما يتأول عليه ، بريئاً من آيات توجب كل منهما رتبة وراءه ، فهو واحد بالذات ، كثير بالإضافات » .

١ يعني أن الكمال الأول يحصل للإنسان من العبادة الظاهرة ، وكماله الثاني العلمي يأتي من العبادة الباطنة . المنمية لجسمه : المميتة الحية ج وط .

٢ يريد أن الغوص في العرفان الباطن يحيي العمل الظاهر .

٣ بهذا الأسلوب الفلسفي يثبت ضرورة الأخذ بالعبادتين العملية والعلمية وإطاعة الإمام الذي تتجسد فيه العبادتان في حالة عدم وجود الناطق صاحب العبادة العملية ، لأنه يقوم مقامه ويحمل رتبته الروحية والدينية .

٤ أي لو خلت الأرض من الإمام لحظة لمادت بأهلها .

وقال أيضاً : والإبداع الذي هو المبدع بكونه عين الكمال متجالل عن أن يكون ناقصاً فيرجع إلى ذاته نقصانه ، أو إلى من وجد عنه ، فإذا كان متجالاً فهو دائم لا يستحيل[1] .

ثم ان الإبداع الذي هو المبدع الأول لا يجوز أن يكون له مثل في الوجود بنوعيه[2] فيكونا اثنين ، إذ ذلك يوجب انقسام ما وجد عنه بضرب من الانقسام ، حتى وجد عن كل قسم ما أوجبته | نسبته . ٩٠/١٧٨

فقد بين أنّه لا يكون ناقصاً فيرجع نقصانه إلى ذاته ، ولا له مثل في الوجود ، يعني في التصور الذي تصوره ، والفعل الذي قام به وسبق إليه ، فسمي بذلك قديماً ، بتقدمه على أبناء جنسه ، إلى ذلك . وأزلي الغاية بوجوب البقاء السرمد ، والحياة أبد الآبدين بتوحيده لمبدعه ، وإقراره[3] بالالهية بلا[4] واسطة ، ولا مادة ، ولا وحي[5] ، ولا إفادة ، وبذلك أيضاً أوجب الله تعالى لمن وحد ما وحده ذلك الحد الجليل ، ولم يشرك به ، وعرف شرف هذا الحد الجليل بحقيقة معرفته ، وتوجه به إلى من جلت قدرته ، وعرف الحدود ، ونزل كل حد في حد الأزلية والبقاء والسرمد ، وكانت نسبته إلى موجده ومصوره ، وكان في تصوره كعين ما تصوره[6]. وذلك الحد الجليل ذاته ذات أمور عشرة:

---

١ ولا يتشبه به في الدوام والتسرمد والتأزل ، لأن الاستحالة ضرب من الفساد لنقصانه . المشرع الرابع من السور الثالث من راحة العقل .

٢ بنوعيه : بالنوعية في ط .

٣ بأنه لا يعتوره الانقسام بضرب من الضروب لا بالقول ولا بالكم لما يجب به من وجود ما يتأول عليه سبحانه وتعالى .

٤ بلا : سقطت في ج .

٥ كونه موصوفاً بالتمام والتام عاقلا لذاته بكونه أشرف الموجودات .

٦ كل هذه المناقشة للإثبات بأن الناطق الذي هو من عالم الدين مبدأ لدوره، به يتعلق وجود من سواه وانه كامل ثابت على ما به أعطي كمالا يطابق ذلك في عالم الإبداع في كونه كاملا أزليا لا يستحيل عما عليه وجد ، وكونه واحداً لا يشاركه في رتبته غيره ولا يماثله في رتبته سواه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أولها أن يكون حقّاً أولاً بوجوده عن المتعالي غاية تنتهي إليها الموجودات في وجودها [1] ، يعني في تصورها ما تصوره ، وهو حق بما جرى له من ذاته ، من الفطنة الحقيقية [2] .

والثاني ، أن يكون موجوداً أولاً .

والثالث ، أن يكون واحداً بتوحده ، بما توحد به من التوحيد ، فاشتق له من توحيده اسم الواحدية .

والرابع ، أن يكون تاماً بتمام صورته .

والخامس ، أن يكون كاملاً بكماله هذا الثاني .

والسادس ، أن يكون أزلياً ، بما وجب له من البقاء بفعله المقبول .

والسابع ، أن يكون عاقلاً ، بما عقل به أنه مبدع مخترع [3] .

والثامن ، أن يكون عالماً ، بعلمه من ذاته بذاته ، أن المبدع الحق حق لا يشبه بشيء من مخترعاته ، وأنّه يتعالى عن صفات موجوداته .

والتاسع ، أن يكون قادراً بما خصّه مبدعه من القدرة على فعل ما دونه في جميع حالاته .

والعاشر ، أن يكون حيّاً ، والحياة صفته بتوحده أولاً بالكمال الثاني الذي هو المحيي للعالم بأسره ، وذلك يصححه قوله : ﴿ يا أيّها الّذين آمَنُوا اسْتَجيبُوا لله وللرَّسُولِ إذا دَعاكُمْ لما يُحْييكُمْ ﴾ [4] .

فهذا الخطاب إلى المؤمنين أحياء ، وذلك أنهم آمنوا بالله وأطاعوا رسله

---

١ أي مستغنياً عن غيره ممن وجودهم به من الحدود في الدين .

٢ الحقيقية : الحقائق في ج .

٣ أي عقل العاقل لما يعقله لنيل الكمال وتقويم الذات ، وليس كماله في عقل شيء هو أشرف منه سواه فيضطر إلى عقله فينال كماله ، وهو عاقل لذاته وحدها ، مستغن عن الغير بما أبدعت عليه ذاته من الجلال والغناء . أنه مبدع مخترع : المبدع المخترع ج .

٤ سورة ٨/٢٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكانوا بذلك مسلمين مؤمنين بالإسلام ، أي مصدقين ، فلمّا خوطبوا باجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما يحييهم حياة حقيقية محيية لإسلامهم ولأنفسهم ، وذلك إشارة إلى دعاء الرسول لهم إلى طاعة وصيه[1] والقبول عنه عند النص عليه . مصداق ذلك لقوله تعالى يوم النص: ﴿ اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ ديناً ﴾[2] . فكان من أطاعه إلى ما دعا إليه، ودل عليه ، حيّاً وناطقاً ، وقائماً بالفعل ، وبشراً وإنساناً بالحقيقة ، وكاملاً ، وتاماً ، وقادراً ، وعالماً ، وعاقلاً ، وأزلياً ، وموجوداً ، وموحداً ، وحقّاً . ومن تكبر وعصى وعتا ، كان بالضد من ذلك .

والنطقاء والأوصياء والأئمة هم النهاية الثانية يستحقون بصفاء جوهرهم ، وإنارة بصائر ذواتهم ، ولطف صفاتهم ، ما تستحقّه الذوات الإبداعية ، وكل حد من ذلك العالم مقابل لحد من حدود الدين ، ولهؤلاء الحدود الثلاثة كمال أول هو ظهورهم بالقامة الألفية ، والكمال الثاني قبولهم لما اتصل بهم من المواد الإلهية ، والتأييدات القدسانية .

قال سيدنا حميد الدين ق س في صفة الأول : فهو الحق وهو الحقيقة وهو الوجود الأول والموجود الأول وهو الوحدة ، وهو الواحد ، وهو الأزل وهو الأزلي ، وهو العقل الأول ، وهو | المعقول الأول ، وهو ٩١/١٧٩ العلم ، وهو العالم الأول ، وهو القدرة ، وهو القادر الأول وهو الحياة[3] ،

---

١ يريد بذلك أن الرسول الملهم عندما أوصى بأن يقوم مقامه بخلافة المسلمين الدينية والدنيوية وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تلميحاً واشارة ورمزاً في عدة مناسبات أو عدة بيعات لم يقبلوا ذلك ونكروا كل رمز يشير إلى صاحب الحق الشرعي ، بموجب النص من الله تعالى .

٢ سورة ٥/٤ .

٣ وردت هذه الآراء في السور الثالث المشرع الخامس من راحة العقل للكرماني هكذا « فهو الحق والحقيقة ، وهو الوجود الأول ، وهو الموجود الأول ، وهو الوحدة ، وهو الواحد ،=

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهو الحي الأول ، ذات واحدة تلحقها هذه الصفات ؛ وهذا الفصل بيان ما شرحناه ، وأولناه ، وفصلناه .

وقال : ثم إن الحياة هي القابلة لما يليق بها بحسب مراتبها في الوجود في كمالاتها ؛ فإن كان وجودها وجوداً أولاً كالإبداع ، فكمالها الثاني تابع وجوده وجودها معاً[1] ، إذ ليس يتقدم عليها شيء ، فيكون وجودها كمالاً أولاً ، وإحاطتها بالذي تقدم عليها كمالاً ثانياً . بل ذاتها أقدم من كل قديم[2] وهو في بهائه ، وكماله ، وجماله ، ومسرته بذاته[3] أعظم من أن ينال بوصف ، وإنّه ممتنع إحاطته بما هو خارج عنه ، الذي عنه وجوده ، وإنّه مشتاق إلى ذلك متحير فيه ، وإنّه الاسم الأعظم ، والمسمى الأعظم .

[و] لما[4] كانت الهيبة والبهاء والقدرة والكبرياء ، والعظمة ، والسناء ، والمجد ، والعلاء ، والبهجة والضياء ، والغبطة والمسرة ، للأشياء كلّها ، في كمالها الثاني ، وكان الكمال الثاني للأشياء إما بجواهرها ، وإمّا بأعراضها ، وكان كمال ما يكون كماله في أعراضه مثل كمال الملوك بما هو لهم في ممالكهم

= وهو الأزل ، وهو الأزلي ، وهو العقل الأول ، وهو المعقول الأول ، وهو العلم ، وهو العالم الأول ، وهو القدرة ، وهو القادر الأول وهو الحياة ، وهو الحي الأول ، ذات واحدة تلحقها هذه الصفات يستحق بعضها لذاته ، وبعضها بإضافته إلى غيره من غير أن تكون هناك كثرة بالذات . . . » ص ١٨٩ تحقيق مصطفى غالب .

١ انظر السور الثالث المشرع الخامس . في الأصل « وجوده وجودها وجوداً معاً »

٢ أقدم من كل قديم ولازم بكونها على ذلك أن يكون كمالها الأول الذي هو في ذاتها هو كمالها الثاني الذي هو في صفاتها فلا يحتاج إلى شيء غيره فتكمل .

٣ أي بجوهره لا بشيء هو غيره .

٤ ورد هذا النص في راحة العقل انظر السور الثالث المشرع السادس وفيه بعض الاختلاف لذلك نورده كما وجدناه « لما كانت الهيبة والبهاء والقدرة والكبرياء والعظمة والمجد والعلاء والبهجة والضياء والغبطة والمسرة للأشياء كلها في كمالها الثاني ، وكان الكمال الثاني للأشياء إما بجواهرها =

الذي هو في رجالهم وعساكرهم ، وأموالهم وزينتهم ، وجمالهم وسياستهم ، ومسرّتهم وغبطتهم ، بهذه المنزلة على الغايات التي تبهر الأنفس ، وكان البهاء والمجد والمسرة والاغتباط للذي يكون كماله الثاني بجوهره أعظم من ذلك ، ولما كان المبدع الأول الذي هو الموجود الأول كماله الثاني بجوهره ، لا بشيء هو غيره ، كانت جلالته وعظمته وقدرته وكبرياؤه ومجده ، وغبطته ومسرته بذاته على حالة يقصر الوصف عنها ، وتفوق المسرات التي عندنا ، وذلك بأن الأشياء المتناهية في الشرف في دار الإبداع ، المفارقة للأجسام ، هي مجامع الغايات ، والاغتباط والمسرات . إلى قوله : ثم إن المبدع الذي هو الموجود الأول لو لم يكن علّة لوجود ما سواه لما كان للموجودات وجود .

فمراده بأنّه علّة لهم بتصويرهم وتأييده لهم ، وإمداده إياهم بكونه بذلك خالقاً وبارياً[1] ومصوراً بالكمال الثاني لعالم الإبداع ، ولعالم الخلق جميعاً بالكمالين جميعاً . وبرهان ذلك قول من جلت قدرته مخاطباً لواحد من أصحاب رسوله الكريم .

﴿ يا أيّها الإنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكريمِ الّذي خَلَقَكَ فَسَوّاكَ فَعَدَلكَ . في أيِّ صُورَةٍ ما شاء رَكَّبَكَ ﴾[2] .

وهذه الإشارة بالربوبية من قبل التربية إلى الرسول . وبالخلق والتعديل للصورة العلمية ، فذلك كذلك .

وقول سيدنا حميد الدين ق س[3]: ولما كان لا عائق للمبدع الأول عن

= وإما بأعراضها ، وكان كمال ما يكون كماله في أعراضه مثل كمال الملوك الذي هو في رجالهم وعساكرهم وأموالهم . . »

١ جاء قول الكرماني في المشرع السابع من السور الثالث هكذا « ثم إن الإبداع الذي هو المبدع السابق على كل شيء في كل شيء لو لم يكن علة لوجود ما سواه ، لما كان للموجودات وجود » .

٢ سورة ٦/٨٢ ، ٧ ، ٨ .

٣ انظر السور الثالث المشرع السابع من كتاب راحة العقل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفعل بتمام قدرته لا من خارج بشيء تقدمه ، ولا من ذاته بمادة تعوقه[1] ، كان المبدع الأول الذي هو الإبداع علة لوجود الموجودات ، إلى قوله : ولما كان المبدع الأول هو الحي الأول ، ولا يكون حيّاً ما لا يفعل ، كان المبدع فاعلاً . وإذا كان فاعلاً والفاعل علّة لوجود مفعوله ، فالمبدع الأول علّة لوجود ما سواه . فهو المحرك الأول والعلة الأولى .

وهذا الفصل قد أوضح أن له فعلاً أولاً استحق به ما وصفناه . وفعلاً آخر فيما دونه بقوله : المحرك الأول ، وذلك بدعائه لهم . مثل الرسول لما طرقه التأييد كان فاعلاً في من دونه[2] محركاً لهم بدعوته إلى توحيد الله تعالى وعبادته . ٩١/١٨٠

وقد أوضح سيدنا حميد الدين ق س حقيقة ذلك بقوله : فالأول محرك لجميع المتحركات إلى ما يكون فيه القيام بتسبيح خالقها[3] ، وان الكمال الذي هو له ، هو السبب في تحريك غيره بكونه المتقدم في الحركة من ذاته بذاته إلى ما وصل إليه ، واتصل به ، فهو القديم دون غيره بذلك[4] .

كما جاء عن سيدنا حميد الدين ق س « من الزاهرة في الفصل الثاني في

---

١ في راحة العقل « تعوقه كان المبدع الأول الذي هو الإبداع علة لوجود الموجودات » . وبعد عدة أسطر من المناقشة يصل الكرماني في راحة العقل إلى « ثم لما كان المبدع الأول هو الحي الأول . . » .

٢ أي فيمن دونه من الأوصياء والمتممين والأئمة والحجج . والناطق فاعلا في الأنفس صور التوحيد .

٣ لأنه الموجود الأول والمحرك الأول والعلة الأولى لا يحتاج في إصدار الافعال إلى غيره لكماله إذ فعله في ذاته ، وذاته لذاته مادة فيها يفعل . وذاته صورة بها يعمل ، وما يكون وجوده هذا الوجود فلا يحتاج إلى غيره في الفعل .

٤ لأنه سبب لوجود جميع الموجودات في عالم الدين في دوره الذي هو أوله ، ومبدأه من وضائعه ومراسمه وحدوده .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عين المسائل »[1]: فإذا كنت تريد بقولك إن القديم هو الله البارىء تعالى فغير مسلم لك هذا القانون ، للفساد الذي يتضمنه هذا القول ، لأن القديم من الأسماء التي يسميها العلماء المضاف ، وهو اسم واقع على شيء مقترن بشيء آخر هو متقدم عليه ، وذلك متأخر عنه ، ولولاه لما استحق أن يقال عليه قديم ، والبارىء كان ولا شيء ، وإذا كان ولا شيء فلا يستحق أن يقال عليه القديم الذي يفيد بمعنى من المعاني شيئاً ينجر في الوجود معه شيء آخر فيكونا معاً.

ثم إن القديم اسم ، وهو دال على شيء متقدم على شيء ، ولا يخلو هذا الشيء الذي تقدم على الأشياء إمّا أنّه هو الباري تعالى كبرياؤه عن ذلك ، أو هو غيره ، فإن كان غيره فاسم الغير المفيد من المعنى أنّه ليس بإله إطلاقه على الإله الحق من المحال ، وإن كان هو الله تعالى فبوجود أشياء هي غير الله يلزم أن من الشيء ما هو الله ، ومنه ما هو غير الله . وإذا لزم ذلك أن يتقدمهما ما يجري منهما مجرى الجنس ، وكون الله تعالى المخبر عنه بأنّه متقدم على[2] الأشياء في تعاليه عن سمة العقليات وصفة الحسيات بخلاف ما يوجبه نص الخبر ، دليل على أن الخبر الذي يؤدي أنّه قديم كذب وباطل ، وإذا كان باطلاً وكذباً ، بطل أن يكون شيئاً ، وإذا بطل أن يكون شيئاً ، بطل أن يكون قديماً ، أو محدثاً . وإن أردت غير ذلك ، فنقول : إن القديم شيء ، والمحدث شيء ، والأشياء في وجودها على ضروب ثلاثة : منها ما يكون سابقاً في الوجود ، فهو متقدم لا يتأخر كالعقل المقول عليه إنّه قديم[3] . ومنها ما هو متأخر في الوجود فهو متأخر لا يتقدم كالطبيعة المقول عليها إنّها محدثة . ومنها ما يكون

---

١ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين من ج وط .

٢ متقدم على : سقطت في ج وط .

٣ يريد بقدمه أي وجوده الأزلي لوقوعه من جهة الابداع في الثاني وكونه عقلا ، وإذ كان أزلياً فمحال انتقاله عما وجد عليه أولا ، والعقول في دار الطبيعة منبعثة انبعاثاً ثانياً .

تارة بالإضافة إلى ما فوقه متأخراً، أو تارة بالإضافة إلى ماهو دونه قديماً كالعقل الثاني. وتقدم هذه الأشياء وتأخرها لا تقدم زماني[1] بل في الرتبة، وكلّها واقعة تحت اختراع الذي لا تلحقه الأوهام، ولا تنبىء عنه الأقلام، تعالى الله، وتكبر عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

وهذا الفصل بين أن اسم القدم، واقع[2] على هذا الأول، لكونه موجوداً وشيئاً تقدمه، فاستحق اسم القدم بتقدمه على هذا الشيء الذي تأخر عمّا تقدم إليه هذا المتقدم، ونفى عن الله تعالى الباري اسم القدم، إذ كان ولا شيء، فقد أسفر معنى الكلام فيما ذكرناه.

وقال أيضاً مصرحاً مفصحاً في بعض رسائله: فلا يقال على المتعالي ما يقال على الأمر الذي هو أول موجود عنه أنّه فاعل[3]، ولا أمر ولا مبدع، بل نقول على سبيل الافهام وهو أدق ما في إمكان العقل إثباته، من إنية غير موصوفة | خارجة «عن ذاته هو فقط إذا كان لفظ هو منه دالاً على ما كان خارجاً عن ذاته ولفظ هو وإن كان واقعاً على المبدعات بإشارة بعضها به إلى بعض مما هو خـــارج عنه من أسباب وجوده أو غيره فليس»[4] للناطق بد عند النطق من استعادته واستعماله، فهو الذي يوجد

٩٢ / ١٨١

---

١ ومن المحال حسب المفهوم العرفاني الاسماعيلي أن يتقدم الثاني في الشرف على الأول، والذي أشار إليه المؤلف، من صفات ما يكون متأخر الوجود الذي يحتاج في خروجه إلى الفعل، وإلى ما هو قائم بالفعل، فالعقل الأول عقل بالفعل، وكذلك الثاني، وما يتبعه مما هو مفارق للمواد من العقول، ولا يجوز اعتقاد ما يلزم موجوداً من دار الطبيعة، ويختص بها فيما هو خارج عنها من الحدود العالية.

٢ واقع: وانه واقع في ج وط.

٣ في ج وط أضاف الناسخ إلى الأصل: واقعاً على المبدعات بإشارة بعضها به على بعض مما هو خارج عنه من أسباب لفظة هو منه دالا على ما كان خارجاً عن ذاته ولفظ هو وإن كان إثباته من انية محضة غير موصوفة خارجة عن ذاته أنه فقط إذا كان.

٤ سقطت الأسطر الموضوعة داخل قوسين من ج وط.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عنه الفاعل ، والأمر ، والعال ، والمبدع سبحانه حتى يكون ذلك الفاعل والآمر والعال والمبدع الذي هو العقل بكونه علّة ومعلولاً ، وجوده في ذاته ليس إلاّ عنه الذي هو خارج عن ذاته تعالى وتكبر ، وبذلك نطق الكتاب الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد ﴾[1] .

وقوله حيث يقول جل من قائل: ﴿ شهدَ اللهُ أنّهُ لا إلهَ إلاّ هُوَ ﴾[2] . يعني أن الله الذي قد ألّه فيما هو خارج عنه ، من موجده ومبدعه تعالى ، فتحير وولّه إليه ، فاشتاق الذي هو العقل الأول لأن[3] يدرك الأشياء كلّها ، ويحصلها بماهيتها وهويتها ، وعلى ما هي به ، ويتصورها فلا يأله فيها ولا يأله إليها ، ولا يتحير ، ولا تغرب عنه ، ولا يلحقه من إدراكها عجز ولا قصور ، إلاّ فيما أشار إليه بقوله : إلاّ هو الذي هو خارج عنه ، وعنه وجوده تعالى الله وتكبر . أي أقرّ العقل عند الألوهية والتحير ، والوله والشوق ، الذي له إلى مبدعه ، وهو قوله : شهد الله أنه لا إله إلاّ ، أي لأوله ، ولا إلهانية . وهو قوله : « إنه لا إله إلاّ فيما هو هو أي خارج عنه وهو قوله »[4] إلاّ هو ، فلا إلَه إلاّ هو سبحانه وتكبر عما يقول الظالمون ، علوّاً كبيراً .

فالأمر الأول الذي هو كونه كلمح البصر ، وهو المأمور الأول الذي لا يتغير ولا يستحيل عمّا هو ذاته ، والمعلول الأول الذي وجوده من ذات العلّة التي هي هو ، فتصير العلّة من جهة[5] ذاتها معلولة ، ومن جهة

---

١ سورة ٤١/٤٢ . ٢ سورة ٣/١٨ . ٣ لأن : سقطت في جميع النسخ .

٤ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين من ج وط .

٥ لكون ما وجوده عن الله سبحانه وجوداً أولا ذاته غير ذي غير بكونها عين الفعل الذي هو أول وجود عنه تعالى ، وذات الفعل ذات واحد لا ذاتين ، وإذا لم يكن وجوده وجوداً أولا وجب أن يتقدم عليه في الوجود غيره ، فكان لو كان العقل جسماً لتقدم عليه في الوجود غيره ، =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما هو عنه وجودها علّة ، ومن جهة ما يوجد عنه عالاً[1] .

فالأمر هو علّة البدء فهو من جهة ما وجد عنه أمر ، ومن جهة ما عليه كان وجوده من الامتناع عن الاستحالة والتغير مأمور . ومن جهة ما يظهر منه دونه أمر ، من غير أن يكون الأمر في ذاته غير المأمور ولا المأمور في ذاته غير الأمر . بل ذاك هذا وهذا ذاك ، إذ ليس هنا كثرة[2] بالذات ، بل بالمعاني ، وذلك عبارة عن العقل الأول .

فالعقل الأول وجوده أول ، ولا يجوز أن يكون في الوجود مثله ، أو في مكان توهم أن يكون وجوده عن الله تعالى بوجود شيء آخر شاركه في الوجود معه بكونه فعلاً له تعالى ، وكون الفعل عنه صدوره عن الفاعل ذاتاً واحدة . وفي هذا الفصل بين فيه شهادة العقل لباريه بالإلهية ووقوع اسم الإلهيّة على هذا الشاهد المذكور في الآية على ما ذكرناه وبيّناه .

وقال أيضاً في راحة العقل[3] : ولما كانت الموجودات موجودة ثبت أنها مستندة في وجودها إلى ما يباين الموجودات ، فلا يناسبها في شيء ممّا لها ، لا في كثرة بالذات ، ولا بالمعاني ، ولا في قلة ، ولا في شيء من الأشياء المقولة على الجواهر والأعراض الذي بيّنا أنّه إن لم يكن كذلك استحال وجود الموجودات . وإذا كانت الموجودات وجودها عمن لا يحتمل قلّة ولا كثرة ، ولا صفة من الصفات ، كان الموجود الأول غير متكثر بالذات ، ولا جائز أن يكون كذلك كما بينا .

= وبطل أن يكون شيء يتقدم في وجوده على العقل الأول إذ هو ذات الفعل الذي هو العلة والأبدع وليس وراءه إلا الله المبدع الذي عنه وجوده .

١ كالنفس التي تحتاج إلى الاستفادة من العقل فتتحرك نحوه حركة الشوق وحركة المعلول إلى العلة .

٢ هنا كثرة : سقطت في ج وط .

٣ . المشرع الرابع من السور الرابع من كتاب راحة العقل للكرماني .

وإذا كان غير متكثر ، ولا جائز أن يكون كذلك ، وجب أن يكون شيئاً لا يكون من ذاته ما لا يشبه شيئاً منها ، بل محضاً كُلاً فرداً واحداً أحداً من جهة وجوده عن المتعالي سبحانه .

ولمّا كان الموجود الأول فرداً أحداً على ما تقدم الكلام عليه لم يجز أن يكون الموجود عن هذا الفرد الأحد الموجود أولاً[1] فرداً واحداً بكون هذا الموجود الأول شاغلاً مرتبة الواحدية فسبقه في الوجود اليها ، وكونها له حقّاً .

ولمّا لم يجز[2] كان الموجود[3] عن الفرد الأحد الواحد زوجاً الذي هو مرتبة ما يوجد بعد الفرد مقابلاً لما عليه ذاته من النسبة التي لها بالإضافات[4] لا بالذات على ما بينا فيما سبق ، فبذلك يصح بأن العلّة في وجود ما وجد عن المبدع الذي هو الموجود الأول لا من جنس واحد سبحانية المتعالي سبحانه عن مرتبة الواحدية والأحدية التي هي آية اختراعه ، وخلوصها للموجود الأول بالإبداع الذي يوجب بكونه بأن يكون ما يوجد عنه لا من جنس واحد فيكون واحداً ، بل من جنسين متغايرين[5] بالذات ليكون اثنين بحسب النسبتين اللتين هما يختصان بعلتهما على ما قدمنا القول والكلام في بابه[6] .

ولو كان الموجود عن المبدع الذي هو الموجود الأول واحداً ،

---

١ سقطت في ج : والعبارة مأخوذة من راحة العقل المشرع الرابع من السور الرابع .

٢ ذلك كان : في ج . وهي غير موجودة في النص المأخوذ من راحة العقل .

٣ الموجود : الموجود الأول في ج وط .

٤ بالإضافات : بالإضافة في ج وط .

٥ متغايرين : متغايرات في ج .

٦ في النص المنقول عن راحة العقل بابهما . سقطت القول في ج وط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاقتضى أن يكون ما وجد عنه الذي هو الموجود الأول هو المتعالي عن الواحدية والأحديّة والأولية ، الذي يكون الموجود عنه واحداً أحداً أولاً .

فلمّا لم يكن كذلك كان زوجاً ، فلمّا كان زوجاً وجب أن يكون لكل من الفردين اللذين بهما ذات الزوج ما يباين به صاحبه ويغايره لتثبت الاثنينية وإلاّ فلا فرق ، فسبحانية من له الإبداع والأمر عن[1] أن يكون مترتباً في مرتبة يستحقّها ما وجد بإبداعه ، وخلوص المرتبة الأولة[2] في الوجود للإبداع الذي هو المبدع هو علّة لكون وجود ما وجد عن المبدع الأول لا من جنس واحد .

ثم كون الموجود عن الموجود الأول في الرتبة الثانية من الوجود علة لكونه لا من جنس واحد إذ تلك المرتبة مرتبة الاثنينية ، والاثنينية لا تصح إلاّ بوجود التغاير في الذات ، وأن يكون كل واحد من طرفي الاثنينية لا من هذا الموجود الأول شاغلاً مرتبة الواحدية بسبقه في الوجود إليها ، وكونها له حقّاً جنس واحد ، ثم كون المبدع الذي هو الموجود الأول جامعاً لنسبتين[3] :

إحداهما كونه بإضافته إلى ما عنه وجد إبداعاً .

وثانيتهما كونه بإضافته[4] إلى ذاته مبدعاً ، يوجب بكونه علّة للموجودات أن يكون الموجود عنه اثنين ، والاثنينية لا تثبت إلاّ بوجود التغاير ، فكون المبدع على ذلك علّة لأن يكون ما يوجد عنه لا من جنس واحد . إلى قوله : إن أولية المبدع من الموجودات ، وسلامة هذه المرتبة التي هي الأحدية والواحدية له ، يتعالى من له الإبداع والأمر عنها ، وتكثره[5] بالنسب هي العلة

---

١ عن : سقطت في ج وط .
٢ الأولة : الأولية في ج .
٣ لنسبتين : للسبتين في ج وط .
٤ بإضافته : سقطت في ج وط .
٥ وتكثره : وتكثرت في ج .

في أن يكون ما يوجد عنه لا شيئاً واحداً ، ولا جنساً واحداً بل من جنسين : عقول قائمة بالفعل ، وعقول قائمة بالقوة . فقد تبين بما أوردنا الحال في العلة التي لأجلها كان ما وجد | عن المبدع الأول لا من جنس واحد . ٩٢/١٨٢

فهذا ما أوضحه نضر الله وجهه في آخر المشرع الرابع من السور الرابع : أن وجود الموجودات عنه من جنسين عقول قائمة بالفعل ، وعقول قائمة بالقوة . وأوجب كثرة انقسمت على وجهين بأفعالها وتباينها من ذاتها في ذاتها ، لا بفعل فاعل فعل بها .

وقد قدمنا الكلام بأن وجود ذلك العالم دفعة واحدة متساويين متكافئين في معنى الكمال الأول في الحياة بالقوة إلى أن تحرك هذا الأول من ذاته بذاته في ذاته حركة وهمية فكرية تمييزية في كيفية الوجود والموجد ، فعجز عن إدراك هذين المعنيين ، فهجم بفطنة زكية ، وصورة جلية ، ان ثم مبدعاً تعالى أن يدرك بعقد وهم أو ضمير ، فنفى عن ذاته الإلهية ، وشهد لمبدعه بالوحدانية ، فامتاز بذلك وسبق إلى ما هنالك ، فاختص بالرتبة السنية ، وشق له اسم الإلهية والوحدانية بتوحيده وولهه .

وقد قربنا للمرتاد تقريباً يهتدي به في ذلك صورة الكيفية ، وجعلنا ذلك الشكل مقدمة في المعرفة في الابتداء ، وجعلنا رتبته[1] التي بها علا بسبقه وفعله ، منفردة متوحدة بذاتها ، ثم صورنا صورتين من دون مرتبة منفردتين بذاتهما وسموهما على أبناء جنسهما ، فذات اليمين أحدهما وهي رتبة المنبعث الأول القائم بالفعل[2] ولمن تلاه ؛ وذات الشمال مرتبة لمن تخلف عن المنبعث الثاني القائم بالقوة ، وذكرنا أن

---

١ يريد رتبة الناطق في عالم الدين وسلامة هذه المرتبة التي هي الواحدية له .

٢ ورد في النسخة ط مقدار ٧ أسطر زيادة في النص بينما جاء في مكان بعض هذه الأسطر نقاط في ج ولما كانت النسخة م هي المعتمدة فقد حذفنا هذه الأسطر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبدع الأول لما شهد بالهية مبدعه وسبحه وقدسه بخضوع وخشوع ، وإقرار بنية صادقة ، وطوية محضة وأعلن بذلك بنطق فصيح ، وكلام مسموع معقول صحيح ، ففطن له في نطقه من جميع الجميع هذان المنبعثان ، فاستبقا كفرسي رهان ، فسبق أحدهما الثاني ، فسبح للسابق الأول ، وهو المبدع الأول ، وقدسه ، وعظمه ، وشرفه ؛ وعظم المتعالي المبدع الحق بتعظيم السابق إلى ما سبق إليه ، فقام بالفعل ، وكان شرفه كشرف الوصي ، فكان أول عالم الأمر على ما صورناه .

ثم سبح المنبعث الثاني المبدع الأول ، وقدسه اقتداء بالمنبعث الأول ، ولم يعترف بسبقه له ، وفضله عليه بفعله . فكان ذلك سبب نقصانه ، وقيامه بالقوة ، دون الفعل ، وكان أول عالم الخلق الذين تخلفوا عن الإجابة وتكثفوا ، وجميع ذلك أسرع من لمح البصر لقوله عزّ وجل : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾[1] .

---

١ سورة ٥٤/٥٠ .

البَابُ الثَّالِث

« في القول على المنبعثين جميعاً وبما تباينا »

نقول : إن المبدع الأول لما أفصح ناطقاً ، وأعلن محققاً بكلمة الإخلاص وكان مبتدعها ، والسابق إليها ، فنفى وأثبت وشهد لمبدعه بالألهية ، وقنت وجهر بذلك ، وما خافت ، ففطن به كما ذكرنا هذان المنبعثان ، وتحقّقا بما خصه به مبدعه من نور ، وجلال ، وبهاء ، وكمال[1] ؛ بما فاق به من أبناء جنسه في كل حال . فسبق القائم بالفعل كما ذكرنا إلى تعظيمه ، وتشريفه ، وتسبيحه ، وتقديسه ؛ فكان ذلك هو فعله وسبقه وكماله الثاني ، وجلاله بسبب التزامه بحده السابق عليه ، وتنزيهه وتوحيده أيضاً لما وحده ، وشهادته بما شهد به من الإلهية للمتعالي ، وتعظيمه بنطق إيضاح مفصح ، وقول منجح ، مسموع معقول . فاستحق باسم الفعل ، وكمل به كمال الثاني ، فكان كاملاً في ذاته ، تاماً في فعله ، وطرقه في ساعته من البهاء ، والنور ، والضياء ؛ ما لا يصفه واصف ، ولا يكيفه مكيف .

ثم ان المنبعث الثاني سبح المبدع الأول وقدسه ، ومجده ، وشرفه ، وعظمه ، ولم يشهد بما شهده به للمتعالي سبحانه من الإلهية فكان ذلك على سبيل الغلو[2]

---

١ لامتناع الوجود من نوع وجوده ، والشيء التام هو ما لا يوجد له خارجاً عن مثل في نوعيته ، لكون مثله هو منه ، وفيه معدود منه .

٢ على هذه الصورة يناقش كيفية وقوع الخطيئة عن طريق السهو والغفلة بلا قصد فلم يقر بمرتبة=

وهو سهو وغفلة بلا قصد ، ولا عمد . ثم سها أيضاً عن الأصل الأول ، الذي عليه المعول ، إذ لم يلتزم بصاحبه السابق له بفعله الذي هو المنبعث الأول ، ولم يعـــترف بسبقه وبفضله ، فكان كاملاً في ذاته ، ناقصاً في فعله[1] إذ لم يتم لـه الكمال الثاني بجميع حقوقه وحدوده ، فقام بالقوة التي هي كماله الأول من الحياة التي هي أصل الجميع وكمالهم الأول .

فلمّا كان ذلك كذلك احتجب المبدع الأول القائم بالفعل بالمنبعث الأول ، كاحتجاب المتعالي سبحانه به ، وذلك لتمامه وكماله وعلوه[2] ، وجلاله ، وفعله في التزامه بحده ، وتقديسه وتمجيده ، وشهادته لمن شهد له بما شهد به ، واتحد به المبدع بمعنويته .

ثم وقعت الدعوة لذلك العالم به ، فأجاب البعض بالتلبية والإنابة والتسبيح ، والتقديس ، والتمجيد له ، ولمن دعاهم إليه ، ودلهم عليه ، لكونه قد صار غيباً لا يدرك لما احتجب به ، وتقاطر الذين أجابوا فئة بعد فئة[3] ، سبع فئات[4] .

= السابق الذي هو المبدع الأول ولا بمرتبة التالي الذي هو المنبعث الأول ، ويريد بذلك أن المنبعث الثاني غفل عن إعطاء السابق والتالي ما لهما من منزلة روحية عقلية جوهرية . ومن هذه النظرية ينطلق الهبوط النفساني الملكوتي إلى عالم الكون والفساد .

١ لأنه بوجوده الانبعاثي دونها في الشرف والتقدم ، ولقد أوجب حكم الوجود أن يكون التمام والتام واقع على المبدأ الأول الذي هو المعلول الأول والانبعاث الأول ، والعلة تكون أدون من المعلول لأنها دونه في الشرف .

٢ يريد أن الناطق في عالم الدين الذي هو السابق ، والوصي أو الإمام الذي هو التالي هويتها هوية واحدة . لأن الناطق الذي قيامه في عالم الجسم قائماً مقام السابق من عالم العقول والوصي أو الأساس الذي قيامه في عالم الجسم قائماً مقام التالي في عالم العقول ، والإضافة تكون بالرتبة لا بالذات لأن كل واحد منها نام في ذاته لا نقص فيه .

٣ يريد أولئك الذين استنارت بصائرهم وعرفوا هذه الحدود العرفانية القدسية العقلانية كما رتبت عن طريق الإبداع والانبعاث .

٤ مرتبة حسب الفضائل والأنوار المفاضة على كل منها من علته السابقة له في الوجود الانبعاثي والمؤثرة فيما دونها . وكل منها علة قريبة لوجود ما دونه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكانت مراتب متقاطرة الأول فالأول ، كل مرتبة عن الأولى . أي بإلهام كل أول لما يتلوه ، وهي التي أُشير اليها بالعقول السبعة الانبعاثية[1] ، وهو[2] يقع على كل رتبة اسم الواحدية . إذ ليس بينهم في الإجابة تباين[3] ولا تغاير ، ولا تفاضل ، فالصورة واحـــدة في الكمال الثاني «والوجود متكاثر في الكمال الأول »[4].

والقسم[1] الثاني توقف عند الإجابة ، وتحير الكل ، ولم يلتزم منهم أحد لا بالمُبْدِع ولا بالمُبْدَع ، ولا بأي المنبعثين ، وذلك منهم لهم تصور سهو وغفلة وشك ، لا بفعل فاعل بهم ، إذ لا أصل للشر في الإبداع ، فكان فعل الثاني القائم بالقوة في السهو عن فعل ما كان يجب فعله عليه من ذاته بذاته في ذاته ، لا بقصد قصده الأول ولا الثاني ، بموجب العدل ، وقضية الحكمة ، وترتبت العقول الانبعاثية الموجودة صورها بإجابتهم للمنبعث الأول .

ثم أشرقت بنور باريها[5] ، وأقبلت على العاشر تؤيده وتمده ، وتعرفه بما قصر عنه تحنناً ، ورحمة وعدلاً ، وذلك الإقبال عليه بقصد سبب الحد الجليل وتقديسه له ، ففطن لما عرفوه به ، فتاب وأناب وأقر بمـــا غفل منه ، وهو آدم الروحاني المتجرد عن الجسم . ونحن نبين رتبة كل واحد منهما ، ونحقق معاني ذلك إن شاء الله تعالى في موضعه . . . .

---

١ يذهب الكرماني إلى أن العقول الفاعلة في ذواتها بذواتها عشرة ، تم بها عالم الابداع والانبعاث ، وقام العاشر منها لعالم الجسم مقام المبدع الأول في عالم الإبداع الأول والانبعاث الأول ، كما أن الموجود في الدور من الحدود العشرة أولها الناطق والوصي وسبعة من الأئمة الذين يتممون الأدوار الصغار ، والعاشر هو الذي يقوم مقام الناطق في دوره ثم يظهر بأمر جديد في دور جديد . في ط : إليه .

٢ وهو : سقطت في ج و ط .

٣ في ط : تباين .

٤ والوجود متكاثر في الكمال الأول : سقطت في ج وط .

٥ باريها : باريه في ط ، سقطت في ج .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البَابُ الرَّابِع

« في القول على المنبعث الأول القائم بالفعل وما ذلك الفعل ؟ »[1]

ونحقق ما ذكرناه ، وشرحناه من أوضاع الحدود ، ورموزهم وألغازهم ، حتى يكون المعتقد من أمره وفي تصوره على حقيقة ، وقد أوجزنا في القول على التوحيد إباختصار ، وفي الكلام على الإبداع ، وحقيقة معانيه ، ثم على انبعاث ٩٣/١٨٣ المنبعثين جميعاً ، وقد أفردنا هذا الباب في الكلام على المنبعث الأول وقيامه بالفعل ، وسبقه إلى ما سبق إليه .

قال سيدنا حميد الدين : فالمنبعث الأول كامل الاغتباط من جهة السابق عليه في الوجود ، وهو قائم بالتسبيح والتهليل ، مشتاق ، وَلِهٌ ، حيران ، كالأول ، مقدس ذلك الملك المقرب المعرب عنه في السنة الإلهية بالقلم ، وهو أيضاً يسمى قلماً بكونه الأول[2] من جنس واحد . فتبارك من صنعته هذه الأمور المتناهية في الشرف والعظمة ، وسبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً .

فهذا فصل قد أوضح فيه التزامه بالسابق عليه في الوجود ، بفعله وتسبيحه له وتقديسه ، واغتباطه بذلك ومسرته ، وجعل تسبيح المتعالي وتقديسه من

---

١ جاء في ج وط فراغ مقدار سطرين ونصف لذلك ضاع عنوان الباب مما أدى إلى دمج النص مع الباب الثالث .

٢ ورد النص في راحة العقل هكذا « وإنما سمي ذلك بالقلم لكونه والأول من جنس واحد » . المشرع الثاني من السور الرابع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جهته إذ هو حجابه بقربه منه ، وسبقه إليه ؛ وقد جاء عنه في ذلك الفصل يقول فيه : وإن العقل الأول الذي هو المبدع الأول ، لما كان مخترعاً لا من شيء خص باسم الإبداع لكونه ذات الفعل الصادر إلى الوجود عن المتعالي سبحانه ، لا من أيس يجري منه مجرى المادة من ذوات الموجودات[1] . وبينا أن علم كيفية الإبداع في حجاب أيست العقول من أن يكون لها إلى رفعه والوصول إليه سبيل ، بكونه مما لا تحويه ذواتها واحتياجها عند النهوض لتطلب ذلك إلى خروجها من كونها عقولاً ، وفي خروج العقل من كونه عقلاً بطلان ذاته ، وقيام الدليل على أن كيفية الإبداع لا ككيفية الانبعاث التي قد أحاطت العقول النيرة بها وأخبرت عنها . إذ لو كانت مثلها ، لكان الإبداع انبعاثاً ، والانبعاث إبداعاً ، فبطل أن تكون كهي لما بينا فيما تقدم .

والانبعاث انفعال ما لا عن قصد أول ، وهو وجود يحصل عن[2] ذات جامعة[3] لأمرين : بأحدهما تكون محيطة ، وبالآخر تكون محاطة .

وهذا الفصل قد بين فيه احتجاجه ، وقلة إحاطة العقول به . وقد جاء عن سيدنا المؤيد ما يصحح ذلك بقوله : الحمد لله لا يدركه من لاتدركه الأبصار ، ولا يحصره من لا تحصره الأفكار[4] .

وقال سيدنا حميد الدين[5] : ولما كان الأمر في كون العقـــل الأول على نسبتين : إحداهما أشرف من الأخرى ، كان الموجود عن النسبة

---

١ المشرع الأول من السور الرابع من راحة العقل .

٢ عن : عنه ج .

٣ جامعة : سقطت في ج .

٤ من المجلس ٤١٤ من المجالس المؤيدية نسخة خطية في مكتبة مصطفى غالب .

٥ استقى المؤلف النص من المشرع الثاني من السور الرابع من راحة العقل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأشرف قائماً بالفعل عقـــلاً فرداً محضاً في نوعيته ، صورة مجردة . وهو مع كونه ثانياً في الوجود عند الترتيب أول بالانبعاث ، كما أن المبدع الأول أول بالإبداع ، وكان الموجود عن النسبة الأخرى دون ذلك منزلة عقلاً قائماً بالقوة يسمى الهيولى والصورة ، مزدوجاً في ذاته كالنسبة التي عنها وجد ، ويأتي عليه الكلام في بابه .

ثم قال : فالمنبعث الأول للمبادىء المنبعثة التي هي الحروف العلوية أول ، بكونه أول كل شيء محض وجد من شيء محض ، وهو من حيث كونه عقلاً لا فرق بينه وبين الأول ، إلاّ برتبة السبق ، فقد بين أن المنبعث الأول للعقول المنبعثة أول بكونه محضاً وجد عن محض ، وذلك أنّه لما فعل كفعله ، وسبق كسبقه ، ماثله في الفضل والشرف لولا شرف السبق[1] .

ثم قال : فمنزلته من مراتب الأعداد منزلة الاثنين ، بكونه ثانياً في الوجود ، وكون وجوده عند الترتيب بعد الواحد المتقدم الرتبة في الوجود ، وكما أن الاثنين ذاته عن واحد ، وقوامه بالواحد ، الذي تقدم[2] عليه في الوجود ، فهو كذلك قوامه بما تقدم عليه في الوجود من العقل الأول ، وذاته موجودة بعقله إياها ، وبعقله ما تقدم عليه في الوجود جميعاً .

---

١ لم نعثر على هذه الفقرات في السور الرابع المشرع الثاني من النسخة الخطية الموجودة في مكتبتنا الخاصة من كتاب راحة العقل ولربما عثر عليها المؤلف في النسخة الموجودة لديه ، أو لعله أضافها من عنده . أما ما جاء في نسختنا فهو التالي : « بينه وبين الأول ، كما أن الوصي أول منصوص عليه من الحدود في الدور والدعوة إلى التوحيد ، فهو من حيث كونه كاملا لا فرق بينه وبين الناطق ولا يقع الفرقان إلا بالمرتبة في التقدم . ولا يجوز أن يكون جسماً لوجوده عن النسبة الأشرف التي توجب أن يكون هو في وجوده مثل ما وجد عنه عقلا محضاً محيطة ذاته بذاته ، عاقلة ذاته لذاته ، والجسم ليس بعاقل ذاته ولا محيطة ذاته بذاته . »

٢ المشرع الثاني من السور الرابع من راحة العقل نلاحظ بأن المؤلف بعد أن يسقط بعض السطور من النص يعود ثانية لينقل عن كتاب راحة العقل بالحرف الواحد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهو كالأول في باب كونه جامعاً للكمالين ، وذلك أن جميع ما يختص المبدع – الذي هو العقل الأول – به من الأمور العشرة التي بها هو ما هو ، من كونه حقاً ، وموجوداً أولاً ، واحداً وتاماً ، وكاملاً وأزلياً ، وعاقلاً ، وعالماً ، وقادراً ، وحياً بالإضافات والذوات ، فإن المنبعث منه يستحق ما يستحقه بالمعاني الموجودة فيه :

فأما كونه حقاً ، فلكونه نهاية المنبعثات من طريق الإبداع ، وكونه موجوداً أولاً فلكونه موجوداً أولاً من المنبعثات وبكونه واحداً فلكونه عقلاً محضاً واحداً من نوع الانبعاث الأول ، وكونه تاماً ، فلوجوده عن التمام وكونه كاملاً فلوجوده عن الكمال ، وكونه أزلياً ، فلكونه متعلقاً بما يحفظ عليه وجوده ، وكونه عاقلاً ، فلعقله ذاته بذاته . وكونه عالماً ، فلعلمه بذاته وذات ما تقدمه ، وكونه قادراً ، فلوجود الإحاطة منه بذاته ، وكونه حياً فلوجود الفعل منه ، فهو تام كامل ، ووجوده عن السابق عليه في الوجود لا بقصد منه ، وذلك أن قصد الموجود الأول في ملاحظة ذاته بذاته ، وعقله إياها ، لا لأن يوجد عنه غير أول ، بل لأن يفعل بذاته ما يوجب كماله لذاته عقلاً لها ، وإحاطة بها ، واغتباطاً بحالها ، وتقديساً للذي عنه وجوده ، عن أن يكون كهو مع كونه ذروة الفضائل ونهاية أولى لها ، الذي كان عن فعله ذلك أولاً ، ما أوجب سطوع نور الانبعاث عنه ثانياً ، الذي هو تمامية الكمال وثمرته التابع وجودها لتلك الذات ، على ما تقدم الكلام عليه ، وما يكون وجوده على ذلك فليس بقصد أول وجوده .

وهذا فصل يبين ما أشرنا إليه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . بقوله : فهو كذلك قوامه ، بما تقدم عليه في الوجود من العقل الأول ، وذاته موجودة بعقله إياه ، وبعقله ما تقدم عليه في الوجود جميعاً .

وهو كالأول في باب كونه جامعاً للكمالين[1]، يقول : إن ذاته موجودة بعقله إياها . أي بأنّه عقل ذاته بالإقرار بأن رتبة السابق رتبة عالية شريفة جليلة فاضلة تفوق على كل مرتبة ، وتسمو على جميع ما أبدعه الله تعالى ، وإنّه أول وجود النور والجود . وواحد الآحاد والأفراد ، وإن مبدعه قد اختصه بفعله وسبقه الذي تم به كماله الثاني بمواده وبركاته وتأييده .

وقوله : وهو كالأول، أي في باب كونه جامعاً للكمالين . فصح أن كماله الأول وجوده بالإبداع الأول ، وكماله الثاني التزامه بالسابق عليه في الوجود وتسبيحه له ، وتقديسه وتمجيده ، وإقراره[2] بسبقه ، وشرفه ، وجلالته التي قد اختصه الله بها ، كالذي كان من الأول في نفي الإلهية عن ذاته، وسلبها عنه ، وعن جميع ما أبدعه الله واخترعه ، وإقراره بالعظمة التي لا يدرك ولا يحاط بها ، ولا تعلم إلاّ من جهة الصنعة والقدرة . ثم وصف هذا المنبعث الأول بأنّه يتصف[3] بالأحوال العشرة التي هي تختص بالإبداع أولاً .

٩٣ / ١٨٤

وقوله إنّه نهاية المنبعثات من طريق الإبداع ، إذ هو أصل كمالهم الثاني .

وقوله بأنّه عقل ذاته بذاته ، لا بقصد، أي لا بمفيد ، ولا مؤيد ، ولا معلم ولا ملهم . بل انقدح له من ذاته ما انقدح للسابق عليه فيما انقدح له ما تقدم مما ذكرناه .

وقال : وكونه عالماً فعلمه بذاته وذات ما تقدم، إلى قوله : فكان ذلك لا بقصد منه بأن يوجد عنه غير ، بل لأن يفعل بذاته ما يوجب كماله

---

١ بما اطلع عليه من مرتبة الناطق وقوانين أمره وإحاطته بما هو متقدم عليه بالشرف . باعتبار أن الناطق علة لوجود العقول الطبيعية بما أقامه من السنن والوضائع وبسطه من الحكم والشرائع في عالم الدين .

٢ لتمامه وكماله في أول وجوده دفعة واحدة .

٣ يتصف : يتبعفف في ج وط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذاته عقلاً لها ، وإحاطة بها ، واغتباطاً بحالها ، وتقديساً للذي عنه وجوده ، عن أن يكون كهو .

فهذا عين البيان ، وأوضح البرهان على ما أوضحناه وشرحناه ، من التزامه بهذا الحد الجليل ، وخضوعه له ، وخشوعه وشهادته له ولمن أبدعه ، ليكون كهو مع أنّه ذروة الفضائل ، ونهاية أولة[1] لأنها الذي كان[2] عن فعله ذلك الذي أوجب سطوع نور الانبعاث عنه ثانياً . يعني سطوع نور العقول الانبعاثية عنه ثانياً ، الذي هو تمامية الكمال وثمرته ، التابع وجودها لتلك الذات. وإن ذلك لا بقصد ، بل من ذاته بذاته كفعل الأول .

وقوله : فوجود المنبعث الأول عن العقل الأول الذي هو الموجود الأول لا عن قصد أول وحاله في الجلالة ، والعلاء ، والكبرياء ، والهيبة ، والسناء ، والاغتباط ، والمسرة بحاله ، ورتبته ، وكماله ، كحال الأول ، الذي عنه وجوده ، إلاّ أن مسرته بما عقل وحصل له ، من صورة المتقدم عليه في الوجود ، أكثر من مسرته بإحاطته بذاته وعقله إياها بذاته ، فمسرته بما عقله ، وحصل له من صورة المتقدم عليه في الوجود ، فذلك الحاصل بالتزامه به وسبقه إليه ، ومعرفته له ، ولما اختصه به مبدعه ، أعظم من مسرته بذاته . فهـــذا هو فعله وكماله الثاني الذي أوجب له درجة المساواة[3] بالسابق الأول . إلاّ أن رتبة السبق مانعة لذلك . ومن ذلك وجب على كل محدود معرفة حده الذي هو علّة وجوده وفضله ، وشرفه عليه بسبقه . وإن طاعته ، والالتزام به ، طاعة الله تعالى على سبيل فعل المنبعث الأول (حذو النعل بالنعل) .

---

١ وعلة أولى . والتام الأول الذي هو المعلول الأول ، فتماميته بإضافة وجوده إلى ما عنه وجوده ، وتماميته بإضافته إلى ما عليه ذاته ، وذلك كالابداع والمبدع الأول .

٢ الذي كان : كانت في ج وط .

٣ وهو من حيث كونه عقلا لا فرق بينه وبين الأول .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإن من زل عن حده ، سقط وهبط ، ومن لم يلتزم بواسطته كان في بحر الهيولى يتورط . فالمنبعث الأول هذا القائم بالفعل جرى اسمه بلسان التنزيل[1] اللوح ، وجنة المأوى . وبلسان التأويل النفس الكل والتالي . ويقول صاحب الرسائل وبعض أهل التأويل بأنّه منبجس عن العقل الأول ، فمعنى الانبجاس أن صورته من صورته باقتدائه به في الإقرار والشهادة ، كما أعتقد أهل الظاهر أن حواء ظهورها من ضلع آدم . وذلك أن حجته كان ظهور تأويلها من أصل شريعته ، فذلك كذلك .

وهذا معنى الانبجاس ، والانبعاث ، والشريعة وأهلهـا والتأويل وأهله ، يساوي قولهم في أن الحدود الروحانية[2] خمسة لا غير ذلك ، وأنّهم عيون عالم القدس . وحميد الدين ق س ، جعل عيون عالم الإبداع عشرة عقول . ورافده سيدنا المؤيد في ذلك وأوضحه في بعض مناجاته وذلك على رأي الفلاسفة ، والكل من القولين صحيح على معناه . فأهل الظاهر جعلوا المنبعث الأول نفس الكل[3] وجنة المأوى ، ومعاد العالم ، والمتولي لعالم الطبيعة ، وهؤلاء الذين يرون بالعشرة ، يجعلون العاشر متولي عالم الطبيعة

---

١ يريد بما نطق به الكتاب الكريم .

٢ يقصد بالحدود الروحانية الخمسة الذين هم : السابق والتالي والجد والفتح والخيال الذين اختصوا بالتأييد ، وذهبوا إلى أن جميع الأنبياء لم يتصل بهم الوحي إلا بواسطة هؤلاء الحدود الروحانية غير المتشخصة ، استناداً إلى قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه إلا وحياً ، أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء » بأن القسم الأول من هذه الآية هو رتبة الجد الذي هو كلام الله وحيا ، وكلمة وراء حجاب ، هي رتبة الفتح ، وكلمة يرسل رسولا هي رتبة الخيال . وقالوا بأن السابق أفضى إلى التالي الذي أفضى بدوره إلى الجد بما يجري في العالم الروحاني فأفضى هذا بدوره إلى الفتح الذي أبلغه إلى الخيال – يعني جبرائيل – فبلغه هذا إلى الناطق الحي ، الذي يمثل في دوره السابق كما يمثل الحجة أي الأساس دور التالي ، ويمثل الداعي الجد ، والمأذون الفتح ، والمكاسر الخيال في كلا الدورين .

٣ أي التالي نفس الجميع وأصلهم .

ونفس الكل وجنة المأوى ومعاد من صفا وخلص .

وفي وجه من التأويل أن الوصي جنة المأوى ، ونفس عالم الدين ، ومأوى النفوس . وكذلك أيضاً باب الإمام جنة المأوى ، ونفس كل ، لكون النفوس تتصل به ، وتعود إليه ، وجميع ذلك حق لا شك فيه . ونحن نبين جميع ذلك إن شاء الله تعالى بحقيقته ومعناه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الخامس

« في القول على المنبعث الثاني القائم بالقوة وما سبب ذلك ؟ »[1]

نقول : إنّا قد قدمنا الصورة والكلام على أن وجود الإبداع كان دفعة واحدة ، وأقمنا عليه البراهين من كلام الحدود، ومن وضع حميد الدين وغيره ق س . بما قد جرى به القول والبيان ، وذكرنا سبق المبدع إلى ما سبق إليه، وفعله الذي قام به ، وشهادته بالإثبات ، بعد نفيه الإلهيّة عن جميع ما أبدع الله سبحانه واخترعه ، وبينا في صورة الشكل ظهوره بذاته وبروزه عن جميع أبناء جنسه ، وعلوه وارتفاعه .

ثم بينا أيضاً تسابق المنبعثين إلى الالتزام به ، والتسبيح والتقديس له ، وسبق أحدهما للثاني وقيامه[2] بذلك بفعله الذي كمل به الكمال الثاني « وإنه كامل في ذلك بذاته تام في فعله »[3] . وإن الثاني أقر للمبدع وسبحه ، وقدسه ، وسها وغفل عن الشهادة للمبدع الحق بما شهد به الأول والثاني .

وكذلك لم يلتزم بالمنبعث الأول الذي سبقه[4] . ولسبقه له هو ملزوم بمعرفته

---

١ سقط عنوان الباب الخامس من نص ج وط حيث وضع مكانه نقاط في ج وترك مكانه فارغاً في ط . مما أدى إلى دمج محتوى الباب مع الباب الرابع .

٢ أحدهما للثاني وقيامه : أحدها للثاني ، وإنه كامل في ذلك بذاته، تام في فعله وقيامه في ج وط .

٣ سقطت الجملة المحصورة بين قوسين من ج وط .

٤ لوجوده أولا عليه عن طريق الانبعاث .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وطاعته ، والتوسل به ، والتوجه إليه . فكان بذلك كاملاً في ذاته بالكمال الأول الذي ساوى فيه الأول والثاني . وناقصاً في فعله ، فبذلك قام بالقوة التي هي أصل وجوده . وذكرنا وصورنا انبعاث العقول السبعة عن المنبعث الأول القائم بالفعل ، وإن وجود كل عقل عن الآخر صاعداً إلى المنبعث الأول . كما أن وجود الاتماء السبعة كل واحد عن الآخر إلى الوصي . وإن نور كل واحد منها ساطع سار فيما وجد عن الأول من الهيولى والصورة يعني في العاشر وما تلاه ممّا تكثف من عالم الطبيعة .

فتأويل قوله بأن العقول السبعة الانبعاثية وجود كل واحد منها عن الآخر صاعداً إلى المنبعث الأول ، يقول بالترتيب في الإجابة لما دعي ذلك العالم بحجاب الحجاب الذي هو المنبعث الأول ، لأنّه حجاب الإبداع الذي هو المبدع ، والمبدع حجاب الغيب سبحانه كما ذكر ذلك حميد الدين بقوله : فالأول عقل وعاقل ومعقول ، فسبحان من تعالى عن الأوهام والأفكار ، فاحتجب بباهر إبداعه ذلك عن أن يتناول بصفة ، ولا إله إلاّ هو .

وهذا فصل شاف كاف لمن هداه الله ، فكل عقل من السبعة[1] التي هي المراتب السبع عن الأول منهم فالأول ، وإفادة كل رتبة سابقة للرتبة اللاحقة في الإجابة[2] .

وكل رتبة تجمع من الملائكة ما لا يعد ولا يحد . وكان انقسام ذلك العالم عند وقوع الدعوة إلى ذات اليمين ، الذين هم عالم الأمر الملائكة المقربون ، الذين

---

١ أي العقول السبعة الانبعاثية العلوية يقابلهم من الحدود السفلية ، الباب ، الحجة ، داعي البلاغ ، الداعي المطلق ، الداعي المحدود ، المأذون المطلق ، المأذون المحدود أو المكاسر . وبهم تكون المواليد الروحية .

٢ يقصد أن كل حد من هذه الحدود السفلية أي الدينية يملك حق الإفادة لما دونه من المراتب ، فالذي يملك ما دونه لا يملك ما فوقه ، فالأعالي للأسافل كلية ، والأسافل للأعالي جزئية .

صورهم روحانية عقلية نورانية شعشعانية[1] ، مؤيدين بشمس الإبداع ، وقمر الانبعاث يشرقهم أنوارهما ، وضيائهما وبركتهما ، فهم في حجرات القدس ، في تسبيح[2] ، وتقديس ، وتهليـــل ، وتكبير ، وتعظيم ، لكل سابق على لاحقه وتاليه ؛ آمنون من الفزع الأكـــبر ، مطمئنون فاكهون .

والقسم الثاني إلى ذات الشمال لتخلفهم عن الإجابة[3] ، وإصرارهم عن الإنابة ، وشكهم | وشركهم وإلحادهم . إذ لم يلتزموا بالذي تليهم رتبته . ٩٤/١٨٥ وقد دعوا منه وبه ، ولا أجابوا المنبعث الأول مع من أجاب وأناب ،

ولا عرفوا الحد الجليل المعظم ، ولا التزموا بأي العقول من أهل المراتب السبع ، وكان ذلك عمداً قصداً تكبراً وتجبراً ، فعموا وصموا ، وزلوا وضلوا ، وهبطوا من دار اللطافة إلى كون الكثافة ، وكنّا قد صورنا في الشكل المقدم كون وجود الابداع معاً في أول الوجود ، بالكمال الأول على سبيل تلك النقط المجتمعة ، ثم ظهور السابق وعلوه ، ثم ظهور المنبعثين الأول والثاني والإنقسام إلى اليمين والشمال ، ونحن نجعل هاهنا كيف انقسم ذلك العالم وترتب ، وعلا بعضه على بعض ، لأن عالم الإبداع عال على عالم الطبيعة ، وهذه صورته[4] :

---

١ وهذه الصور المباركة فائضة من دار القدس لتغذية الأنفس الجزئية ونقلها من حد القوة إلى حد الفعل إلى مرتبة العقول . عقلية : تهليلية : ج و ط .

٢ القدس في تسبيح : القدس وهم في تسبيح في ج وط .

٣ أي عن إجابة الداعي لما دعاهم إلى دعوة الحق الهادية ، وسر الملكوت الروحاني المتصل وحياً بكل مقام نوراني . وهذا الداعي يمدهم من فيض المادة الأزلية التي اتصلت به من سابقه .

٤ سقطت الصورة من ج وط وترك مكانها أبيض لصعوبة رسمها من قبل الناسخ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبدع الأول
السابق الى الفعل الذي هو كماله الثاني

هكذا عالم الأمر العقول المنبعثة

المنبعث الأول القائم بالفعل يسبق الى السابق عليه لسبقه

عقل انبعث باجابة من معه

عقل منبعث من معه

عقل منبعث معه في دائرته

عقل منبعث عن اجابة باجابته في دائرته

رتبة انبعائية

رتبة انبعائية

رتبة انبعائية

رتبة القائم بالقوة

٥٥

كان وجود عالم الابداع معاً على هذه الهيئة دفعة واحدة مثل هذه النقطة حتى سبق منها الأول إلى الفعل حتى فانفرد بوحدته اثنان فانفرد بذاتها وكان كل واحد منها أول العالم على ما مثلناه وانقسم العالم هكذا

♄ ♄ ♄ ♄ ♄ ♄ ♄ ♄ ♄

♆ ♆ ♆ ♆ ♆ ♆ ♆ ♆ ♆

فصارت العقول المنبعثة بالاجابة عالم الأمر أصحاب اليمنة بأفعالهم الكمال الثاني والقسم الثاني أصحاب اليسرة وأهل الكثافة بتخلفهم عن اللحوق بعالمهم والعاشر آخر العقول في العدد هكذا وأول في عالم الخلق

المنبعث الثاني القائم بالقوة

الفلك المحيط

الفلك البروج

فلك زحل

فلك المشتري

فلك المريخ

فلك الشمس

فلك الزهرة

فلك عطارد

فلك القمر

عالم الكون والفساد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهكذا[1] كانت الإجابة وترتبت العقول ، وعلوها على عالم الطبيعة وخروجها عن المكان والزمان .

ثم ترتب أيضاً الهيولى والصورة وانقسامها إلى أبعاض عشرة من المحيط إلى عالم الكون والفساد والعقول ممدّة للعاشر بسريان أنوارها على الفعل في عالم الهيولى ، وقد صار لها كالمبدع الأول في عالم الأمر في الشرف والفعل والمباينة في الصورة ، إذ هو مجرد عن الجسم من عدة العقول الانبعاثية[2] ، لأنّه لما تأخر عن مرتبة الاثنينية ، ووقعت الدعوة بالمنبعث الأول وسبقه إلى ما سها عنه وغفل منه سبع مراتب ، وصارت تفعل فيه وتؤيده وتمده وتلهمه إلى فعل ما نقص بسببه ، لأنّه قد التزم بالمبدع الأول ، فلم يكن في العدل أن يسقط أو يهبط لأنّه قد عظم الحد الجليل الفاضل ، فوجب أن تعرض عليه ولاية السابق عليه في الوجود الذي هو المنبعث الأول ، إذ تخطاه وذلك بغير قصد ، ولا عمد ، إلاّ استتام[3] به في تسبيحه وتقديسه للمبدع الأول ، وظن أن ذلك يجوز له ، فنقصت بذلك رتبته ، وأيضاً أيدته العقول ، إلى أن يشهد لمن شهد لـه المبدع الأول بالإلهية ، ويسلبها عن جميع ما أبدعه واخترعه .

فلمّا فطن لذلك ورجـــع إلى فعل ما هنالك ، وتاب وأناب ، وتوسل بالحدود العالية عليه انتظمه قول أصدق القائلين[4] : ﴿ يا أيتها

---

١ فلك النار من عالم الكون والفساد والمحيط بفلك الهواء ، والهواء في باطن فلكها ، وفلك الهواء محيط بالماء والأرض والنار والهواء ألطف من الماء والأرض وهما كالذكر . والماء والأرض كالأنثى . فهكذا : فهذا هكذا . في ج وط .

٢ لكونهم أرواحاً نورانية لاكثافة فيها ولا تجسيم ، ولا يحويها مكان ولا احتاج مبدعها إلى زمان .

٣ هكذا وردت في جميع النسخ .

٤ هذه النظرية أي نظرية الهبوط عالجها أغلب فلاسفة الإسماعيلية وخرجوا منها بأن الهبوط كان لسهو المنبعث الثاني وعدم اعترافه بفضل السبق للمنبعث الأول ،وتوهم أنه يساويه في المرتبة ،=

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً . فادْخُلِي في عِبادي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[1] . فربه هو الذي سبقه ، فأمر بالرجوع إليه لما اطمأن بالالتزام به ، فهو نفس الكل للعالمين جميعاً ، للعالم الأعلى نفس ، وهم له عقل . والتأييد إليه واقع ، وهو يتنفس إلى من دونه بما اتصل به من روح القدس ، وسرى إليه من العناية الإلهية ، وهو نفس كُلّ لعالم الهيولى ، لكونه في حد اللطافة ، وما دونه منهم في حد الكثافة . فالحياة إليهم منه ، متصلة غير منفصلة ، وفعله فيهم جائز[2] جارٍ غير منقطع ولا ممتنع ، وهو مخترع الزمان والمكان ، كما بين ذلك سيدنا المؤيد في بعض خطبه .

وقال أيضاً في مرافدة حميد الدين في ذكر العقول العشرة[3] : أسألك بأول من توجته بتاج الإبداع ، وخصصته بشرف البداية والاختراع[4] ، السارية قواه في الفلك الأعظم المحيط أصل الحركات ، وباب عالم القدس ، البسيط ، وبثانيه[5] الذي أرقيته أعلى مراتب الانبعاث ، وجعلته المخصوص برتبة

= فكان ذلك التوهم خطأ أكسبه تأخراً عن مرتبته وانحطاطاً عن منزلته . ويذهبون إلى أن العقل الأول دعا جميع عالم الابداع إلى توحيد مبدعهم ، بحجابه المنبعث الأول ، فأجابه من تلك الصور المبدعة سبعة عقول كل واحد منهم بعد الثاني ، وفي ضمن كل عقل منهم من تلك الصور المبدعة عالم لا يحصيها العدد ، وبذلك صارت مراتب عالم الابداع تسعة : العقل الأول والمنبعث الأول والسبعة عقول المجيبة للدعوة . وسقط المنبعث الثاني عن مرتبته بما كان من توهمه فلاذ بآخر تلك العقول .

١ سورة ٨٩/٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

٢ وهو أي فعله عمود من نور سار متصل لا تدركه الأبصار ولا يحيط بعظمته وجلالته الأفكار .

٣ المجلس السابع عشر بعد الستمائة من المجالس المؤيدية نسخة خطية في مكتبة مصطفى غالب .

٤ باعتباره المبدأ الأول والموجود الأول .

٥ يريد بذلك المنبعث الأول أو التالي الذي هو الأساس في عالم الدين صاحب رتبة التأويل . وهو الموجود الثاني .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التكوين والاستحداث ، وأحللته من الأول محل القابل من الاناث ، فاستدار الفلك المكوكب بسريان أشعته ، وجرت أحداثه بتقديره ومشيئته ، وبثالثه المختص بتأثيره فلك كيوان ، وبرابعه الذي هو المشتري تحت تدبيره مَمر الزمان ، وبخامسه محل البقاء والدوام المختص بنفاذ قوته فلك بهرام . وبسادسه حافظ عالم الحس ، المنفذ بقوى تصاريفه فلك الشمس . وبسابعه منتهى محل الشرف والقدرة ، السارية قوى أحداثه في فلك الزهرة . وبثامنه الذي نصب عطارد للفلك كاتباً ، ولمقاديره مقدراً وحاسباً . وبتاسعه مقدر القمر منازلاً ، وجاعله لجميع الكواكب مؤدياً وناقلاً . وبعاشره مدبر عالم الطبيعة ، المظهر في أكوانه الصور البديعة . وهذا ما رافد به سيدنا المؤيد سيدنا حميد الدين نضر الله وجهيهما[1] . فقد أوضح أن العاشر من جملة عالم الانبعاث مجرد عن الجسم يتصف بما يتصفون ، وانّه المدبر لعالم الطبيعة كما ذكر أن العقول الروحانية كل مرتبة منها تنظر إلى فلك من الأفلاك الجرمانية ، كما أوضح ذلك .

وكذلك كل مرتبة من تلك المراتب تنظر إلى مرتبة من مراتب الدين العشر بوساطة العاشر[2] . كما أن القمر الواسطة بين عالم الأجرام ، وبين عالم الكون والفساد . إذ عالم الأجرام مؤثر كالذكر ، وعالم الكون والفساد مؤثر فيه

---

١ نلاحظ بأن العرفان الإسماعيلي يعتبر الموجود الأول المبدع الأول السابق في الوجود في عالم الابداع مثل الذكر في الدين ، والمنبعث الأول أو الموجود الثاني في عالم الابداع التالي معه مثل الأنثى القابلة منه . والنبي الذي هو السابق مثل السماء ، والإمام الذي هو التالي معه مثل الأرض. ولما انتقل النبي (ص) صار الإمام بعده قائماً في عالم الدين مقام العقل الأول والموجود الأول والمبدع الأول ، وحجته مقام المنبعث الأول والموجود الثاني .

٢ أي الحدود الدينية السفلية المعروفة بنظام الدعوة الإسماعيلية وهي : الناطق ، الأساس ، الإمام ، الباب ، الحجة ، داعي البلاغ ، الداعي المطلق ، الداعي المحدود ، المأذون المطلق ، المأذون المحدود الذي هو المكاسر . وكذلك كل مرتبة : وكذلك مرتبة ج و ط .

كالأنثى . وكذلك العالم الروحاني للعالم الجسماني الطبيعي على هذه الصفة . فالعالم مرتبط بعضه ببعض بسريان العناية الإلهية في الجميع ، من العلو إلى السفل بخلاص ما خلص .

فأما عالم الهيولى فإنهم لما لم يجيبوا[1] دعوة المنبعث الأول ، لما وقعت الدعوة به ، ومالوا إلى نهج العاشر . ولما استرجع وعاد[2] ، أقيم فيهم مقام الواحدية لما رجع وعطبوا فدعوا به ، فزهدوا فيه ، وتكبروا عليه ، وتمادوا بالتخلف عن الإجابة عنه ، وعمن علا عليه ؛ فوقعوا في الخطيئة ، ولزمهم الهبوط من اللطافة إلى الكثافة ، فاجتمع هذا القسم الثاني وهو المنبعث الثالث الذي رمز به سيدنا حميد الدين في الرسالة الحاوية[3] بقوله :

لما ضرب المثل لدعوة مولانا أمير المؤمنين ، وقيام الاضداد عليه ، وتغطيتها حتى صارت بالقوة ، وستعود إلى العام[4] ، يعني بظهور القائم . ثم قال بعد أمثال كثيرة : وكما أن المنبعث الثالث غابت صورته فستعود تلك الصورة آخر الأدوار والأكوار ، وتلك الصورة بحالة أعظم ، وجلالة أبهى . ومن الرموز على ذلك من حروف المعجم (نون فا و ر ز ند ك) في حلة لينقدح لك حل العلوم به ، وتأمل العلامة الدالة على الستة التي هي الواو وكيف كونها بين النون الأول والنون الآخر ، وكيف تكون

---

١ أي لم يجيبوا التالي الذي اتخذه العقل الأول السابق باباً وحجاباً يخاطب منه دونه ، وأمده من المادة التي طرقته من مبدعه ، بما شرف به على المنبعث الثاني وعلى كافة أبناء جنسه وعلم بذلك ما كان وما يكون ، وهو المسمى بالنفس الكلية والانبعاث الأول واللوح .

٢ أي عندما هبط إلى رتبة العاشر آخر مراتب العقول تاب وأناب وطلب ممن هو فوقه أن يشفع له ، فشفع له من فوقه إلى فوقه حتى انتهت الشفاعة إلى العقل الثاني الذي هو المنبعث الأول فتاب عليه من زلته وغفر له خطيئته ، وأمده من فيض المادة الأزلية التي اتصلت به من سابقه .

٣ الرسالة الحاوية في الليل والنهار ، وهي في التأويل ، وقيل إنها ألفت سنة ٣٩٩ هـ . وأرسلت إلى الداعي بمدينة جيرفت بإقليم كرمان .

٤ أي قائم القيامة الكبرى وآخر إمام من أئمة دور الناطق السادس محمد (ص) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد الستة النون الآخر كالأول ، هذا من الرموز الكبار . فدل أن المنبعث الثالث الذي ذكره في هذه الرسالة، الذي غابت صورته هو الذي هبط من عالم الانبعاث ، لأنّه قد صار ثالثاً ، وتكثف وصار شيئين : هيولى وصورة .

٩٤/١٨٦ فالصورة هي الحياة المشار إليها | بنفس الحس ، والهيولى هي نفس النماء[1]، فقوله : فستعود آخر الأدوار والأكوار بحالة أعظم وجلالة أبهى، وهو ظهور القائم صَلَوات الله عليه . والنّون الأول هو العاشر . قال الله تعالى ﴿ ن وَالقَلَمِ ﴾[2] الذي تولد منه الواو والنون الآخر ، فالواو والذي له ستة ، رمز على النطقاء الستة . والنون الآخر هو القائم صلى الله عليه وسلم ، لأن دوره خمسون ألف سنة كما للنون خمسون في حساب الجمل .

فالقائم هو الصورة المشار إليه بالظهور ، هو ومن ظهر في الأدوار والأكوار على ذلك السبيل ، فالهيولى والصورة هما المنبعث الثالث المتوقف عن الإجابة[3] ، وذلك أن القسم الثاني الذي أصر واستكبر، أظلم وامتزج الكل بالكل، وصارا شيئين مزدوجين ممتزجين أول المكان والزمان ، ولو توجهت العناية الإلهية في فعله لما أظلم وتكثف ، ولزمه الأبعاد الثلاثة ، وحوته الجهات الستة ، وتهيأ لإدراك الحواس الخمس ، وتكونت أبعاضاً عشرة ، كما صورناه وعلى ما نريد أن[4] نبين انفعاله وانقسامه فيما بعد . والفاعل لجميع ذلك هو

---

١ نفس النماء : النفس النامية في ج .

٢ سورة ٦٨/١ .

٣ يذهب الإسماعيلية إلى أن الهيولى هي أثر من الثاني الذي هو جوهر هذا العالم ، أظهرها بالفعل عنه ، وبالقوة المستفادة من الأول ، ثم أظهر منها الصورة وهي الطبيعة بالفعل . ويعني بالأبعاد الأقدار الثلاثة : الطول ، والعرض، والعمق . والهيولى والصورة وجدا معاً لا يفارق أحدهما الآخر ، على أن أحدهما فاعل ، وهي الصورة ، والأخرى مفعول بها وهي الهيولى . والهيولى وصورتها فعل الأمر الذي هو الإبداع ، والهيولى وهمية وكذلك الابداع هو وهمي لا تظهر ذاته إلا في المبدع الأول . والهيولى والصورة معاً هو الجسم بكونه هيولى وصورة .

٤ أن : سقطت في جميع النسخ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العاشر ، كما قال سيدنا المؤيد أعلى الله قدسه :

وبعاشره مدبر عالم الطبيعة ، المظهر في أكوانها الصور البديعة .

وقال في موضع ثان[1] : المتجلي للجبل ، وجاعله دكاً خلق من خلقه ، والسموات والأرض مطويات بيمين عبد يقوم بحقه ، لأن العناية الإلهية لما كملت المراتب التسع في عالم الأمر التي هي المبدع الأول ، والمنبعث الأول ، والسبعة العقول ، وكانت صورة الآحاد إلى التاسع ، وجب بعدها ظهور[2] صورة أعشار ، فقام هذا العاشر في الأعشار بالوحدانية والصورة ، مقام المبدع في أول صورة الآحاد . وهو أعني العاشر روحاني متجرد عن المواد ، باب عالم القدس ، الفاعل في عالم الطبيعة بمرافدة العقول وإمدادهم وتأييدهم له ، وملاحظتهم وإقبالهم عليه[3] ، ونحن نبين ما الغرض في ذلك إذ هو بقصدٍ لما وقع الهبوط .

قال سيدنا حميد الدين[4] في فصل راحة العقل يبين تجرد العاشر ولطافته وفعله : فقد ثبت بانتهاء التحليل إلى واحد به يتعلق وجود ما سواه ، أن هذا الواحد هو العلة الثابتة ، وهو فعل في ذاته ، ومفعول في ذاته ، وفاعل في ذاته ؛ ثم نقول :

لما كان خروجه[5] إلى الفعل الذي هو درجة الكمال ، لا يكون إلاّ

---

١ انظر المجلس العاشر بعد المئة السابعة من المجالس المؤيدية. نسخة خطية في مكتبة مصطفى غالب.

٢ بعدها ظهور : بعد ما ظهرت في ج و ط .

٣ لأن العقول نالت كمالات من أول وجودها ابداعاً وانبعاثاً وانعطفت على الهيولى فسرت أشعتها فيها ، فكان منها عالم الجسم بسماواته وكواكبه وطبائعه ليكون سبباً لوجود المواليد الجسمانية وجامعاً لفيض العقول .

٤ المشرع الخامس من السور الرابع من راحة العقل . ويذكر الكرماني بأن العقل العاشر يقوم مقام الأول في تدبير أمر دار الجسم .

٥ لما كان خروجه إلى الفعل : لما كان كل قائم بالقوة ناقصاً ، وكان خروجه إلى الفعل في ج و ط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالذي يستند إليه في ذلك ، ممّا هو قائم بالفعل ، تام في ذاته وفعله ، فقد بين أن خروج هذا العاشر بمن فعل فيه، وهم المؤيدون له، وفاعلون في ذاته فهو فاعل فيما دونه كما فعل فيه العالي عليه ، القائم بالفعل الذي يستند إليه .

وقال أيضاً في فصل آخر : فالمنبعث الثاني لا يشبه الأول ولا ما يجمعه وإياه حكم الانبعاث الأول ووجوده عن المبدع الأول لا بقصد أول بأن الإبداع الذي هو المبدع الأول ما قصد في إحاطته بذاته أن يكون عنه الهيولى هذا المنبعث الثاني الأول وغيرهما ، إذ ذلك قصد دنيء لا يليق به ، ويصير به رذلاً لا شريفاً ، لكون قصده لو كان لذلك لا للأمر الأشرف قصداً دنيئاً[1] ، وكان بكون قصده لمثل ذلك رذلاً لا شريفاً ، ومحال ذلك ، فكان وجوده عنه بالانبعاث لكماله وجلاله أمراً ضرورياً ، إذ لم يكن بد من أن يوجد عنه عند ملاحظته ذاته تقديساً للمتعالي عنها الذي هو القصد الأول ما هو ثمرة كماله من الشهادة بالالهيّة لمبدعه . فلمّا لم يكن للمنبعث الثاني درجة المتعالي عليه في الشرف والرتبة ، عمدت العناية الإلهية الشائعة في العقول البرية من الأجسام بقصد ثانٍ لما قد فات هذا المنبعث الذي هو العقل القائم بالقوة المعرب عنه بالهيولى عند الحكماء ، وفي السنة الإلهية باللوح ، شرف هذه العقول القائمة بالفعل ، إلى أن جعلته أفضل شيء ، أمكن أن يكون منه دون تلك الرتبة ، متشبهاً بما فوقه في الشرف وبلغته كماله الذي يليق به ، بسريان أنوارها فيه ، حتّى انتقل

---

١ النص الذي نقله المؤلف من السور الرابع من المشرع الثالث من راحة العقل فيه بعض الاضطراب لذلك رأينا أن نورده كما جاء في الأصل « . . فهو أعني المنبعث الثاني الأول الذي هو الهيولى لا يشبه الأول ، ولا ما يجمعه وإياه لحكم الانبعاث الأول . ووجوده عن المبدع الأول لا بقصد أول لأن الإبداع الذي هو المبدع الأول ما قصد من إحاطته بذاته أن يكون عنه الهيولى هذا المنبعث الثاني الأول وغيرها ، إذ ذاك قصد دنيء لا يليق به ويصير به رذلا لا شريفاً ، لكون قصده لو كان لذلك لا للأمر الأشرف قصداً دنيئاً رذلا . . » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن رتبة الإمكان الذي هو الكمال الأول ، في أن يقبل زيادة عليه ، ولا انتقالاً عن حاله ، ولا تكون وراءه نهاية يمكن بلوغها في القبول ، وهو حد الكمال الأول والثاني .

فهذا فصل بين فيه عودته متجرداً إلى قيامه على وقوف الانبعاث عن وجود المثل عند انتهائه إلى العاشر من العقول ، وقيام العاشر مقام الأول في تدبير عالم الجسم على تلك الصيغة . فقد بين أن العاشر كما ذكرنا آخر مراتب الآحاد ، وأول العدد لعالم الجسم ، يقوم فيه مقام المبدع .

وقوله أيضاً[1] : ولمّا كان الطرف الأول من الاثنين أجل من الطرف الآخر ، لقربه ممّا عنه وجوده ، وبعد الطرف الآخر ، وإن كانا في الوجود معاً ، كان ذلك موجباً أن يكون أحد الموجودين عن المبدع بقيامه بالفعل إحاطته بذاته ، واغتباطاً بها ، الذي هو العقل الثاني أجل وأشرف من الآخر الذي هو الهيولى القائم بالقوة المفعول به .

ولما كان محصول ضرب الاثنين في الاثنين أربعة ، كانت مع الحاصل في الوجود ستة من واحد واثنين وثلاثة وعشرة ، وكانت العشرة مكانها من العشرات كالواحد من الآحاد ، كان ذلك موجباً أن يكون ما وجد عن الإبداع والانبعاث من العقول الفاعلة في ذواتها بذواتها عشرة ، تم بها عالم الإبداع والانبعاث ، الذي هو المبادىء الشريفة ، وقام العاشر منها لعالم الجسم ، مقام المبدع الأول في عالم الإبداع الأول والانبعاث الأول ، كما أن الموجود في (الدور الشرعي)[2] عشرة : أولها الناطق والوصي ، وسبعة من الأئمة الذين يتمون الأدوار الصغار[3] ، والعاشر هو الذي يقوم مقام

---

١ انظر المشرع الخامس من السور الرابع من راحة العقل .

٢ في الأصل المنقول عن راحة العقل المشرع الخامس السور الرابع (الدور من الحدود العشرة) .

٣ الدور دوران : دور كبير ، ودور صغير . فالدور الكبير للنطقاء الذين يحفظ مكانهم الأئمة بعدهم . والدور الصغير للأئمة المتمين الذين يختمون الأسابيع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الناطق في دوره ، ثم يظهر بأمر جديد ، في دور جديد .

ولما كان وجود ما بعد العشرة على صيغة الآحاد إلى المئين ، كان ذلك موجباً على ذلك[1] . وهذا الفصل قد بين فيه مرتبة العاشر ، انّه يقوم في العدد بعد الأول الذي هو المبدع الأول في الآحاد ، مثله في الأعشار ، كهيئته . كما أن الناطق أول في دوره ، والوصي ، وسبعة أتماء[2] وتم بهم دوره ، وقام الناطق الثاني بأمر جديد ، ودور جديد .

وهذا برهان واضح بيّن مفصح ، بقيام العاشر بالفعل ، وتجرده وقيامه في عالم الطبيعة ، بأمر جديد في دور جديد ، مثل قيام الناطق الثاني بعد تمام دور الأول بوصيه ، ووفاء أتماء دوره ، ما لا يحتاج معه إلى برهان ثان .

ثم قال : فالعقل الأول مركز لعالم العقول إلى العقل الفعال ، | والعقل الفعال ٩٥/١٨٧ عاقل للكل . وهو مركز لعالم الجسم من الأجسام العالية الثابتة إلى الأجسام المستحيلة ، المسماة عالم الكون والفساد ، وعالم الجسم جامع لفيض العقول . وهو مركز لوجود النفس للأنفس الطاهرة[3] التي هي أنفس النطقاء ، إلى القائم ، والقائم سلام الله عليه جامع للكل ، الذي انتهى إليه ما سرى من بركة عالم الإبداع على مثل ذلك .

ثم قال : ولما بلغ الأمر في الوجود والترتيب إلى التاسع الذي هو العاشر في الوجود ، من المبدع الأول ، وكانت العلة قد وفت بحق كونها علة لوجود

---

١ رأينا أن نتم النص لأن المؤلف نقله مبتوراً ناقصاً « موجباً أن يكون الموجود في عالم الجسم من المؤثرات بعدد الأعداد الموجودة في عالم الإبداع من العقول . . » .

٢ أصحاب الأدوار الصغار السبعة الذين هم الأئمة المتممون في كل دور ، ويتم دورهم بسابعهم .

٣ لإقامة الحكمة في إخراج ما هو في القوة إلى الفعل ، وأن تجعل ما هو خسيس فاضلا ، وما تأخر وجوده بما سبق لاحقاً . ومن عرف منازل الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمة ، فهو متهيء للخلاص . والحكمة بمفهومها الإسماعيلي تعني العبادة العلمية والعملية ، لأن الأنفس لا تنال كمالها وسعادتها إلا بهما معاً . وأصل الحكمة عند الحكماء هي عمل مع علم .

المراتب بصدور معلولاتها إلى الوجود وترتبها في مراتبها واحد دون آخر ، ولم يبق هناك من الأمور ما لم يترتب دونه في الوجود خارجاً عنه ، معلول ، وقف الوجود العقلي عن الانبعاث باستيعاب الموجودات مراتبها في الوجود التي أوجبتها عللها ، وانتهاء الأمر فيه إلى الغاية ، ولم يكن للعاشر مرتبة دونه من جنسه ، إلاّ الذي بعد عن مركز الكمال من عالم الطبيعة . فقام بأن يستجذب منها ما كان في أُفقه إلى ذاته ، بسطوع نوره فيه ، وأن يسوقه إلى كماله .

وعلى هذا كان وجود العالم الكبير [1] على ما تقدم عليه الكلام . «وهذا الفصل أيضاً بيّن فيه تجرد العاشر عن الجسم بقوله : ولما لم يكن للعاشر مرتبة دونه من جنسه ، أي من عالم اللطافة ، لم يبق دونه مرتبة من العقول الروحانية . قال : إلاّ الذي بعد عن مركز الكمال من عالم الطبيعة ، فقام بأن يستجذب منها ما كان في أُفقه إلى ذاته بسطوع نوره فيه [2] ، وأن يسوقه إلى كماله »[3] ، أي تحرك الطبيعة لظهور المواليد . ثم لظهور الحدود الذين هم النطقاء ، والأسس ، والأئمة وتابعوهم الذين هم في أفقه . ويستجذبهم إلى ذاته بسطوع نوره إلى كمالهم . أي ليقيم قائمهم مقام نفسه في رتبته ومقامه ، ويسكن هو عن الحركة بقيام الخليفة في خلافته فيما كان هو فيه . ونحن نبين كيفية ذلك إن شاء الله تعالى في موضعه في باب المعاد .

---

١ بما فيه من أفلاك وكواكب وأجرام وهذا العالم الكبير لا تثبت أجزاؤه ولا تظهر منافعه إلا باكتساب من النفس الكلية المحيطة بالعالم الطبيعي ، ولم تصلح أمور أجزائه التي هي العالم الصغير إلا بالاكتساب من أجزاء النفس الكلية .

٢ باعتباره الحد الكامل الذي به خروج النفس من القوة إلى الفعل لتقبل على الفوائد العقلية والعلوم الربانية . نقلت هذه العبارات من المشرع الخامس من السور الرابع .

٣ كرر هذا القول المحصور داخل قوسين مرتين في النسخة م فحذفناه المكرر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا الفصل من قوله بيّن فيه المراد ، وحقق ما ذكرناه في الأعداد ، بأن العاشر يقوم فيما دونه مقام الأول في الآحاد .

ثم قال أيضاً : وإن العقول البرية[1] من المواد لما كانت على ما ذكرنا ، أنوارها ساطعة في الموجودات ، دونها في الرتبة عموماً ، ونور العاشر منها بإقباله على عالم النفس في عالم الطبيعة لاستخلاصها نافذاً خصوصاً على ما تقدم الكلام عليه ؛ وهذا قول أيضاً يوضح تجرد العاشر ، وأن نوره ساطع على عالم النفس في عالم الطبيعة ، وعالم النفس ، هم عالم الدين ، الذين هم في عالم الطبيعة إلى قوله : وإنّه المتولي للعالم الهيولاني ، لإظهار النهاية الثانية التي هي النطقاء ، والأسس ، والأئمة وتابعوهم .

فبتأييد العقول الإبداعية بإظهار رتب العقول من دار الطبيعة ، رتبة رتبة ، وقسماً قسماً . فهو ذو فعل في أعلى الأنفس رتبة في تهذيبها ، فألف وأسس العبادة الظاهرة التي بها تتقوم الأنفس . فهو الناطق الذي سمته السنّة الإلهية رسولاً .

وإذا قنن العبادة الباطنة التي بها تتصور الأنفس ، فهو الأساس[2] الذي سمته السنة الإلهية شاهداً . وإذا أمر وساس السياسة التي بها تنقاد النفس

---

١ يريد العقول الفاعلة في ذواتها بذواتها ، والعقل الأول مركز لعالم العقول إلى العقل الفعال الذي عقل الكل وذواتهم برية من الأجسام والأجسام العالية بكونها قائمة بالفعل . والعاشر من هذه العقول صار تماماً لعالم الانبعاث وهو مثل المكاسر في تأثيره في الأنفس واختصاص فعله، يجذبها إلى طريق الحق بما يفيدها كمالها الذي فيه تمامها وانتقالها إلى درجة العقول خروجاً إلى الفعل ، وحصولا في حيز البقاء والأزل . وليس بعد الحدود العشرة القائمة بالتعليم إلا المتعلم القابل بركة فيضها .

٢ الأساس أصل من الأصول الأربعة الإسماعيلية الذين هم : السابق والتالي والناطق والأساس . والأساس هو الإمام الذي يلي الناطق مباشرة ويكون منطلقاً للأئمة القائمين بالفعل ، ويذهب الإسماعيلية إلى أن لكل ناطق دور أساس يرافقه في كافة مراحل حياته ومنه تتسلسل الأئمة المستقرون في الأدوار الصغيرة .

للاستفادة ، فهو إمام .

وعلى ذلك ذكر الحدود الدينية إلى المأذون المحصور[1] الذي هو العاشر ، المستخلص لمن استجاب له من عالم الهيولى، فمن قرب من أهل الكمال الأول . وأنّه يقوم في البشرية للهداية ، وجذبهم إلى دار الدعوة ، وقيامه فيهم كقيام العاشر في عالم الطبيعة أجمع .

١ المأذون المحصور أو المحدود الذي هو المكاسر ليس بعده أي حد من الحدود العشرة المعروفة في نظام الدعوة الإسماعيلية وعلى عاتقه تقع مهمة مجادلة العلماء والفقهاء أمام جماهير الناس ، وكان يختار اختياراً خاصاً ، ولا يسمح له بالمكاسرة إلا بعد امتحان عسير وتجارب كثيرة ، ونلاحظ في بعض الكتب الإسماعيلية الشروط الواجب توفرها عند اختيار الداعي المكاسر والخصال التي يجب أن يتحلى بها . ومرتبته هي أقل مراتب النظام الإسماعيلي لإقناع المستجيبين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

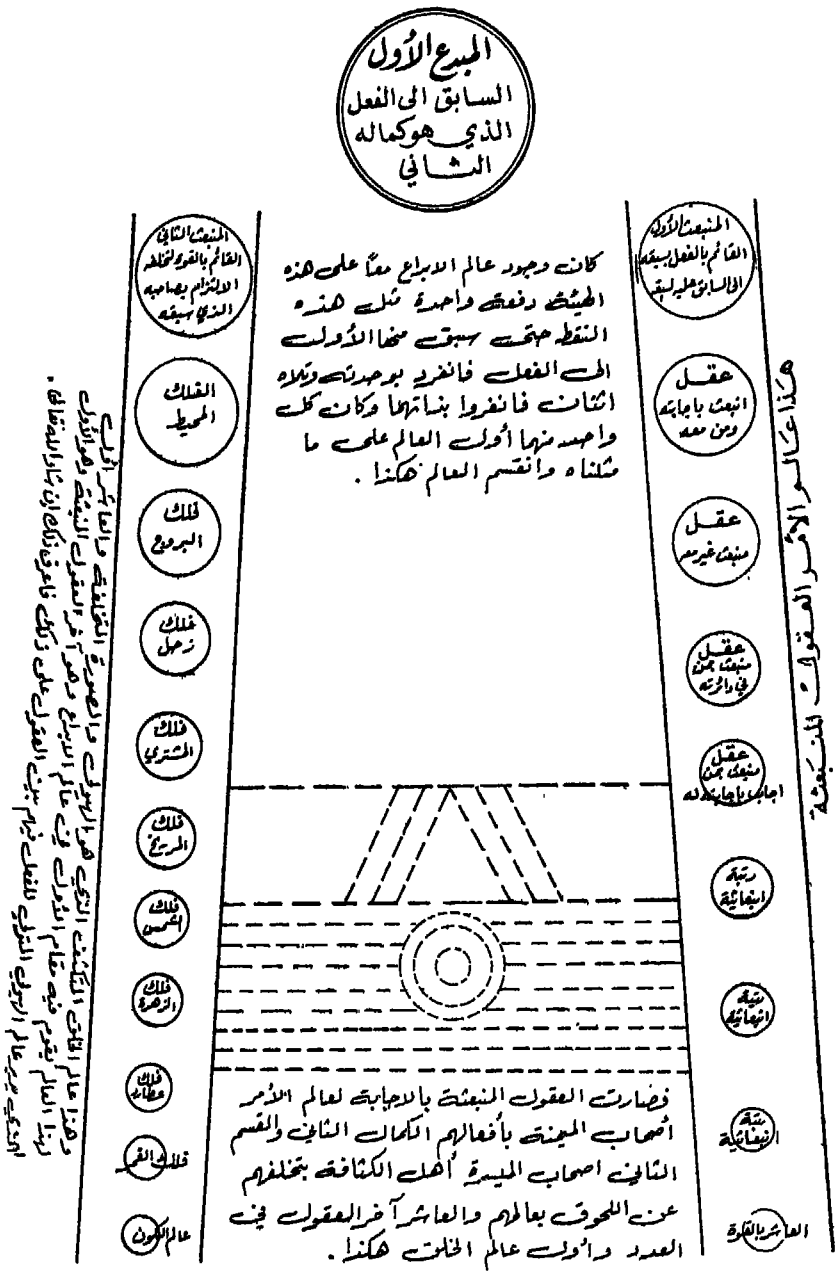

الباب السادس[1]

« في القول على الهيولى والصورة وما هما بذاتهما ،
وما سبب تكثفهما وامتزاجهما ؟ »

فنقول : إنّا قد بينا فيما تقدم الأصول التي أوجبت لأهل الشرف في عالم القدس ، الشرف ، والجلالة ، واللطافة ، وبما وقع استحقاقهم لذلك ، وبما استحق أهل الكثافة بالكثافة[2] ، وأشبعنا الكلام في جميع ذلك . غير أنّنا أردنا أن نفرد لذلك باباً يزيد في البراهين تبياناً بعون الله ومشيئته ، ولحظات من نحن متعلقون بطاعته ، وملتزمون بولايته عليه السلام[3] .

وذكرنا عالم الأمر المجيب ، وبينا ذلك في الشكل الأول والثاني ، وبينا علو ذلك العالم على عالم الخلق ، الذين هم أصحاب الشمال ، وقصد أصحاب اليمين الذين هم عالم الأمر لمرافدة العاشر وتأييده في فعله الذي صرف إليه القيام به . وكان تكثف ما كثف ، لسبب التخلف ، وذلك التخلف هو الصموت عن النطق بالإجابة ، وقلة الالتزام برتبة من رتب العقول كما قدمنا ذكره لما دعوا[4] بلسان العاشر الذي هو النطق الروحاني بعد إقراره بما غفل

---

١ السادس : الخامس في ج و ط .

٢ بالكثافة : سقطت في ج وط .

٣ وصلواته ورحمته وبركاته وعلى آبائه وأبنائه في ج وط .

٤ أي عندما دعاهم العاشر الذي كان المنبعث الثاني ففارقته هذه المرتبة عن طريق السهو فهبط إلى آخر العقول وترتب في المرتبة العاشرة ، فصار بعد أن كان ثانياً في الانبعاث ثالثاً في =

عنه ، وسها ، وتلك الفترة منه بغير قصد منه ولا عمد .

والذين هبطوا[1] ، قصدوا التخلف وتعمدوه ، وفطنوا لذلك منه ، فجعلوا ذلك لهم صورة . وإنّما هو التزام بالحد الجليل السابق اسم الله الأعظم ، وحجابه الأقدم . فلم يجب في العدل سقوطه ، بل عرضت عليه ولاية حده ، وسلب الإلهية للمبدع تعالى ، فلم يصر ، ولم يستكبر ، ورجع إلى ما ألهم إليه .

وهم لم يلتزموا بأي العقول ، بل وقع الإصرار ، الشاهد بذلك ، ما جاء عن النطقاء بغير قصد ولا عمد ، ورجوعهم وتوبتهم عمّا نهوا عنه . وإصرار التابعين لهم عن طاعة أسسهم ، بالمبدع الأول مثل الناطق ، والمنبعث الأول مثل الأساس ، الذي تخلف عنه الصحابة الذين أمروا بطاعته[2] . وكذلك عالم الهيولى ، منهم من أسر في خاطره بحقيقة المبدع ولم ينطق به ؛ وبعضهم جحده مثل من لم يُسلمْ إلاّ نفاقاً . وهم الذين عصوه في أمره ، الحذو بالحذو .

فالمسرون من ذلك العالم بالإقرار بالمبدع الأول سرّاً ما بين العزة واليقين[3] ، فبقي عليهم بذلك بقية كانوا بها في أعلى مراتب الطبيعة التي هي

= العدد ، عاشراً في الرتبة ، وحصل له بتلك المادة ولجميع العقول السابقة عليه الكمال الثاني والوجود الثاني الذي به تأزلوا وعصموا وأمنوا من الاستحالة والفناء . فلما تاب العاشر واتصلت به المادة بشفاعة من سبقه من تلك العقول وهي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ، لأنه آدم الروحاني الذي قال الله فيه « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم » فقيل له حينئذ أقبل على المقتدين بك في التخلف ، فادعهم وخلصهم مما وقعوا فيه .

١ وهم المكني عنهم بالهيولى الأولى .

٢ يعني بذلك الذين تخلفوا من صحابة رسول الله (ص) ولم يقروا بوصية الأساس الذي هو أمير المؤمنين وسيد الأوصياء علي بن أبي طالب ع . م .

٣ يريد أولئك الذين لم يعترفوا بفضل السابق في الوجود عليهم فقالوا : لا فضل له علينا لأننا كلنا ابداع المبدع تعالى أبدعنا سواء . لذلك أظلمت ذواتهم بعد إنارتها . فلما شعروا بما أصابهم=

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٩٥ / ١٨٨ الأفلاك الذين هم نفس الحس المشار إليها | بالصورة . وسفل من بعد ، ولم يصدقوا بحد من عالم القدس ، ولا محدود ، فكانوا عالم الكون والفساد ، نفس النماء المشار إليها بالهيولى ، وعلا من علا من عالم الطبيعة ، وترتب على ما خطر في باله . وسفل من سفل ، وتكثف واستحجر ، على قدر إصراره[1] ، على سبيل صحابة الرسول، فمنهم من أقر بنبوة النبي وأصر على مخالفة علي وصيه ، فلم ينفعهم إقرارهم بالرسول ، وتخلفهم عن الوصي ؛ ومنهم من لم يصدق بأي الحدين فذلك كذلك . بان من ذلك العالم من أقر في خاطره بفضل المبدع الأول على سبيل ما فعل العاشر ، ولم يلتزم بالمنبعث الأول بسبقه ، فصار بذلك بابه وحجابه ، فهبطوا كهبوط أصحاب الرسول وزلوا . والعاشر أقرّ بالسابق عليه ، فتاب وأناب ، وشهد لمبدع الجميع بالإلهية ، وأقر له بالوحدانية ، فخلص وخلص ، وكلف استخلاص ما هبط بسلب اقتدائهم به على أنّه لم يفدهم ذلك ، ولا يدعوهم إليه[2] ، وإنّما فطنوا لنطقه بتعظيم المبدع الأول على حدته ، فجعلوا ذلك لهم صورة .

فلمّا رجع ودعا إلى ذاته ، وإلى حده الذي هو المنبعث الأول ، فتكبروا عليه ، وقالوا : ما فعلنا إلاّ ما فعل ، ولا قُلنا إلاّ ما قال ، وقد صار

= من الظلمة ، أنكروها واستوحشوا فيها ، والتأم بعضهم إلى بعض ، فتحركوا حركة يريدون بها الخلاص مما وقعوا به ، فحدث من حركتهم تلك في ذواتهم الطول الأول ، فأنكروه وتحركوا حركة حدث منها العرض الأول فصاروا جسماً واحداً ممتزجاً بعضه ببعض . وكانت تلك الحركات من حكمة العاشر المتولي لتدبيرهم .

١ أي أنهم كانوا في عصيانهم للعاشر متفاوتين في الضمائر . فمنهم النادم المستغفر ، ومنهم الشاك المتحير ، ومنهم المصر المستكبر .

٢ لأنهم لم يعملوا بموجب الأصول التي تقضي بوجوب الاعتراف والإقرار للأصلين معاً للسابق والتالي في عالم الإبداع ، وللناطق والأساس في عالم الوضع والدين لأن الثاني متولد من الأول ونظير له وإن كان الأول أعلى مرتبة وأشرف منزلة ، مثل الذكر والأنثى في جميع الأجناس والجواهر ، فإن الذكر وإن كان أعلى وأشرف من الأنثى فكل واحد منهما نظير لصاحبه وشبهه.

يتعالى علينا ، ويأمرنا من ذاته ، بما ليس له ، فوقع بهم الزلة ، ولزمه الفعل فيهم ، حتى يقوم في رتبته من يقوم مقامه ، وينوب منابه[1] ، ويخلفه في استخراج أيضاً من يقوم ذلك المقـــام ، وذلك الأدوار في سائر الأدوار والأكوار ، بما نبيّنه على ما ذكرناه في باب المعاد إن شاء الله تعالى ، فكان التخلف بسبب التكثف ، وتبدلهم بالنور والبهاء ظلمة ، وبالروحانية كثافة . لحدوث الشر من ذواتهم بذواتهم . إذ لا أصل للشرّ في الإبداع ، كما قال الحكيم : وإذا كان الله عادلاً في قضائه ، فما مصاب العالم الاّ لعلة .

وقال سيدنا المؤيد قس : الحمد لله الذي بنى على العسر واليسر الأمور ، وأجرى على الحلو والمر الدهور ، لعلة منها الأفهام اعتلت وفيها الأوهام ضلت ، وطال فيها الكلام ، واستمر في الفحص عنها الخصام ، فما خلصت من وثاق الحـــيرة منها النفوس ، ولا انفكت من قناع العجز باستقصائها الرؤوس ، أحمده حمد ذي عسر طال أمد عسره ، فانتظر يسراً[2] ، واعلم أن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً .

وقال في بعض أشعاره :

وإنّي لجان ثمارَ الذي غرست وحق عقاب لجان

وقال في ذلك السيد المالك الخطاب بن حسين[3] نضر الله وجهه في الباب

---

١ من الأئمة المنصوص عليهم في كافة العصور والأزمان .

٢ فانتظر يسره . العسر بالمفهوم الإسماعيلي وجود النفس الجزئية في عالم الكون والفساد ، لذلك فإنها تظل بغاية الشوق والحنين إلى العودة لكليّها، وسيدنا المؤيد يعني وجوده في هذا العالم قد طال أي بلغ من الكبر عتياً لذلك فهو ينتظر ساعة خلاص نفسه من جسده بعد أن أصبحت في درجة التهيؤ لنيل الكمال المطلق أو بالأحرى نالت الكمال المطلق عن طريق العبادة العملية والعبادة العلمية وهذا ما تنهد إليه في وجودها الجسماني وكمالها العرفاني الذي ينقلها من حد القوة إلى حد الفعل .

٣ هو السلطان الخطاب بن الحسين الحجوري من أكبر وأرفع دعاة اليمن في عهد الملكة الحرة أروى الصليحية . ذكره الداعي إدريس عماد الدين في كتابه عيون الأخبار فقال: «وكان الخطاب=

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التاسع من منيرة البصائر قال : نقول وبالله أستعين ، وعليه نتوكل ، إنّه لما كنا قدمنا في الباب السابق على هذا الكلام على قضية العدل ، وميزنا المستحق لنظره بعين العدل ، ممّن لا يستحقه لضعته ودناءته ، نفينا عن الله تعالى ما تضيفه إليه الجهلة الغفلة من أقضية العدل المنسوبة إليه في عالم الطبيعة اللائقة بما يناسبها من جنسها ، ورددنا ذلك إلى الآلات المحكمة ، القائمة في عالم الكون والفساد بالإنشاء والإبلاء ، اللذين هما أصلان ، والأمور الكائنة بينهما في عالم الكون والفساد ، من الحالات المائزة المذكورة في الباب السابق على هذا الباب ، فروع . وإذا كانت الآلات المحكمة متولية للأصول ، فهي بتولي الفروع أولى فأولى[1] ، كما بينا في حال مرافدة بعضها لبعض ، باتصال النظر المحمود والمذموم ، وكون جميع ذلك إنّما القصد به والغرض منه ، استخلاص الذات الهابطة من عالم الإبداع ، التي وعدنا بالكلام عليها ، والسبب في هبوطها وكيفيته .

فعمدت العناية الإلهية المتوجهة إلى عالم الهيولى بانعطاف الأوائل من طريق السبق على الأواخر ، من طريق التخلف ، فأعطت أصفاء ذات عالم الهيولى قدرة ، وأيدتها بتأييد كان توجهه إليها من أدنى تلك الرتب ، منها ما هو آلة فعالة مؤثرة ، هي أصفاها وكذلك ما بعدت من التغيير والفساد ، وطالت بها المدد ؛ ومنها ما هو هيولى منفعلة قابلة للتأثير ، هي ما كدر منها ، ولذلك ما

= بن الحسين أخا الملكة في الرضاع ، ذا منزلة جليلة ، وهو أرفع الدعاة بعد الداعي الذؤيب بن موسى ، وعاضده في إقامة الدعوة الآمرية والطيبية في أوان الحرة الملكة السيدة الصليحية . قتل غدراً سنة ٥٣٣ هـ ، ومن مؤلفاته العديدة في علم الحقيقة : كتاب النفس ، وكتاب منيرة البصائر وهو في عشرة أبواب ، ورسالة النعيم ، وكتاب غاية المواليد . وهذه المخطوطات في مكتبة مصطفى غالب الخاصة .

١ بتولي الفروع أولى فأولى : تتولى الفروع أولا فأولا في ج وط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قربت من قبول التغير والفساد . وكان قصد المؤيد حتّى أدركت ما أدركت من هذا الصنع العجيب بالقدرة المُعطاة إياها . والذي منها ما هو فاعل، ومنها ما هو منفعل ، إنّما الغرض به كما ذكرنا في غير موضع ، وجود القامة الألفية المهيأة لقبول تأثير العقول الإبداعية ، ولتأثير العقول الانبعاثية في دار الطبيعة ، التّي هي مطارح أشعة تلك العقول النورانية البسيطة لتفعل فيها هذه العقول من الأفعال ما تحفظ به رتبتها ممّن قبل منها ، فتقيمه مقامها في استخلاص تلك الذات ممّا يظهر على مرور الأوقات من تلك الأشخاص ، ليحصل لهذه العقول القاصدة هذا القصد بذلك التّي هي أدنى عالم اللطافة ، أعني العقول القاصدة العود إلى المبدإ[1] الأول بإقامتها مثلها حدوداً فاعلة كفعلها ، مقيمة من النفوس التّي استخلصتها كالذي أقامته من الصور .

وإنّما قلنا عليها إنها أدنى عالم اللطافة ، لما كان من تبطئها[2] عند الدعوة ، وعند المبادرة بالإجابة. فعلى حسب تبطئها ترتب كل على قدر إجابته من سرعة وإبطاء. فأمّا المتخلف عن الإجابة ، فهو عالم الهيولى المظلم الكدر الذي قلنا عليه هابطاً . ونحن نشرح الحال في ذلك إن شاء الله تعالى فنقول :

إنّه لما كان الكلام قد تقدم في معنى العدل ، وكونه متوجهاً في عالم الكون والفساد إلى الآلات المتولية لإنشائه وإبلائه ، وكونه وفساده . وإن كان لا يقال عليه إنّه عدل ولا جور ، كما قد سبق ، لكن القول على المجاز ، وكونه من الطريق الآخر التّي هي الحقيقة للطائف ، ومنها وفيها كل يقيمه[3] في من هو دونه على حسب الدرج[4] والرتب وما تحويه الدوائر حتّى تنتهي

---

١ لأنه أصلها ومتمها وتمامها وسابقها في الوجود ، ومن شأن اللطيف الصعود والعلو . المبدا : المبدع في ج وط .

٢ تبطئها : تباطوئها في ط : تباطأ في ج .

٣ يقيمه : تقيمه في ط تقومه في ج . ٤ الدرج : الدرجات في ج .

إلى غاية الرتب التي لا غاية بعدها ، منها ، فيكون الحال في جميع ما دون هذه الرتبة منوطاً بصاحبها ، وكذا قـد ذكرنا أن الموجود من عالم الهيولى على وجهين : صاعد ، وهابط . وقُلنا : إنّه لا يجوز أن يقال صاعد على غير هابط ، كما لا يجوز عند عكسنا | القول هابط لما لم يكن صاعداً قبل كنايته ٩٦/١٨٩ عن النفوس الناجية بالصعود عن عالم الكون والفساد ، وعن النفوس الهالكة بالهبوط إليه ، والانحلال[1] نحوه ، على أنهما جميعاً قد جمعهما اسم الوجود ؛ ثم اسم الصعود بعده . إلاّ أن هذه الناجية استقامت وثبتت . وهذه نكثت[2] وارتدت . وانما أوقعنا عليهما جميعاً اسم الصعود ، لكون الهبوط قد كان جامعاً لهما أولاً . وهو ما نريد الإنابة عنه ، إلا أنّنا عللنا القول زيادة في البرهان .

وإذا تقرّر ذلك وثبت فإنّا نقول : إن جميع الموجودات خلقاً وأمراً في بدء الوجود الإبداعي يقتضي قضية الحكمة والعدل أن يكون كلّه شيئاً واحداً محضاً ، وذاتاً واحدة لا تفاضل بينهما ، ولا تفاوت من جهة الإبداعية ، ولا تمييز لشيء منها على شيء لكون الحكمة توجب ذلك وتقتضيه ، لأنّه لو وجدت متفاضلة لاقتضى تفاضلها استحقاقاً استحق به الفاضل التمييز على المفضول ، ولعل[3] ذلك الهوية المتعالية سبحانها ، ومحال ذلك ، إذ هو تأييس من ليس ، ولأنّنا متى طلبنا التصور للحال قبل إبداعه احتجنا إلى آلة سابقة عليه في الوجود ، وذلك محال .

فلمّا كان عالم الإبداع بالقضية التي وجد عليها من التمام ، والسناء ، والعظمة ، والكبرياء ، والجلال ، والبهاء ، والعزة ، والعلاء ، وكان

---

١ الانحلال : الاحتلال في ج .

٢ أي هبطت من عالم الصفاء نتيجة للكثافة التي لحقتها . نكثت : نكصت في جميع النسخ .

٣ ولعل : ولعلا في ج وط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إبداعه لا من شيء ولا بشيء ، ولا في شيء ، ولا على شيء ، ولا مع شيء ، ولا مثل شيء ، ولا لشيء . بل على طريق الإبداع المتعالي مبدعه عن أن يوصف بصفاته المناسبة له ، وقع الاتحاد ببعضه بفعله الذي استحق به ذلك ؛ وإن كان لا تبعيض هنالك ، بل على طريق التقريب باللفظ فقط ، فاتحد به اتحاداً كلّياً عرف به مع كون الحيرة والعجز عن تصور المتحد والمتحد به أيضاً .

وذلك أن المتحد به سبق السابقين في الإجابة بعد التمييز والفكرة التي سبق إليها ما لا يترجم عنه عقل طيني ، ولا لسان توحيدي ، فاستحق الاتحاد بسبقه ، لأنّه سبق السابقين ، فاتحد به لاستحقاق سبقه ، ودَعا[1] عالم الإبداع ببابه الذي سبق إليه إلى السجود ، والطاعة والخضوع والإذعان . فكان منه ما أجاب عند الدعوة ، فبقي على حاله الموجود عليه إبداعاً . ومنه ما أجاب على الترتيب ، فكانت السوابق منه ملاحظة للواحق مؤيدة لها على قدر رتبها في الإجابة من تقدم وتأخر ، وإبطاء وسرعة .

وكان المتخلف عن الإجابة والواقع عليه اسم الهيولى المتكثف المظلم ببعده عن مركزه وسقوطه من مقامه ومفارقته إياه ، فوقع به الإهباط عن الحال الأفضل الموجود إلى الحال الأرذل المهبط إليه ، من قبول التشكل بالطول والعرض ، والعمق والخلف ، والأمام واليمين ، والشمال والفوق والتحت ، وهو المكان .

فلما كان ذلك كذلك وسقط الهيولى ، فتكثف وقبل الأشكال ، وبعد إلى غاية البعد ، على أنّه حياة محضة[2] مظلمة ، عمدت العقول المرتبة في الإجابة

---

١ يريد أنه دعا عالم الإبداع بالمبدع الأول أو الموجود الأول السابق في الوجود والتوحيد .

٢ يذهب الإسماعيلية في تأويلهم الباطني العرفاني إلى أن من كان قبل آدم الجسماني فحكمه حكم من يكون في آخر الدور السابع مثلا بمثل ، ولما بعث الله تعالى آدم عليه السلام ليعلمهم=

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأيدت أدناها رتبة ما أيد به الهيولى تأييداً بسريان تلك الأنوار وسطوعها ، فأعطته قوّة وقدرة كان بها من ذاته ما هو فاعل ، ومنها ما هو منفعل .

فالفاعل منها المؤثر بتلك القوة والقدرة ، التي أمد بها كالأفلاك والنجوم ، والكواكب السيارة ، بمرافدتها وتعاونها ، الذي كان سبباً لظهور أجناس المواليد والمنفعل منها القابل للتأثير ، كالأركان الممتزجة ؛ والمزاج الذي عنه ظهور النشوء الذي غايته الشخص الألفي المعروف بأنّه زبدة عالم الهيولى ، وكان السبب في دفع الدافع إليها هذه القدرة والقوّة ، طلباً لظهور القامة الألفية ، التي لا صعود إلاّ منها ، لكونها آخر المواليد ، وهي الدار الآخرة لمن سعد وفاز ، وكان من الناجين .

والغرض به أن تحفظ العقول الدينية رتبها لمن يقيم صورته منها ، كما قدمناه أولاً ، لتكون مستخلصة لمن أذن له بالخلاص[1] ممّا يظهر عنها على مرور الأوقات ، بأن تنقشه النقش السوي ، ويستخرج منه الجني ، فتكون سبباً له في نيل كماله الثاني ، كما كانت تلك الآلات سبباً لنيل كماله الأول ، مثلاً بمثل .

ومعنى قولنا الكمال الثاني هو الرجوع إلى المبدع الأول بالتدريج ، وتكون العقول الدينية بذلك الذي حفظت به رتبها راجعة إلى محلها الأول ، ومسكنها الأفضل ، في عالم القدس بعد أن رقته من مسقطه ، وأصعدته من مهبطه ، بالطاعة والانقياد منه لها ، والقبول الذي كان السبب في إهباطه بما

= وغيرهم ما لم يكونوا يعلمون ، ويكسبهم التمامية إذا كانوا ناقصين ، وإن كانوا عن الغير بالفضل متميزين وقاصرين عن درجة الكمال ، بتركهم العمل في العبادة ، فشرع ، وقنن ، ودعا إلى العبادتين علماً وعملا ، فمنهم من اتبع وأطاع ، ومنهم من امتنع والتوى عليه على السنة السابقة في ابتداء الأدوار .

١ يقصد أن تكون مستخلصة لإمام العصر الذي تتجسد فيه القوى العقلية والروحية والدينية لأنه أصلها ومبدؤها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقع به منه التخلف . وإنّما وجد ما وجد من عالم الأفلاك والكواكب ، والطبائع والأركان ، والمزاج والممتزج ؛ كل ذلك أسباباً لظهور من ذكرنا ظهوره .

ثم إن الحال المائزة[1] بينهم من الغنى والفقر ، والعز والذل ، والعجز والقدرة ، والضعف والقوة ، إنّما هو باتفاق نظر الكواكب كما بينا في الشكل المحمود ، والشكل المذموم ، لا بقصد منها الخاسر شيء ، ولا إسعاده . بل اتفاق عن مناظرة هذه الآلات المؤثرات ، وهي كالنار لا تعلم بما تحرقه ، وكالماء لا يعلم ما يغرق فيه ، فلا يصرف أفعالها إليها بعدل منها ولا جور ، وإنّما يضاف العدل إلى مدبر عالم الطبيعة[2] الذي يحركها إلى المسير ، إلى المناظرات ليعطي كُلاًّ ما يستحقّه ، وفعله ذلك لظهور الولد التام[3] ، الذي بظهوره وحصوله يسكن هو عن التدبير . وإن كان لا يقع هنالك عنده تعب ولا نصب . وإنّما إظهار الحكمة والخدمة لمن أيده . وأيضاً يفعل الجود ، لإظهار الوجود ، الذي هو التفضل ، فهو الحفيظ العليم .

فهذه الفصول قد بينت معنى الخطيئة المرموز بها في ألفاظ الحدود ، ولم يظهروا حقيقة ذلك خيفة أن تقع أسرار أولياء الله مع الجهلة الغفلة الذين يكفرون أهل الحكمة على غوامض علومهم . وقد ذكر الخطاب[4] في شعر له ذلك بحقيقته ، وهو المرتضى الذي ارتضته حجّة الجزيرة وداعيها ،

---

١ المائزة : المميز ط . الماز ج .

٢ يقصد به العقل العاشر المتولي لتدبير عالم الطبيعة .

٣ من هنا جاءت تسمية الكتاب « بكنز الولد » باعتبار أن العلوم العرفانية الموجودة بين سطوره توصل إلى معرفة الولد التام .

٤ يعني السلطان الخطاب بن الحسين أو الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري وله ديوان شعر ، وهو من=

واستعراضهم لصورته . قال شعراً[1] :

ألا ليتَ شعري كيفَ من طَبقاتها ... خَلاصي فقَدْ أعيا وكيف نجائي
وفكّيَ عن أغلال حسي بشهوة ... لقَيتُ بها في الذل كل لقاء ٣
٩٦/١٩٠ | لَعَلّي بدار القدس أرجع كالذي ... وجدت به مِن عزّة وعَلاء
حنَنْتُ إلى تلك المقامات والتَظى ... فؤادي بحرّ الشوق والبُرَحاء
ولألاء نور واقتدار وغَنية ... ومحضِ جلالٍ باهر وبهاء ٦
وما لي إليها لا أحن وإنّها ... لداري وفي ساحاتها قربائي
تغربتُ والمرء المفارق داره ... وأهليهِ مَعْدودٌ مِنَ الغرباء
فيا سفري هذا الطويل عسى الذي ... قضى بكَ يقضي أوبتي وأدائي ٩
ويا شَجني العَواقِ لي عَن مآربي ... عدمتكَ من ما أنْتَ من قرنائي
صحبتكَ إذ عَيْني عليها غشاوة ... فلمّا انجلت فرغت منكَ وعائي
فهَلْ لكَ في بين يفرّق بَيْنَنا ... فراقَ تقال قاطع وتناء ١٢
ويلحق منّا كل جنس بجنسه ... ومشبهه من تربة وسماء
وإنّي لأرجو ذاكَ والله قادر ... بتبليغ آمالي ونيل رجائي
واعلم علماً ليسَ بالظن بالذي ... إليه معادي عند كشف غطاء[2] ١٥

= الشعراء المعروفين في اليمن وفي انتسابه إلى حجور يقول الخطاب في القصيدة ١١١ من ديوانه :

قومي حجور جناح لي أطير به ... وأهل عزمي من دون الورى قدم
لا يبدلون لرسم حين أرسمه ... ولا أبدل رسماً غير ما رسموا

١ هذه الأبيات نقلها المؤلف من قصيدة طويلة للخطاب ألقى فيها ضوءاً على عقيدته وعلى النظام العرفاني الإسماعيلي .

٢ وحتى تكون الفائدة أعم رأينا أن نقتطف بعض الأبيات من هذه القصيدة العصماء التي لا تزال تعيش في كنف التقية :

وذلك أني قد بلوت فلم أجد ... مذاهب هذا الخلق غير هباء
سراب كما قال الإله بقيعة ... ترائى لقوم مصحرين ظماء =

وما أنا لاق من نعيم متى أرم له الوصف تعجز فكرتي وذكائي

* * *

ونحن الآن نعود إلى شرح ما قدمنا عليه القول : وذلك أنّه لما جرى في عالم الإبداع الدعوة الأولة بالمنبعث الأول ، وانقسم العالم الإبداعي قسمين : إلى ذات اليمين ، وإلى ذات الشمال ، وأجاب القسم الانبعاثي على الترتيبي شيئاً عن شيء ، فترتبت المراتب بحسب سرعة الإجابة وتبطيها ، وكانت إجابتهم للحدين الأعظمين اللذين هما : المبدع الأول ، والمنبعث الأول ، بتسبيح وتقديس ، للمتعالي سبحانه مبدع المبدعات .

فهذا القسم هو عالم الأمر ، فبقوا على حالهم في الجلالة والعظمة والعلاء والسناء . والقسم الثاني أقروا بما أقرّ به العاشر من تسبيح المبدع الأول وتقديسه أولاً ، وتخلفوا عن إجابة المنبعث الأول الذي دعوا به[1] ، وأنكروا وتوقفوا عن طاعته . وقد أجاب العاشر في آخر مراتب العقول السبع ، وأقر للسابق عليه بسبقه له ، وفضله عليه ، والتزم به ، وجعله له قبلة ووسيلة إلى السابق الأول ، وإلى مبدعه .

ولم يفعل المتخلفون كفعله هذا الذي كمل به عن النقصان ، فأمر هو بدعوتهم عدلاً وتحنناً ، بسبب إقرارهم للأول وتعظيمهم له ، وإلهامهم بأن يلتزموا بالمنبعث الأول لسبقه لهم ، واختصاص المبدع له بفعله وسبقه ،

= ولا شيء إلا ما علقتم بحبله وعروته للعترة النجباء

* * *

ألا واغسلوا من كل حقد قلوبكم عليكم فداء الحقد أخبث داء
ولا تجعلوها للحقود أوانيا فإن إناء الحقد شر إناء

١ يرمز بذلك إلى الذين تخلفوا عن تنفيذ وصية الرسول (ص) بأن تكون الخلافة للإمام علي ابن أبي طالب ع . م .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكونه حجاب الحجاب وبابه ، وسبب الأسباب وثوابه[1] ، فخالفوه أيضاً ، وأنكروه .

ومنهم أيضاً من لم يقر بالمبدع الأول ولا بغيره ، فهم الذين سفلوا إلى أسفل سافلين ، بعد أن أظلم الكل ، وامتزج البعض بالبعض . وكان المقرّ بالمبدع السابق منهم على ما فعل العاشر زوجاً للعاشر في تصوره ذلك . فهو آدم الروحاني الذي استعطف ، واستتيب ، فعطف وتاب . والذي زاوجه على التصور الأول حواء ، وهي الصورة التي هي النفس الظلمانية[2] ، التي تخلفت عن طاعة من أطاعه ، ووقع بهم القول : اهبطوا بعضكم لبعض عدو . وكانت هذه الزواجة المقرّة بالحد الأول في أعلى المكان مراتبهم وترتيبهم على معنى خواطرهم ، والمتخلف عن الكل في أسفل سافلين .

قال سيدنا حميد الدين قدس الله سرّه في الرمز بذلك[3] : ولذلك يقال عند حد الطبيعة إنها مبدأ حركة وسكون ، في الشيء الذي هو فيه بالذات ، وذات هذا المحرك هي الحياة السارية من عالم الربوبية المعرب عنها بالصورة التي وجودها بالانبعاث من الإبداع ، من الهيولى عن النسبة الموجبة وجودهما على ذلك ، بأن تكون إحداهما فاعلة ، والأخرى مفعولة فيها[4] ، إلى قوله : بل هي من شيئين بهما وجوده : أحدهما الهيولى ، والأخرى الصورة ، سماهما عالم الدين ، الكرسي والعرش ،

---

١ لأنه جوهر محيط بالأشياء كلها . وهو من حيث كونه عقلا لا فرق بينه وبين الأول ، كما أن الوصي أول منصوص عليه من الحدود في الدور والدعوة إلى التوحيد ، فهو من حيث كونه كاملا لا فرق بينه وبين الناطق ولا يقع الفرقان إلا بالمرتبة في التقدم .

٢ هذا هو رأي العرفان الإسماعيلي في آدم وحواء في الابداع الروحاني .

٣ المشرع الرابع من السور الخامس من كتاب راحة العقل للداعي أحمد حميد الدين الكرماني .

٤ «على النظام الموجود عليه حال الموجود الأول الذي هو الإبداع على ما عليه طبيعة النسبة مفعولا وذاته لا كذات العقول في التجرد من المواد صوراً محضة ، بل هي من شيئين» .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهيولاه التي هي جسمه في التهيؤ والموافقة والانبساط لصورتها على أمر يكاد أن يكون كهي لشدة اتحادهما ، بما شاع فيهما من نور الوحدة[1] .

فسمى الفلك المحيط الكرسي ، والبروج العرش .

وجعل الصورة هي الحياة ، وهي نفس « الحس وهي المحركة المتحركة من داخل الجسم الذي هو الهيولى نفس النماء »[2] . فقد بان هذا الذي ذكرناه من علو الصورة باستحقاق ، ودنو الهيولى كذلك باستحقاق .

وقال أيضاً[3] : بأن الذي يبقى منه هذا الباقي الذي هو الهيولى في وجودها وانبعاثها عن الموجود الأول ذات صورة رافدة إياها الوجود كما أنها لها بها الوجود ، إذ لا وجود لإحداهما إلاّ بوجود الأخرى ولا لهما وجود إلاّ معاً ، بكون وجودهما عن نسبة هي في ذاتها زوج معرب عنها بالمبدع الذي يقتضي إبداعاً ، وما بالإبداع هو مبدع ، فلا الهيولى سابقة في وجودها على الصورة ولا الصورة سابقة في وجودها على الهيولى ، بل هما ذات واحدة ، هي في ذاتهـــا ، جزءان بهما ذات الجسم جسم ، على كون الصورة أشرف من المادة ، لتعلق الفعل بها ، وعلى كون كل منهما — أعني الهيولى والصورة — في ذاته غير جسم ، فلا الهيولى بمجردها جسم[4] ولا الصورة بمجردها جسم .

وهذا فصل أوضح أنهما لطيفان . فالحسية لطيف ، والنامية لطيف .

---

١ في الأصل المنقول عن راحة العقل « نور الوحدة بقربه منها ، واستعلاء حكم الصورة عليها حتى كأن كليهما شيء واحد » .

٢ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين من ج وط .

٣ المشرع الأول من السور السادس من راحة العقل .

٤ حتى تكون الفائدة أعم نكمل هذه الجملة اقتباساً من راحة العقل « ولا الصورة بمجردها جسم أيضاً ، لكنهما باعتضاد كل منهما في الوجود بالآخر على أمر ينافي ذاتيهما إذ كانتا في حالها الأولى لا كهما في حالهما الثانية عند البحث » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكنّهما لبسا[1] الكثافة من ذاتهما بذاتهما ، والكثافة ليست[2] بشيء إلا الجهل الذي تصوره مع صورة البقاء ، فكان ذلك ظهوره كظهور الخبث من جميع الصنعة الهيولانية . وكذلك جاء عن الشخص الفاضل صاحب الرسائل[3] :

إن الشر لا أصل له في الإبداع من جهة المبدع سبحانه ، فإذا سائل سأل وقال : فمن أي جهة حدوثه ؟ فليعلم السائل أن الخير الكلي هو العلم المحض، والجود إفاضة الباري سبحانه على العقل بجوده ، فكان له السبق والتمام ، والكمال ، والتقدم بالوجود على الأشياء .

ثم كانت النفس منبعثة منه تالية له، فكان ما بينهما من التفاضل مرتبة منحطة النفس عن اللحوق بالعقل ، ونقصاناً عن درجته ، فقصرت عن الكمال ، فصار ذلك التقصير | عجزاً ، فحدث من ذلك العجز نقص عن البلوغ إلى الفضل الكلي . ٩٧/١٩١

ثم حدثت الطبيعة عن النفس أفضل منها ، لكونها أصلاً لها[4] . فكان ما بينهما من التفاضل عجزاً هو أكثر من عجز النفس عن بلوغ مرتبة العقل . فقد بين بأن هذه النفس الناقصة ، هي العاشر بما ذكرناه ، وإن الطبيعة هي الهابط الذي تخلف وكان نقصه أكبر من نقصان النفس ، كما ذكرنا . وهذا هو الشر الحادث من المحدث له .

ثم قال : سميت تلك الشوائب الكدرة ، لما غطت على الفضائل ونقصت من جنسها وبهجتها ، وسترت بغلظتها من نورها شرّاً لما كانت

---

١ لبسا : ليس في ج وط .

٢ ليست : سقطت في ج وط .

٣ هذا النص منقول من الرسالة الجامعة الجزء الأول . مخطوطة في مكتبتي الخاصة .

٤ أصلا لها : الإله في ج : إلا لها في ط .

معوقة للخيرات ، أن ترد بما هي عليه من الصفاء ، فكان ذلك الأشياء المتضادة ، المخالفة بعضها لبعض من المحن والبـــلاء ، والأمور العارضة المكدرة ، إلى قوله : فإن قال قائل فلِـما وجب الفناء للطبيعة ، وإنّها لا تلحق بمنزلة النفس ، كما النفس تلحق بمنزلة العقل ؟

قيل له : من أجل أنها لاهية عن الأمور العقلية ، غير عارفة بها ، ولا مشتاقة إليها ، لبعدها عنها ، ولأنها ليس هي المراد ، ولأنها محنة للنفس وعذاب لها . وإنّما أهبطت النفس إليها ، وبليت بها لخطيئة كانت منها استوجبت ذلك ، وموضع المحنة ، ومكان البلية ، لا يبقى عند خروج المذنب من ذنبه . فالنفس إذا فارقت الطبيعة بعلم وعمل[1] ، رجعت إلى حالتها الأولى التي كانت عليها قبل الخطيئة . فالنفس التي أشار إليها هاهنا ، هي الصورة التي هي الحياة الحسية الهابطة ، والطبيعة التي أهبطت إليها ، وامتحنت بها ، هي الكثافة التي هي الهيولى ، النفس النامية .

وقال في فصل ثان من الجامعة[2] : وإن النفس في عالم الكون والفساد ، كائنة في محل الأجساد ، وهي الأرواح الهابطة للزلة التي كانت منها ، والخطيئة التي جنتها ، فأهبطت وأبعدت من دار الكرامة ، فبقيت معذبة مربوطة بالطبيعة الحسية والتكليفات اللازمة لها في الشرائع الناموسية ، جزاء لها بما أسلفت . وما ذكره الحكماء من الهيولي والصورة إلاّ تنبيهاً للنـــفس اللاهية ، والأرواح الساهية الغافلة عن آيات الله وتذكاراً لهم[3] . وإن الهيولى والصورة ،

---

١ أي بالعبادة العلمية والعبادة العملية .

٢ انظر الجزء الأول من رسالة الجامعة لإخوان الصفاء وخلان الوفاء ورقة ٨٣ . مخطوطة في مكتبة مصطفى غالب .

٣ يريد بذلك الأنفس التي تتكشف بالمعاصي وهذا يختص بالأضداد الكبار من الخبثاء والأشرار أعداء الإمام الأساس .

أعراف عليها واقفون ، وبرازخ لهم إلى يوم يبعثون ، كلما بليت صورة بالفساد كونت أخرى[1] بالكون . فهم بين البلاء والنشوء مترددون ما بين الهيولى الجسمانية ، والصورة التركيبية إلى كون النشأة[2] الأخرى الروحانية ، كالبداية الأولى ، والنشأة الثانية . فالمحرك للنفس قوة جزئية من قوة النفس الكلية بالإرادة الإلهية ، والعناية الربانية ؛ وإن ملكاً من جملة الملائكة موكل بها . وإن الرؤساء الظاهرين في الآفاق والأنفس ، بالآيات والمعجزات ، هم أشخاص صورانية متحدة بها أرواح نورانية مؤيدة لها ، بتأييدات إلهية ، منبعثة من النفس الكلية القدسية القابلة لفيض العقل بلا واسطة انزلت لخلاص النفوس الجزئية من عالم الفناء[3] ، وتذكيرهم | بمحل البقاء[4] ، وتمحق ٩٧/١٩٢ عنهم أثر الخطيئة الكبرى ، وما حل بهم من المصيبة العظمى ، وتنقذهم من أسر الهيولى ، وتفكهم من قيود الطبيعة ، وتردهم إلى عالم السموات ،

---

١ يذهب الإسماعيلية إلى أن هؤلاء إذا ماتوا شاعت أنفسهم في أجسامهم ولم تفارقهم إلا الهوائية . ثم يتحللون ويصيرون من البرازخ فيما يستحقونه منها على قدر أعمالهم ، إن استحقوا بعضها أو كلها . ثم يرجعون صاعدين بالاستحالة والولادة إلى الصور البشرية ، وتعرض عليهم الدعوة . فإن استجابوا خلصوا وإلا ردوا إلى ما يستحقونه باكتسابهم في المرة الثانية ، لأنه عدل لا يظلم العباد ولا يخلف الميعاد ، والغرض كله في انشاء الخلقة استخلاصها مما وقعت فيه من الخطيئة والإنكار . فمن تخلص صعد ، ومن أبى وعاند الحدود ، ارتكس وهبط ، وكل ذلك بالاستحالة مرة بعد مرة .

٢ نلاحظ بأن الإسماعيلية ينكرون ما يذهب إليه أهل التناسخ ويعتبرون ذلك جهلا وضلالا لا يجب اعتقاده ، بل يقولون بأن معتقد ذلك هالك ملعون . لأن ذلك بالاستحالة والاغتذاء والولادة والتنقل في برازخ العذاب الأدنى ثم إلى العذاب الأكبر .

٣ يعني بذلك المنبعث الأول أو التالي الذي اتخذه السابق أو العقل الأول باباً وحجاباً يخاطب منه من دونه ، وأمده من المادة التي طرقته من مبدعه ، بما شرف به على المنبعث الثاني ، وعلى كافة أبناء جنسه ، وعلم بذلك ما كان وما سيكون ، وهو المسمى بالنفس الكلية وباللوح ، والأنفس الجزئية منه تنطلق وإليه تعود إذا خلصت من جزئيتها وبلغت حد الكمال .

٤ يريد بذلك المعاد أو عودة الجزء إلى الكل الذي انبثق منه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والرجوع إلى دار الملكوت ، في عالم العقل .

وهـــذا فصل أوضح فيه أن ملكاً من الملائكة موكل بها فهو العاشر المحرك لها لتنال كمالها في جميع الحالات ، ثم تدرج بها الحركة إلى الكمال الثاني .

وقال أيضاً في أن من كان من صالح أو طالح في عالم الكون والفساد « فإنه ممن هبط بالخطيئة ، قال : وأما النفوس الزكية المنصرفة عن المركز الخارجة من عالم الكون والفساد »[1] الداخلة في عالم الأفلاك ، « وزمرة الأملاك ، وهي الأرواح الزكية والأنفس النورانية »[2] الطاهرة المضيئة التي قد تخلصت من هاوية الطبيعة ، وقيد الهيولى ، وبحر الظلمة ، فقد خلصت ونجت ، فهي منصرفة عن محل البلاء ودار الشقاء ، إلى دار النعيم والملك المقيم ، طوبى لهم وحسن مآب . وهي النفس المطمئنة الراجعة إلى ربها راضية مرضية . إلى قوله :

وإن التفاوت في الدرجات والمنازل ، غير مستحق له ، ومخصوص به نوع دون نوع ، ولا شخص من ذلك النوع دون شخص . فالبرهان وجب أن يكون ذلك لعلة موجبة للعدل ونفي الظلم والجور عن المبدع الحق سبحانه وتعالى .

وقال سيدنا حميد الدين ، قدس الله سرّه ، في إيضاح رتبة العاشر عن الإبداع ، وفي الصورة التي لها نسبة من عالم القدس :

---

١ سقطت الجملة الموضوعة داخل قوسين في ج وط .

٢ يقصد أهل العرفان الحقيقي من الحدود والدعاة والمستجيبين العارفين لمعاني الحكمة السرمدية القدسية الذين صاروا سبباً قريباً للمواليد الروحانية . والحدود في عالم الدين وسائط بها يعرف أهل الدعوة حقائق الأمور ومن جهتها يدرك علم المعقولات ومنازل آيات الله وحدوده . والأئمة مصابيح الظلام الذين أضاءوا للناس طرق الهداية . سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين من ج وط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولمّا كان الإبداع الذي هو المبدع الأول والملك الأول خارجاً عن الجسم مفارقاً ، ولم يكن مثله لزم لما لم يكن مثله أن يكون الإبداع الذي بذاته ، علة قريبة لوجود ما في الإمكان أن[1] يوجد عنه ممّا يجب أن يكون ، وأن يترتب دونه ممّا وجد عنه ما يكون علّة لوجود ما سواه ، وأن يوجد فيه ممّا به كماله ، ما يكون من جنس هذا المفارق الخارج عنه القائم بالفعل ، ليكون بكونه من جنسه فاعلاً ، فيكون باقترانهما في الوجود ، وإذا نهض لما يوجبه كماله حدوث الحركة التي بها يتعلق وجود الموجودات في عالم الجسم ، وبها يصير محركاً متحركاً لا عن قصد منه لأن يكون متحركاً ، ولا لأن يكون مُحركاً ، بل لأن يقدس المتعالي سبحانه وما عنه وجوده ، الذي فيه فرحه وحبوره وكماله ، فكان الذي في هذا الموجود الأول من الهيولى الذي هو من جنس ما هو خارج عنها ممّا لا وجود لها إلاّ به ، هو الحياة المعرب عنها بالصورة التي هي العاقلة لذاتها ولذات ما هي فيه من الجسم ، وإذا نهضت لفعل ما يوجبه كماله من استدامة المسرّة بالتقديس والتمجيد ، تحرك بحركته المتحرك من جسمه . ولما كان ذلك كذلك قلنا :

إن سبب كون هذا المحرك ناهضاً للفعل الذي يلزمه الحركة فيكون متحركاً ، هو أنّه لما كان هذا المحرك المتحرك الأول من شيئين يعقل بأحدهما بكونه من جنس ما يعقل ، وكانت غايته وكماله الثاني الذي به يتعلق بقاؤه وقيامه بالتقديس والتمجيد ، وفيه سروره وبهجته ، ودوامه في عقل ما به | وجوده [وعنه وجوده[2]] من الموجود الأول السابق عليه في ٩٨/١٩٣ الوجود « فأحاط بذاته من جهة ما يعقل فعقلها وعقل الموجود السابق عليه في

---

١ انظر المشرع الرابع من السور الخامس من كتاب راحة العقل للكرماني .

٢ هذه العبارة (وعنه وجوده) غير موجودة في الأصل المنقول عن راحة العقل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوجود الذي »[1] به كماله ، اغتبط بذلك أشد اغتباط ، وكان له من الحبور والمسرة بكماله الذي ناله بعقله ما هو خارج «عنه ومصادفته ذاته على أكمل الأحوال والجمال الذي »[2] يليق به أعظم حبور ، وأعظم مسرة ، فصار عقله ذلك صورة في ذاته ، مقومة له ، بها قيامه بالفعل كاملاً في التقديس والتحميد والتسبيح ، وبها اغتباطه ومسرته بما هو عليه من صيغة البقاء والسرمد، محركة إياه إلى ما له أن يتحرك إليه من استدامة الغبطة والمسرة بفعله إذ الصور أبداً فاعلة بما هي له صورة .

وإذا كانت الصورة محركة إياه ، لزم أن ينبعث للفعل الذي يقتضي كماله ، وإذا لزم أن ينبعث للفعل ، لزم بفعله في جسمه الذي به تمامية ذاته أن تحدث عن نهوضه بجسمه ، لإصدار الفعل الحركة في جسمه . وإذا لزم أن تحدث الحركة في جسمه لزم أن يكون بكونه فيه متحركاً[3] فكانت تلك الحركة بكونه أشرف موجود ، عن الهيولي والصورة أشرف الحركات ، وبدوام فعله ما يوجبه الكمال من التقديس والتوحيد والمسرة[4]، والاغتباط ، والابتهاج ، أدوم الحركات ، فالسبب في حركة المحرك المتحرك الأول ، هي تلك الصورة المعقولة عن المبدع الأول ، التي هي المحركة لما

---

١ سقطت من الأصل المنقول هذه الكلمات (في الوجود فأحاط بذاته من جهة ما يعقل فعقلها وعقل الموجود السابق عليه في الوجود الذي) في جـ و ط .

٢ سقطت من الأصل المنقول عن راحة العقل هذه العبارات (عنه ، ومصادفته ذاته على أكمل الأحوال والجمال الذي) في جـ وط .

٣ يبدوأ ن الناسخ أضاف في جـ وط هذه الأسطر المنقولة عن راحة العقل : كحركة الملاح عن حركة السفينة ، حركة عرضية طارئة عليه من جهة جسمه عن قصد ما يوجبه كماله على نحو ما يحدث للنفس من الحركة عند طلبها المسرة بالانتقال أو العبادة لله تعالى وتقديسه ، واستعانتها في ذلك بابعاض جسمها .

٤ في الأصل المنقول من المشرع الرابع من السور الخامس من راحة العقل (والتمجيد والتحميد والمسرة) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هي له كمال إلى ما فيه دوام غبطته وبقائه .

وهذا فصل قد أوضح فيه أن الحياة هي الصورة، وبالحقيقة هي الحية . وإنّما لم تسم صورة إلاّ بسبب تصورها للمبدع الأول ، فكانت هذه صورة أوجبت لها صورة البقاء والأزل فيما هي فيه . ثم تصورت إنكار من أنكرته ، فكانت ذات صورتـــين : أوجبت لها الأولة اللطافة ، والثانية الكثافة . فقرنت بالهيولي الذي هو المُصِر المستكبر المنكر للكل. وامتزجت به التي هي النامية السفلية ، التي رسبت أسفل سافلين ، فهي محركة لها متحركة من داخلها ، فهي محركة من الأفلاك لها في عالم الكون والفساد ، ومتحركة بذاتها في عالم الأجرام لدوام النشوء[1] وظهور المواليد وهي المتحركة في عالم الكون والفساد ، قابلة التأثير . والنامية قابلة التغاير والتضاد ، والاستحالة من حالة إلى حالة ؛ والصورة هي التي لها العلم الأول في النبات ، يطلب الغذاء له ، ثم في الحيوان المحركة المتحركة إلى المآكل والمشارب والنكاح . وهي بذلك تطلب الالتذاذ والبقاء ؛ والعناية الإلهية تريد بها الخروج إلى الكمال الذي هو القامة الألفية ليخلص منها ما خلص إلى الكمال الثاني ، فذلك سبب امتزاج الهيولى والصورة لهذا المعنى ، لا لغيره فقط .

فصل : من ذلك في كيفية انفعال المكان والزمان ، وتكثف عالم الخلق والابتداء في ذلك بعون الله ومشيئته ، نقول :

إن عالم الخلق لما أظلم ووجب عليه الهبوط والتكثف والسقوط ، عما كان عليه امتزج بعضه ببعض ، وتراكم كثّراكم الغيوم والضباب ، وامتزج ، فتحرك من ذاته بذاته حركة أولة بمحرك قاصد بذلك ما له أن يقصد بتأييد إلهي وأمر رباني ، فكانت تلك الحركة هي الطول الأول ،

---

١ النشوء : النشاة في ج ، في النشو ط : .

فكان مبدأها[1] حرارة ، ومنتهاها برودة .

٩٩/١٩٥ ثم تحركت حركة ثانية تطلب الخلاص ممّا وقعت فيه . فكانت العرض الأول ، وأولها رطوبة ، ونهايتها يبوسة ، فأكملت الأفراد الأربعة ، التي هي الاستقصات لجميع الموجودات .

ثم تحركت حركة ثالثة تريد الخلاص ممّا وقعت فيه ، فلزمها العمق الأول بين الأقطار ، ولزمها الأبعاد الثلاثة . ثم كان من الحركة الثالثة لما بعدت حدوث طبيعة جامعة للكل في الوسط حرارة ويبس ، وحرارة ورطوبة ، وبرودة ورطوبة ، وبرودة ويبوسة ، وتزاوجت «وحوتها الأقطار في الوسط فامتزجت »[2] وصارت كالكرة في الوسط ، وهي في ذاتها بذاتها مزاج وممتزج ، قابلة الأغيار ، قابلة التضاد ، قابلة الاستحالة ، قابلة الكثافة ، قابلة الفعل ، متوجهة إلى كل ما وجهت إليه ، وهي المسماة بسجين دار العذاب ، والذل والهوان لأهل العذاب ، وما ربك بظلام للعبيد . «وهي أيضاً باب المعاد ، وطريق الرشاد لأهل الصواب »[3] .

ولما كان ذلك كذلك ، وجرت الحركات الثلاث مبدأ الأبعاد ، وتكوين المكان ، لظهور الزمان ، وكملت الطبائع والأمهات ، ولزمت الجهات الست لخروج ما يخرج إلى الحس ، كان ابتداء ذلك على هذه الصورة تقريباً للمرتاض إلى فهمه هذه . (انظر الرسم)[4]

ولما كانت الحركات الثلاث على هذه المثابة ، التي هي الطول والعرض والعمق ، ولزمها الطالع والغارب ، والرابع والعاشر ، وقطبا جنوب وشمال ،

---

١ مبدأها : مبدلها في ج . وكل هذه الحركات من حكمة العاشر المكلف بتدبيرهم .

٢ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين في ج .

٣ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين في ج .

٤ في النسخة ط : وجد مكان الصورة بياض بمقدار صفحة . وفي ج نقط وفراغ .

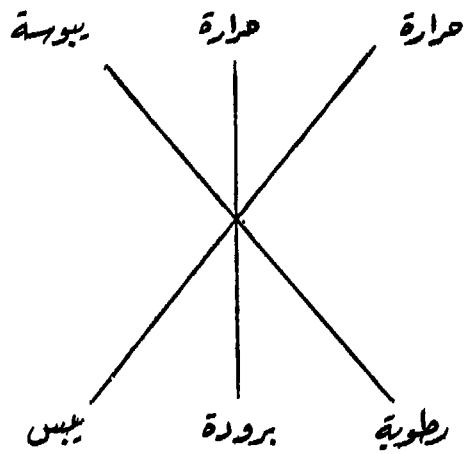
حرارة
حرارة
يبوسة
رطوبة
برودة
يبس

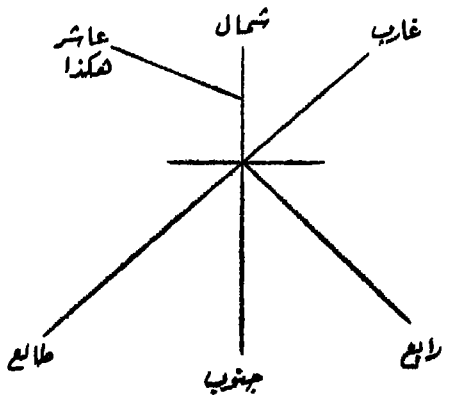
شمال
غارب
عاشر
هكذا
رابع
جنوب
طالع

لكون دوران الفلك عليهما ، وحدث من أول الحركة في الطول الأول الحرارة ، ومنتهاها البرودة ، ومن أول العرض الرطوبة ومنتهاها اليبوسة ، ولزمها الأبعاد الثلاثة ؛ « واجتمعت الخطوط ، فكان لها وسط ، هو العمق الأول ، ويسمى الجو المُنْفَهِق »[1] ، واجتمعت فيه بالمزاج والممتزج الذي تكون في الوسط كالسحاب المتراكم ، وقد صارت طبائع مثمنة ، حرارة ويبوسة ، ورطوبة وبرودة ، ورطوبة وبرودة ، ويبوسة ؛ وانعقدت منه ما انعقدت ، فكانت الأرض المسماة[2] بسِجّين . وبقي ألطفها دائراً بها ، وهو النار والهواء والماء ، وكانت في أول هيئتها الصليب ، أعني الحركات ، وهي لها وسط باجتماعها إليه ، وهو المنعقد الذي انعقد الوسط الممتزج ، وتبقى منه ما لطف ، الذي هو النار والهواء ، وتزاوج بالمناسبة التي بينها هكذا . فتناسب هكذا النار والهواء بالحرارة ، وتناسب الهواء والماء في الرطوبة ، وتناسب الماء والأرض بالبرودة ، وتناسب الأرض والنار باليبوسة .

وبهذا دار الفلك على الوسط الذي هو عالم الكون والفساد ، وهو الصنف الذي لم يلتزم بأي الحدود[3] ، وتمرد | وعصى وتكبر ، فسفل في أسفل سافلين[4] ، والجو المنفهق[5] ، هو من ألطفه وأعذبه وأشفه ، وهو الحاوي لجميع الأفلاك ، وهو عين المكان[6] وأسه .

١٠٠ / ١٩٦

---

١ المنفهق : الواسع ، وربما أراد الجو المنفتق . وما بين قوسين سقط في ط .

٢ الاسم مأخوذ من الآية « إن كتاب الفجار لفي سجين » ويرمز المؤلف من خلف هذه التسمية إلى أن الأرض هي السجن الدائم للنفس التواقة إلى الخلاص منه . السجين : الدائم .

٣ يعني الحدود التي أوجبها ميزان الديانة ومعيار الصنعة النبوية طلباً للفضيلة واستنباطاً للعلوم الإلهية .

٤ لأنهم من المخالفين والأضداد الذين هبطوا فلحقوا بمنزلتهم التي هي من طبيعتهم .

٥ المنفهق : المنهق في ط .

٦ المكان : سقطت في ج .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولذلك فإنّه[1] يقبل النور تارة ، والظلمة تارة ، وما وقعت الحركات التي ذكرنا إلاّ من أصل حركتها ، وهو كرة الشمس كالقلب المتكون في الإنسان ، فحدث بسببها الحركات ممّا نبينه في موضعه .

فلمّا انعقدت الأرض كانت حجراً صلدة ، وجميع الكواكب والنجوم ، مترتبة وهمية ، لطائف بلا كثائف ، وكل برج وهمي لازم لموضعه . فلمّا انعقدت الأرض ودار بها الهواء وفلك النار ، وفيه دخان لطيف ، ممّا سلم من الانعقاد[2] ولم يختلط بأي الأمهات ، دار الفلك الدورة الوهمية ، ولَمّ بعد تلبس أجرامها ، فرمى كل كوكب ، وكل نجم ، بما دنا وعلا ، وكبر وصغر ، بشعاعه إلى الأرض من فوق وتحت ، وخلف وأمام . فلم تجد الأشعة منفذاً ، فرجع كل شعاع إلى أصله ، وقد انجذب مع كل شعاع من ذلك الدخان مثله ، فتكون على كل كوكب وهمي صدفه[3] الذي هو جرمه ، وذلك على سبيل ما نشاهده من انفعال النيازك التي تتساقط لأنها تنفعل كواكب ، وتردها الكواكب العالية إذا لم تقبلها ، إذ لم يكن لها مواضع .

فلما دار الفلك كان له حركتان ؛ فالمحيط يتحرك من المشرق والمغرب ، قلبة واحدة لما دونه في اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة ، وفلك البروج يتحرك من المغرب إلى المشرق ، ورمت حينئذ بأشعتها إلى الأرض ، فكان من ذلك من لطائفها ، ومما تجذب ، رطوبات الأرض وطبائعها ، النسيم المدبر بالأرض المعتدل الذي هو حياة[4] الحيوان والنبات اعتداله ، ويسمى البحر السيال .

---

١ فإنه : سقطت في ج .

٢ أي لم يقتصر ولم يتلطف وينعقد ويتكون في مراتب الخلقة .

٣ صدفه : صرفه في ج وط .

٤ يريد الحياة المحيية الحسية بوساطة النسيم .

ثم جرت الأفلاك السبعة ، فإذا هي من فوق الأرض ، كان زحل ، الذي هو مثل الرجلين من فوق ، والقمر الذي كالرأس إلى أسفل ، وذلك على سبيل المختم ، يكون مقلوباً . فإذا ختم به كانت كتابة ثابتة ؛ فالمراد بذلك ثبات ما على وجه الأرض ، ممّا له في الفلك صورة وطبيعة ، من معدن ونبات وحيوان . والمعنى من ذلك ظهور زبدة الكل التي هي القامة الألفية[1] .

ثم كانت هذه الكواكب تدور ، فإذا هي من فوق ؛ فزحل أعلاها ، والقمر من السفل إلى ما يلي الأرض ، وإذا هي من تحت الأرض كان القمر من فوق إلى ما يلي الأرض ، وزحل إلى نحو فلك البروج ، وذلك لعكس خلق من تحت الأرض ، ووحشة معوجة منعكسة لا تشبه شيئاً ممّا فوق الأرض .

وذلك لثبات الكواكب ، انعكست الصورة المسجونة المظلمة ، المعذبة المغلولة أسفل سافلين ، والأرض من أسفل وجوانبها ، كالهبوط الذي هو صلد من الغار ، فهي صلدة من جميع جوانبها ملساء كالحديد ، يابسة لا ماء فيها ، ولا نداوة ، بل كبريتية[2] زيبقية ، تتوهج بلفح كلهب النار ، بل أشد وأعظم .

وذلك لأن لا يسقط من الحجارة والتراب والماء شيئاً على الأفلاك في دورانها ، ولأن تكون سجناً للعذاب ، وفيها من المغارات والكهوف ، والحدود والأصداع ، أكثر ممّا هو فوق الأرض .

ولذلك أن الهواء إذا تموج ممّا هنالك ، وحدث من شدة تموجه الرياح

---

١ يذهب علماء الإسماعيلية إلى أن الشخص البشري كان ظهوره أول تدبير القمر نباتاً من الأرض مستندين إلى قوله تعالى « والله أنبتكم من الأرض نباتاً » وبذلك خالفوا أولئك الذين يقولون بأن الإنسان خلق من إنسان واحد على التناسل .

٢ كبريتية : كبرتيتية في ج .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى يمتلي كهف أو غور منه ، وقع في أعلى الأرض ممّا يلي ذلك الزلازل والرجف . فالأرض من جميع أقطارها[1] | وجهاتها على هذا السبيل . ووجه ١٠٢/٢٠١
الأرض من فوق بسيط فيه ما أعده الله تعالى لليسر من النفع والضر ، وهي مقر الدعوة ، وعرصة الولاية ، وتكليف العبادة ، للرجوع والعودة . فمن قبل وأطاع علا وبلغ إلى أعلى عليين ، ودخل الأبواب ، باباً باباً[2] ، وخرق الحجب حجاباً حجاباً . ومن تكبر وعصى ، أو غفل فيها وسهى ، تدرج إلى أسفل سافلين ، ودخل أبواب العذاب باباً باباً ، وجاوز البرازخ حجاباً حجاباً إلى أسفل سافلين .

فالفلك المحيط محرك متحرك ، وحركته من داخل ، وحركته أشرف الحركات باتصاله بما هو خارج عنه ، وقربه من دار القدس ، وفيضه متصلاً به دائماً غير منقطع ، والحياة التي هي محركة له ، وهي المشار إليها أنها من داخله ، وهو باب عالم القدس البسيط كما ذكر ذلك سيدنا المؤيد وهو معنى الصورة التي هي نفس الحس التي قدمنا ذكرها ، وهو فلك أطلس ، لا كوكب فيه ، ولا نجم محيط بالأفلاك والأملاك ، وهذه الصورة صورته ، وصورة فلك البروج ، وصورة الأملاك من فوق الأرض ومن تحتها ، ومن جميع أقطارها في مسيرها على هذه الصورة[3] . (انظر الرسم)

فلمّا كان ذلك كذلك الصورة الأولة بتصوير الحركات وابتدائهما وهمية ، وهذه الصورة هيئة الفلك لما كمل بأصدافه وأجرامه ، ودار بتقدير المقدر له ، المدبر الحكيم الصانع ، فسبحان من هذه الصنعة صنعته ،

---

١ أقطارها : أفكارها في ج .

٢ يعني من استجاب إلى دعوة الحق العرفانية تدرج في المراتب والحدود حداً حداً .

٣ في ج و ط بياض مقدار صفحة كان من المفروض أن ترسم فيها الصورة التي نوه عنها المؤلف أعلاه . والظاهر أن الناسخ صرف النظر عنها لصعوبة رسمها ، وترك مكانها بياضاً .

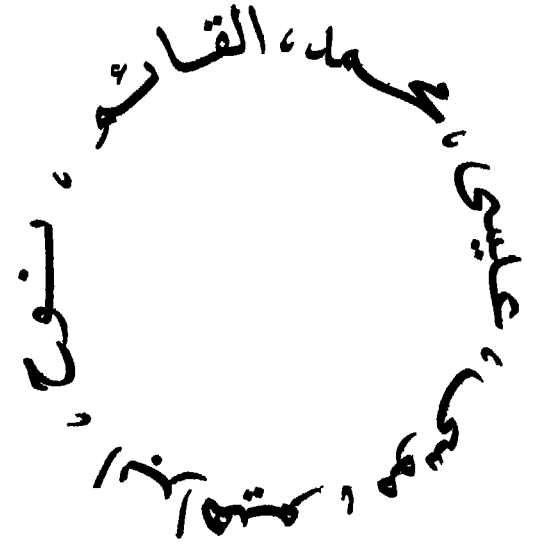
محمد القارئ
عليه رحمة الله

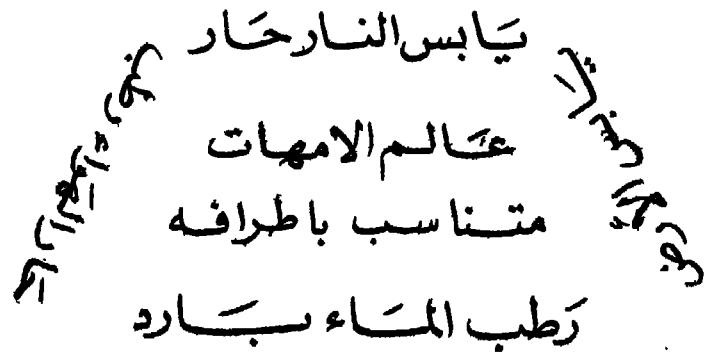
يابس النار حار
عالم الامهات
متناسب باطرافه
رطب الماء بارد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكان عكس الأفلاك من فوق لما يراد ثباته وتمامه وكماله ، وكان من تحت الأرض ثابتاً لما يراد عكسه وتشويهه ومسخه لعذابه وإهانته .

ونحن نبين حال الكواكب السبعة ، وما الأشرف منها ، وذلك أن الحياة الهيولانية التي هي الصورة بلسان التأويل ، والنفس الحسية بلسان الحقيقة التي ملأت السموات[1] والأرض كما قال تعالى : ﴿ وسعَ كُرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾[2].

ولما امتزجت عند الهبوط فصار منها هيولى ، وهي النامية ، وانفعلت على ما صورنا ، وحدث الجو المنفهق الذي هو عرصة المكان ، وامتلأ أفلاكاً وأمهات ، وكواكب وأملاكاً ، وكواكب أمهات ؛ كان مبدأها على سبيل الخلقة الحيوانية ، وذلك أن هذه الحياة لما امتزجت وتحركت ، ولزمها الأبعاد ، وكان لها مركز جامع لكلها ، فكانت الشمس التي هي النير الأعظم ، وهمياً ، باطنها برودة ورطوبة ، وظاهرها حرارة ويبوسة ، فكملت طبائعها باطناً وظاهراً ، فاتحدت الحياة بها ، كما تتحد النفس الحسية بالقلب .

فهذه الحياة التي أقرت بالحد الأعظم ، وتكبرت على أبوابه الروحانية[3] وحجبه التي دعيت منها فعصت . ثم تكون القمر ، فكان باطنه حاراً يابساً ، وظاهره باردا رطباً ، وبذلك ثبت بين هذا النيرين التزاوج والمناسبة ؛ فالقمر قابل من الشمس بباطنه المناسب لظاهرها ، « والشمس تجتذب منه بباطنها المناسب لظاهره »[4] وبذلك ثبت أفعالهما في المواليد ، ولو كان ما يرون

---

١ النفس الحسية أي النفس التي تحس بالصورة وتعلمها وتفكر وهي غير قائمة بالفعل ، بل هي قائمة بالقوة ويكون كمالها من قبل من هو في الرتبة فوقها لذاتها لا لجسمها فتصير عقلا قائماً بالفعل وذلك عندما تدرك محسوسها وتقبل صورته . ٢ سورة : ٢/٢٥٥ .

٣ يعني الحدود المتصلة بعضها ببعض من أعلى الموجودات إلى الأنفس الطبيعية .

٤ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين من ج وط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنعامه ، لكان بينهما التضاد ، وفسد الفعل .

ثم تكونت الزهرة التي فلكها ممّا يلي فلك الشمس ، فكان | باطنها أيضاً ١٠٣/٢٠٢
حاراً يابساً يناسب ظاهر الشمس ، وهي بظاهرها البارد الرطب تناسب القمر ، وبظاهرها أيضاً تناسب باطن الشمس بالبرد والرطوبة ، وبباطنها تناسب باطن القمر .

ثم تكون المريخ ، فظاهره حار يابس ، وباطنه بارد رطب ، وبذلك ناسب النيرين في ظاهرهما وباطنهما . ثم كان المشتري ، فكان بظاهره حاراً ليناً ، وبباطنه بارداً يابساً ، فناسب زحل ، ، وبظاهره الحار اللين ، إلى باطن زحل الحار اللين ، ولذلك ازدوجا ، فكانا المتوليين للمثلثات باقترانهما ، وناسبا النيرين والزهرة والمريخ . كذلك بباطنهما وظاهرهما ، وانفرد عطارد بطبعه فكان ممتزجاً ، أي كوكب جاسده ، كان طبعه يوافق طبعه ، وفعله كفعله . وكانت الشمس قلب العالم الجرماني ، والقمر بمنزلة الرأس ، والفلك المحيط كالروح المقوي للحس في جميع جهاته .

وصار الفلك بعلوه واعتداله ، وتزاوجه وتوافقه ، طبيعة خامسة ، وهو زبدة الصورة التي هي الحياة الحسية التي كان لها تصور في المبدع الأول أنّه حق ، فبذلك علة على المصرة التي هي الهيولى المشار إليها بالنامية الهابطة إلى أسفل سافلين ، مركز الكون والفساد . فهي خامسة للأمهات الأربع ، فاعلة مؤثرة فيها . اهبطوا منها بعضكم لبعض عدو .

فالفلك قابل لتأثير عالم القدس ، وهو له كالزوج بقربه منه وقبوله له . وبالنسبة التي هي له منه ، وعالم الكون والفساد قابل من الفلك لجميع تأثيره ، وهو له كالزوج ، وعالم الكون والفساد كالزوجة ، لظهور المواليد بينهما . وكذلك الخط من الفلك الخبيث الذي امتزج به فسفل عنه فكان عقدتين ، الرأس والذنب . وهما وهميان ، تدرك أفعالهما ، ولا تدرك صورهما .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وذلك بسبب كماله الأفلاك . فخرج من نطاقه ، ولم يلبس صدفاً ، لأنّه ممّن أصر ، فكان لا من الفلك ولا معه ، ولا من الأمهات ولا معهما ، فصار ضدّاً للعالمين ، وصار الرأس يقال له سعداً ، لما قارنه من سعد زاد في قوته ، وما قارنه من نحس « نقص من قوته ، والذنب نحساً ما قارنه من سعد نقص من قوته ، وما قارنه من نحس »[1] زاد في قوته ، وهما ضدان ، خصوصاً للنيرين عليهما حكم الكسوف ، فذلك كذلك .

وفلك البروج فيه الكواكب البابانية ، التي عليها الحساب . وهي ألف نجم وثمانية وعشرون نجماً ، واثنا عشر برجاً ، وثماني وعشرون منزلة ، وكل برج ثلاثون درجة ، وكل درجة ستون دقيقة ، وكل دقيقة ستون ثانية ، وكل ثانية ستون ثالثة وكل ثالثة ستون رابعة .

وعلى ذلك أن تكون التاسعة ستين عاشرة . فمنها طالع ، ومنها غارب ، ومنها رابع ، ومنها عاشر . وهي كالقبة المستديرة[2] وأشرفها الطالع والعاشر ، يدلان على الحياة والبقاء بمقابلة السعود ، وأخسها الرابع والغارب لأنهما يدلان على الموت والفناء بمنـــاظرة النحوس ، وهي مثلثات للأملاك ومربعات ومسدسات ، وللناظرات والمجاسدات ، ولها منها هبوط ووبال وأوجات ، وإشراف وحضيض ، ونحوس وسعود واحتراق ، واجتماع وافتراق .

١٠٣/٢٠٣ وللكواكب المتحيرة رجوع وتقهقر ، | وهو بجملته مركز الحياة السارية من عالم الربوبية التي ذكرنا ، والشمس خصوصاً مركزها وحجابها ومعدنها . فهي بذلك تمد ما علا عليها وما دنا منها .

قال سيدنا حميد الدين في ذلك : إن ذات الطبيعة التي هي الحياة المسماة بالنفس ، ليست بذات أجزاء في ذاتها ، فتكون منقسمة ، أو جائزاً

---

١ سقطت الجملة الموضوعة داخل قوسين من النسخة ج .

٢ كالقبة المستديرة : كالفية المستديرة في ج و ط .

انقسامها بذاتها بكونها لا جسماً ؛ وإذا بطل أن تكون منقسمة بذاتها بكونها لا جسماً ، وإذا بطل أن تكون منقسمة بذاتها لزم أنها في جزء واحد من أجزائه هو محلّها ومركزها بذاتها وفي سائرها ، بقواها وأفعالها ، وإذا لزم أنها في جزء واحد من أجزاء العالم هو محلها ومركزها ، وكان المركز من الشيء قلبه وقطبه ، والجزء الذي هو أشرف من سائره ، وكان قلب الأجسام العالية ، والمختص بالشرف منها من الأجزاء المذكورة الشمس ، وكانت الشمس هي مركز الطبيعة ومحلها ، فالشمس مركز للطبيعة موجودة عن النهاية الأولى والمحيطة كلّها بما هي علّة وهي بالإضافة إلى الأجزاء كلّها لشرفها مركز فيه حلولها ، وبه كمالها واتصالها بدار الإبداع ، وقبول الفيض منها بالتشابه الذي به هي في مؤازرتها .

وذلك أن الشمس تهيؤها لقبول بركات عالم الوحدة ، لا كتهيؤ غيرها من موجودات عالم الطبيعة ، ونجوع أنوار الحروف العلوية فيها لا كنجوعها في غيرها ، واتصال الموجودات بها لا كاتصال بعضها ببعض بكونها سابقة من الموجود الأول ولكونها[1] بذلك مركزاً تتوجه نحوه أنوار المؤثرات من خارج ، ويتوارد عليه الفيض ، ومصير ذاتها عند التشبيه والتمثيل في دار الجسم ، كالإبداع الذي هو المبدع الأول في دار الوحدة ، ولذلك صارت حاوية لكل شرف وجد بالإبداع بضرب ثان تشابهاً ، ومؤدية ما يحصل لها من البركات إلى ما دونها ، والمتعلق وجوده بها لتكون عنها المواليد ، فهي مختصة بهذا الجزء الذي هو الشمس ، وأنوارها ساطعة في شيء من كل موجودات العالم[2] سارية قوتها في ما تفعل في كل شيء منها من أثرها ما لا

---

١ في الأصل المنقول (لكونها سابعة من الموجود الأول وكونها بذلك) .

٢ كل موجودات العالم : الموجودات العالم السارية في ج وط .

تفعل في غيره بحسب قبوله منها ، على نحو ما يفعل السمك الذي يختص فعله وتحذيره بيد الصياد دون غيره ، أو على نحو فعل حجر المغناطيس الذي يختص بالحديد دون غيره الذي لا يقبل قوة جذبه[1] .

فأقسام الجسم كثيرة مثل الأفلاك والكواكب والأركان . وليس للطبيعة منها قسم يختص به ذاتها ، لا الأفلاك ولا غيرها إلاّ الشمس التي بها حياة الكل ، وبها عالم الجسم وظهور المواليد الجسمانية من معدن ونبات وحيوان ، بمرافدة الزوج الذي هو القمر . فالطبيعة التي هي الحياة ، قد ظهر أنها في الوسط بين النهايتين اللتين إحداهما الإبداع ، وثانيهما الإنسان الذي هو الجامع للفضائل الذي إليه تنتهي أنوار المؤثرات من العوالم كلها ، أعني النهاية الثانية المنبعث من طريق الانبعاث الثاني الذي هو القائم سلام الله عليه . قد جرى فيه ما قد جرى في الأول من | الكمال ، فقام بكونه نهاية ثانية بإزاء ١٠٤/٢٠٤ النهاية الأولة التي هي الإبداع ، وهو أعني القائم نهاية النطقاء ، والأسس ، والأئمة ، والتابعين من الحدود في عالم العبادة والتوحيد ، من أول الدهر إلى الذي هو أول الأدوار .

فالعوالم كلها متعلقة بعضها ببعض متسلسل على النظام الذي توجبه الحكمة الإلهية الذي إن تحرك مثلاً متحرك ، أو سكن ساكن ، كان موجوداً بذلك المعنى في الكل . فيكون بتطابق الكلّ شيئاً واحداً ، والطبيعة بنهايتها أعلم العلماء ، وأطب الأطباء ، وهو الملك المقرب المسلم إليه تدبير أمر عالم الجسم ، المعرب عنه بالكرسي ، فسبحان من له هذه المملكة ، ومن تدبيره هذا التدبير ، ولا إله إلاّ هو[2] .

---

١ وردت هذه الأقوال في المشرع الثاني من السور الخامس من كتاب راحة العقل للداعي أحمد حميد الدين الكرماني .

٢ لاحظنا تقديماً وتأخيراً في النص المنقول وإسقاط بعض العبارات مما دعانا لإيراد النص كما=

فهذا فصل أوضح فيه أن الشمس مركز الحياة الهيولانية التي هي الصورة التي سمّاها الملك المقرب الذي بيده تدبير عالم الجسم المعرب عنه بالكرسي ، التي هي الحياة ، التي كنينا عنها بحواء ، التي حوت الأشياء ، وأحاطت بها . وهي الهابطة ، وهي التي يحركها آدم الروحاني لما له يقصد ، ممّا قدمنا ذكره . وإن مركزها الشمس ، ومحلها أنها أعلم العلماء ، وأطب الأطباء ، بتأييدها لعالم الجسم ، وهذه علواً وسفلاً .

ونحن إذاً قد بينا القول على التوحيد المحض ، ومعرفة المختص برتبة الوحدة والتوحيد بسبقه سدرة المنتهى . ثم على جنة المأوى المنبعث بالفعل بذاته في ذاته ، وشفعناه بالقول على المنبعث الثاني القائم بالقوة وكماله الأول ، ونقصانه عن الثاني ، وسبق العقول السبعة له ، وترتيبهم ، وإقبالهم عليه ، وتحنّنهم وعودته إلى ما غفل عنه بغير قصد ، وإجابته . ثم على قيامه في من تخلف[1] كقيام الإبداع الذي هو المبدع الأول ، ودعاؤهم به ، وتكبرهم وإصرارهم عليه وعلى المنبعث الأول ، وعلى هبوطهم وتكثفهم وامتزاجهم ، وكونهم هيولى وصورة ، لطيف فاعل ، وكثيف مفعول به . فاللطيف ما بيناه أنّه الصورة التي هي الحياة القائمة بالقوة المخصوصة بالعلو ، على ما جرى به القول . فكان علوها بما أسرته في الحد الجليل السابق في الوجود ، ولبوسها للكثافة ، وقبولها لها بتخلفها عن حديها ، وإجابتهما والالتزام بهما ، وعن الإقرار بمبدع الكل تعالى .

= ورد في راحة العقل وخاصة في الموضع الذي وقع فيه الاضطراب : « . . العوالم كلها ، وهو عقل قائم بالفعل منبعث من طريق الانبعاث الثاني قد جرى فيه ما جرى في الأول من الكمال فقام بكونه نهاية ثانية بإزاء النهاية الأولة هو بالحقيقة القائم سلام الله على ذكره الذي إليه نهاية النطقاء . . . » .

١ يعني من تخلف عن التوحيد والإقرار له بالسبق والكمال والتمام .

وذكرنا انفعالها وامتزاجها ، وتراكمها وحركاتها الثلاث ، وانفعالها وترتبها ، وعلو ما علا باستحقاق ، ورسوب ما سفل كذلك باستحقاق . وكان ذلك جميعه من ساعة ظهور عالم الإبداع بحرف كن[1] . فكان من سبق المبدع وشهادته ، وانبعاث المنبعثين ، والدعوة بهما ، وإجابة من أجاب ، وتخلف من تخلف ، وتكثف المتخلف وانفعاله ، وترتبه في مراتبه إلى حد انعقاد مركز الأرض كلمح البصر . فسبحان من له الخلق والأمر ، ولا إله سواه .

ولم يبق إلاّ الكلام بعد كمال الكلام على المكان والزمان ، على ظهور المواليد الثلاثة بقصد أيضاً ثانٍ ، بتؤدة ومكنة ، وأدوار ، وفعل ، وانفعال ؛ إن شاء الله تعالى من قول العلماء ، وأوضاع الحكماء ، بما نبينه بعون ولي العون .

---

١ كن : يذهب علماء الإسماعيلية إلى أن كلمة الله تعالى سميت العلة الأولى وهي الوحدة ، لأن حوامل الوحدة أربعة ، وهم الأصلان (السابق والتالي) ، والأساسان (الناطق والأساس) والكلمة أربعة أحرف كذلك . فالكاف منها نظير العقل الذي هو معدن الجواهر العلوية والسفلية وأصل الأيسيات . واللام نظير التالي ، إذ بالنفس لزم اللمية التي هي أصل المخاطبة ، وبه تلمع أنوار العقل في العالم الجسماني وفي الأشخاص المتجزئة . والميم نظير الناطق الذي ملك الجسماني والهاء نظير الأساس الذي هو المهدي ، وهو هدية الناطق إلى أمته . والسابق والتالي روحانيان ، والناطق والأساس جسمانيان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب السابع[1]

« في القول على | العالم الثالث الجسماني الذي هو المواليد الثلاثة » ١٠٤/٢٠٥

قال في ذلك علي بن حسن منصور اليمن في بعض أوضاعه[2] قال : وإن بدء الجثة الإبداعية ، والفطرة التي عند الحكماء اليونانيين ، إبداعاً ثالثاً من غير جماع ، ولا توسط نطفة ، ولا اغتذاء برحم ، وانّماء في بطن أنثى ولا أم . بل ابتداء ذلك لما كانت الكواكب في بيوت أشرافها في درجات الشرف ، كل كوكب في درجة شرفه ، « حتى ذكر أن عطارد كان في درجة شرفه »[3] وليس يمكن ذلك في عطارد خاصة .وكان الطالع السرطان . فدارت الأفلاك ودبرت المدبرات ، وتدافع الهواء ، وامتزجت الأمهات ، فانعصر البخار بذلك السحاب ، بتدافع جرم الهواء الذي يقال له : الريح . فأمطرت مطراً نظير المني ، فأخرجت الأرض الجثة لجميع الحيوان حالاً بعد حال ، وظهرت جثة الإنسان والطالع العذراء بقوة تأثير الأصلين[4] اللذين

---

١ السابع : الخامس في ج . التاسع في ط .

٢ لعل المقصود هو أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي (منصور اليمن) مؤسس الدولة الفاطمية في اليمن ، وربما كان علي هذا حفيد منصور اليمن أي ابن ولده حسن الذي خرج على الدعوة في اليمن بعد وفاة منصور اليمن .

٣ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين من ج وط .

٤ يقصد السابق والتالي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانا سبباً لوجود آدم الروحاني وزوجه في الروحانيين ، وسبب وجود الطين . فخلق من ذلك جميع الموجودات في الأرضين[1] والسموات .

قال الله تعالى : ﴿ وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً ﴾[2] الآية . وروي عن مولانا جعفر بن محمد ، الصادق (صلع) أنّه ، قال : إن ظهور الجثة من غير نطفة ، ولا ازدواج بالقوة الإلهية المكنونة بالآلة المعتدلة الشريفة السعيدة[3] الفلكية ، وقوّة العوالم ، والفلك هو معلول علة العلل الواحد الذي ليس كمثله شيء .

فالبشر نتيجة الفلك ، ثم كان من بعد ذلك الازدواج ، والتناسل من الذكر والأنثى ، من كل زوج ليبقى الجنس إلى الوقت المعلوم ، الذي في مثله يكون فتور الأفلاك ، وسكون الجنس باجتماع الكواكب في الحمل ، وهلاك سائر الحيوان .

وقد ضربنا لذلك مثلاً بسير الشمس وإصلاحها ، وإفسادها عند معادها في رؤوس البروج المنقلبة . لأنها في رأس الحمل أظهرت الأشجار ثمارها ، وفي رأس السرطان يتم نضوجها ، وفي رأس الميزان يبدو تغيرها واندثارها ، وفي الجدي فسادها وحصادها ، ثم يبدو صلاحها .

وكذلك إذا عادت الكواكب بعد افتراقها من اجتماعها ، وحلت بيوت شرفها كما تقدم لينشو العالم نشوا جديداً ، كما ترجع الصور التي لها في الفلك صوراً روحانية ، وتبقى على ما كان في الدور الماضي . وهو من ستة وثلاثين ألف سنة « إلى أن يكمل عشر دورات للكواكب الثابتة من ستة

---

١ يريد بذلك أرض الدين وعالم الكون والفساد أي الكرة الأرضية .

٢ سورة ١٧/٧١ .

٣ لم نعثر على هذا القول في أي كتاب من الكتب التي بين أيدينا التي روت عن جعفر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وثلاثين ألف سنة »[1] فيتم ثلاثمائة[2] ألف سنة وستين ألف سنة ، وافياً بلا نقصان .

وقد ذكر أن الجن خلقوا من قبل هذه الجثة ، من الحرارة واليبس ، التي هي النار . وأسكنوا الأرض ، فأقاموا ثلاثمائة ألف سنة وستين ألف سنة ، ثم كان الإنسان والحيوان .

فالإنسان من الأرض ، والطبائع ، وسينقرض ذلك بعد تمام الكور ، ويبدو خلق جديد كذلك ، والله أعلم بغيبه .

كذلك جاء عن الفيلسوف الإلهي بأن الكواكب المدبرات لعالم الكون والفساد ، سبعة أملاك بتجاسدها حدوث القرانات ، فباجتماعها في الحمل جميعاً وجوب الكور الأعظم ، الذي هو ثلاثمائة ألف سنة وستون ألف سنة .

ثم قران يسمى القران الأكبر ، وهو خمسون ألف سنة دور الكشف ، ثم قران ، يسمى القران الأصغر ، وهو سبعة آلاف سنة دور الستر ، من قيام آدم والنطقاء من بعده إلى القائم سلام الله عليه. فكل دور ناطق تسعماية[3]. ١٠٥/٢٠٦

ويتلو هذه القرانات الثلاثة القران المتردد ، وهو باقتران الكوكبين العلويين بحكم المثلثات . وذلك مائتان وأربعون سنة ، وقران زحل والمريخ في برج لثلاثين سنة . وقران دون ذلك ، وهو قران زحل والمشتري في كل عشرين سنة كرة واحدة .

---

١ سقطت الكلمات المحصورة داخل قوسين من ج وط .

٢ في بعض النصوص الإسماعيلية أن مدة الدور خمسون ألف سنة ، ويذهبون إلى أن دور القائم مع ولده خمسين ألف سنة دور كشف ، ودور الستر سبعة آلاف سنة ويأتيه بين الدورين فترة مقدارها ثلاثة آلاف سنة ومن يتوفاه الله من الأئمة في هذه الفترة كان في أفق العاشر أما ما أشار إليه المؤلف فهو مدة العذاب الأكبر والكور الأعظم الذي أعد للمخالفين من الكبار وهي ثلاثمائة ألف سنة وستون ألف سنة مضروبة في مثلها .

٣ ومنهم من يقول ألف سنة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم قران أصغر « هو اجتماع النيرين قبل دخول الشمس أول دقيقة من الحمل لكل سنة شمسية ، ودونه قران »[1] وهو مجاسدتهما في كل شهر عربي كرة .

فلمّا كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون لكل كوكب من السبعة الأملاك خمسون ألف سنة ، من جملة الكور الأعظم ، والابتداء منها لزحل ؛ وكل كوكب منها يرافده ألف سنة إلى أن يفي العدد سبعة آلاف إلى القمر فيبدأ العدد في سبعة أخرى كذلك إلى القمر . وعلى ذلك إلى أن يفيء دوره خمسين ألف سنة .

وكذلك للمشتري خمسين ، وللمريخ خمسين ، وعلى ذلك إلى خمسين للقمر فيوفى الكور . وابتداء دور زحل يجري التبديل والتحويل ، فيعود البر بحراً ، والبحر براً ، ويستحيل ما على وجه الأرض من المواليد ، ونحن نبين كيفية ذلك .

فلما كان الدور الأول الخمسين لزحل ، وكان على ما ذكرنا الحد من السبعة الأولة بألف منها ، وذلك بسبب استحجار الأرض من جميع نواحيها على ما قدمنا ذكره وصلابتها .

فعمدت العناية الإلهية بقصد العقول الإبداعية ، تأييد العاشر[2] ومرافدته على ترتيب الفلك على ما بيّنا ، وجعلت زحل أعلى الكواكب ، إذ كان على وجه الأرض ومن فوقها عكساً لإثبات ما يراد إثباته ، وهو من تحت الأرض من أسفل الكواكب ، بعكس ما يراد عكسه ، وذلك لبرودته[3] ويبسه

---

١ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين من النسخة ج .

٢ يريد المنبعث الثاني الذي هبط فانتظم عاشراً من العقول الانبعاثية ويقابله في عالم الدين الداعي المكاسر المكلف بجلب الأنفس المستجيبة إلى دعوة الحق الهادية .

٣ لأن الأرض تجمع البرودة واليبوسة ، والبرودة جامعة للماء والأرض ، ومثل ذلك من الحدود الحجة الذي يجمع الولاية والسياسة والدعوة ، والدعوة الباطنة الجامعة للحجج والدعاة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبخسه، وهو متولي كرة الأرض لأنها من جنسه ، فأحدث زحل في ألفه الذي اتحد به البرد المفرط ، واليبس والثلج المتراكم المفني ، وتكاثف البخار والدخان ، ونشأت الغيوم والضباب .

وأظلم الجو ، وصار الفعل فعل الزمهرير ، ونبعت المياه من الأرض ، وغزرت الأمطار ، وجرت الأنهار، وغمر الطوفان الأرض على وجهها البسيط الأعلى ، وتلاطمت الأمواج ، وتدفقت إلى كل جانب ، فتقلقلت الجبال وتصدعت ، وتحللت واستربت ، وتصدع وجه الأرض وتشقّق ، وخشن الشيء بعد الشيء، فتمعدنت واستربت وجهها لأنّه كان في حال انعقادها ، فعمدت العناية الإلهية ان جعلتها من جميع نواحيها صلدة متحجرة . وجعلت وجهها حجراً خشنة ، متحثمة ، متمعدنة بالأكلاس والرمل . فقبلت فعل ما يراد بها من التصدع ، والتشقق ، والتمعدن ؛ حتى اكتسى وجهها تراباً ، وصارت أودية وسهولاً ، وجبالاً وحزوناً .

وكان ذلك سبب اقتران الكواكب جميعاً في برج الحمل الذي هو أول البروج المنقلبة ، وشرف الشمس . وأول البروج وخروجها منه إلى بيوت أشرافها ، فكانت الشمس حينئذ في تسع عشرة درجة من الحمل ، والقمر في ثلاث درجات من الثور ، وصار هذان البرجان بشرف النيرين ، لكونهما في خط الاعتدال ، وكان زحل في إحدى وعشرين درجة من الميزان .

والمشتري في خمس عشرة درجة من السرطان ، وهو، أعني السرطان ، طالع العالم بأسره ، وهو بيت القمر ، والمريخ | في ثماني وعشرين درجة من الجدي ، والزهرة في سبع وعشرين درجة من الحوت ، وعطارد في خمس عشرة درجة من السنبلة التي هي العذراء . فلمّا كان ذلك كذلك ، واتحد زحل بالألف الأولة ، وحدث ما ذكرناه إلى وفاء الألف الذي أفسد ما على وجه الأرض من الأحجار .

١٠٥ / ٢٠٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثمّ دخل الألف الثاني الذي يرافد فيه المشتري لزحل ، فقل المطر دون ما كان في الألف الأول ، وبقيت الأرض مغمومة مغمورة ، وحُلّتْ فزاد في قوّة زحل بباطنه البارد اليابس ، واكسب الأرض سخونة بظاهره الحار اللين ، ووقع بينهما الاعتدال ببواطنهما وظواهرهما ؛ ثم دخل الألف الثالث الذي يرافد فيه المريخ زحل ، والمريخ بظاهره حار يابس ، وباطنه بارد رطب . فاتفق برد ظاهر زحل ويبسه ، وبرد باطن المشتري ويبسه ، ويبس ظاهر المريخ ، فتولد من هذه الخمس قوى[1] في الألف الثالث باجتماع قوى التحسين مع باطن المشتري : السباع الضارية على عدة أجناسها وأنواعها ، وأشخاصها وأصنافها ، وذوات الأنياب والمخالب ، والهوام ذوات السموم على عدتها في أصنافها ، وذوات الجوارح من الطير والهوام في البحار ، وبنات وردان[2] ، والجراد .

وذلك المزاج الممتزج الفاسد الذي بعد عن العلة ، وهو في رسوب الهبوط ، وذلك حكمة بالغة ان قُرنت هذه الأجناس في الأصفاد ، فاعجمت وألجمت ، وأبعدت باللعن إقصاء لها عن الفساد .

ثم بدأ الألف الرابع بمرافدة الشمس لزحل ، وظاهرها حار يابس ، وباطنها بارد لين ، وهي مركز الحياة ومعدنها . فحدث انقشاع الغيوم ، وانحلال البرد ولينه ، وبدأت سخونة قريبة مع برد معتدل باللين ، فحدث ظهور أجناس صغار من الحيوان ، مثل الفأر ، وما شاكله في البر والبحر ممّا هو يمشي على أربع ممّا صغر خلقه ، وما كبر أيضاً مثل الجواميس

---

١ في ط : القوى . ويقصد بذلك القوى الروحانية الحساسة الخفيفة اللطيفة وهي : الباصرة ، السامعة ، الذائقة ، الشامة ، اللامسة ، وهي تشبه الكواكب الخمسة الجارية في السماء : المريخ ، المشتري ، عطارد ، زهرة ، زحل .

٢ نوع من الحشرات المشابهة للجراد .

والفيلة ، وبقر الوحش وحمر الفرا ، وما كان في البحر من القروش وأشكالها . ثم بدأ الألف الخامس الذي يرافد الزهرة فيه زحل ، وظاهرها برودة ورطوبة ، وباطنها حرارة ويبوسة .

فابتدأت الأمطار معتدلة غير دائمة ، بل على أنواع موقتة باعتدال . لأن المياه قد كانت نضجت من على وجه الأرض بحرارة المشتري في ألفه شيئاً ، وبحرارة المريخ ، وبحرارة الشمس كان انقضاؤه ، وجفاف الأرض في آخر ألفها .

وهبت الريح الغاذية في ألف الزهرة مع برودة معتدلة ، فنبتت الأشجار طيبة الروائح من جميع الرياحين ، وما شاكلها من العود والصندل وأمثاله ؛ وكذلك الفواكه اللذيذة ، والأزهار والأنهار من النجم والمرعى ، ودودة القز والنحل ، ودواب المسك والزباد .

ثم الحيوان القريبة المحللة مثل : الإبل ، والبقر ، والأغنام ، والخيل ، والحمير ، وجميع ما ينتفع به الإنسان ، مما هي للاغتذاء به ، والاستخدام بالطاعة والخشوع ، والخضوع ، والانقياد لقربه من النهاية الثانية ، ومناسبته في بعض طبائعه إذ هو جزء منه لأنّه معاده ، وإليه رجوعه ، ، ومآبه ؛ ومنه إصداره وإيراده .

ثم تكوّن الطائر على أنواعه ، وانتشر على الأرض ، وأكل من الثمار ، وحبوب النبات ، من النجم والأشجار . ثم انقضى هذا الدور بالسعادة المشوبة بضدها ؛ ثم ابتدأ الألف السادس ، المرافد | فيه عطارد لزحل ، وهو سادس الأملاك ، قد جمع قوى الجميع . ١٠٦/٢٠٨

وكان فعل زحل كالسلالة في الخلقة ، وفعل المشتري كالنطفة ، وفعل المريخ كالعلقة ، وفعل الشمس كالمضغة ، وفعل الزهرة كالعظام ، وفعل عطارد كاللحم الذي هو التمام .

وكثر هبوب الرياح في أول الألف السادس المحيية ، والغاذية ، الملحقة للنبات والشجر . فكثرت فيه الحبوب المغذية للبشر ، وكملت الأثمار ، والبذور والفواكه ، مقدمة ، لجميع الحيوان أغذية بقصد الناظر المدبر لذلك .

ثم ابتداء زحل وعطارد ، في تكوين الإنسان في ابتداء خلق البشر ، وهو ابتداء بعيد، أصل للقريب ، على ما حكاه الكتاب الكريم بقوله : ﴿ سبحانَ الذي خلَقَ الأزواجَ كُلّها ممّا تُنبتُ الأرضُ ومنْ أنفسهمْ وممّا لا يَعلمونَ ﴾[1] .

فأصل المواليد الثلاثة ظهورها من الماء والطين .

فلمّا كملت قوى الكواكب الخمسة من زحل إلى الزهرة في خمسة آلاف سنة ، فكانت أربعة جذور من بواطنها وظواهرها من كل جنس خمس قوى وذلك أن باطن زحل حار ، وحرارة ظاهر المشتري ، وحرارة المريخ ظاهر ، وحرارة ظاهر الشمس ، وحرارة باطن الزهرة .

فهذه خمس قوى حارة والجذر الثاني برودة ظاهر زحل ، وبرودة باطن المشتري ، وبرودة باطن المريخ ، وحرارة باطن الشمس ، وبرودة ظاهر الزهرة ، والجذر الثالث رطوبة باطن زحل ، ورطوبة ظاهر المشتري ، ورطوبة باطن المريخ ، ورطوبة باطن الشمس ، ورطوبة ظاهر الزهرة ، والجذر الرابع يبوسة ظاهر زحل ، ويبوسة باطن المشتري ، ويبوسة ظاهر المريخ ، ويبوسة ظاهر الشمس، ويبوسة باطن الزهرة ، فحصلت الجذور الأربعة من قوى الخمسة ، والكواكب عشرون مجتمعة كامنة في نداوة الأرض في قعرها .

فلمّا كان عطارد السادس في الألف السادس ، وهو ممتزج باعتدال ،

---

١ سورة ٣٦ / ٣٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى إنّه إذا قارن كوكباً ، ناسبه في فعله ، ولم يخالفه في طبعه ، وكان كل كوكب يتولى إقليماً يكون طبعه ، وحكمه ولونه ، وفعل خاصته ظاهراً كان أو باطناً . وكان في كل إقليم وجزيرة مغارات وكهوف لجميع الحيوانات على قدر جنسه ، واستحقاقه لما يراد به . فالإنسان المحمود المقصود بالنظر جثة من ألطف الماء وأعذبه وأصفاه وأعدله .

والماء من المطر المعتدل من البخار والدخان ، الذي هو نظير نطفة الرجل ، وطبعه كطبعه ، في الحر واليبس ، ومن الأنهار التي نظير نطفة المرأة باردة رطبة . وذلك أن الماء لما اجتمع في المغارات والكهوف ، والشمس حينئذ في أول برج الدلو ، لأنه برج على صورة الإنسان .

وعطارد في اثنين وعشرين درجة منه مغرباً ، وبرج الدلو هواء بيت زحل ، ومثلثه عطارد ، واعتدال الطريقة للشمس ، وزحل في أول برج الدلو ، يناظر المشتري من تسديس ، وهو في أول الحوت ، وكان الطالع برج الجوزاء ، والقمر في قران عطارد في برج الدلو .

وكان نزول ذلك المطر واجتماعه بماء الأنهار بهبوب ريح الجنوب على أرض نقية التربة ، سليمة من كل طعم يخالف العذوبة ، مثل الحدة والمرارة والملوحة ؛ وهي سحيقة التراب متخلخلة ، فحدث في تلك الأغوار ما ذكرناه من ماء المطر الذي يشبه مني الرجل ، ومن ماء الأرض ما هو | يجانس نطفة[1] المرأة ، ومن النداوة المتقدمة من الثلوج والأمطار ، المتجمعة من

١٠٦/٢٠٩

---

١ يذهب الإسماعيلية إلى أن الله تعالى حرك الفلك فصعدت البخارات الحادثة من صفو المعدن والنبات والحيوان فصارت غيوماً ثم انهلت على وجه الأرض أمطاراً صافية معتدلة ، وخددت الأرض خدداً غير عميقة ، وقد صفا ذلك الماء في عمقها ، ثم بخاراً على أشرف وألطف وأصفى من الأول ، فانهل مطراً كثيراً نظير مني الرجل فوقع في تلك المغارات والخدد التي هي شبيهة بأرحام النساء ، فمازج الماء الكائن فيها المشاكل لماء المرأة ، فصار شيئاً واحداً .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطوفان ماء نظير دم الطمث ، الذي يجمع بين النطفتين ، وهو كالشب المتقدم لما يراد به الصبغ ، وذلك بعد نقاوة الأرض ممّا كان غشاها ، كما أن المرأة تحمل وتقبل النطفة ، بعد نقاوتها من دم الطمث .

فلمّا حصل الماء في قرار الأغوار القريبة ، وظهرت قوى حرارة الأرض المكمنة فيها من الحرارة التي ذكرناها ، لأن ذلك الزمان الذي تكون فيه الشمس في برج الدلو ، يكون باطن الأرض حامياً ، وكانت سخونة الأرض في تلك المواضع الغائرة ليّنة معتدلة غير مطيرة للرطوبة ، ولا منقية لها . فتموج ذلك الماء صاعداً ، وانحدر هابطاً ، فلحقه في أول تموجه سخونة ، وسكونة ، وبرودة ، بثقل اكتسبه في انحداره من البرد وهو يتردد في تموجه من طرف إلى طرف ، صاعداً وهابطاً بهبوب الرياح من ناحية إلى أخرى ، تارة بعد تارة ، حتى يزول عنه أكثر مائيته ويلطف . وصفته الحرارات حتى صار دهناً سيالاً من فعل القوى المستجنة ، وجذبها إليه بما لطف من زيابق المعدن وكباريته ، فصار الماء دهنيّاً سيالاً ، مستحيلاً من لون الماء وطبعه ، مع ما خالطه من خواص المعادن والنبات ، حتى يكون لا ماء خالصاً ، ولا دهناً غليظاً ، بل معتدلاً لطيفاً ، طبعه طبع النطفة المتكونة في الرحم .

فلمّا بلغت الشمس إلى برج الجوزاء ، وسخن الهواء ، وهبت رياح البوارح ، وحمي ظاهر الأرض ، فجف شيئاً بعد شيء .

وابتدأ الدهن ينعقد بإنضاج الحرارة ، لأن في الأرض مسام ينفذ منه النسيم إليه ، فيلحقه ويكسبه القبول لما يراد به إلقاحاً . ويسير إلينا وحرارة ظاهر الأرض تزيد في كل يوم حتى يبلغ الدهن إلى حد الانعقاد بالصلابة اليسيرة في حد المضغة . والدهن بحاله ، كدم الحيض في الرحم ، وإنّما تكون فيه أشياء لكل شخص مشيمة على سبيل الامعاء، وقد يوجد ذلك في الماء سلأ يتكون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيه الضفادع ، وهي أجنة . كل واحد منها غشاء لصورة كالسلاء لتقي الصور البشرية من الحر والبرد ، وتدفع منافذه أن يغشاها الماء الذي هي فيه . فيبقى نسيمها على ما تكون الأجنة في الأرحام .

فلمّا تخطط كل صورة في غشاوة هي لها ، كما شاء المصور لها جل وعلا . وأحدث كل كوكب فيها شيئاً ما تولى جزء من جسده ، وأكسبه قوّة من قواه ، والمتولي لنقش الصورة عطارد بشراكة الشمس ، وزحل ، والقمر .

فأول ما انفعل منه ، القلب بقوّة الشمس ، ثم الرجلان بقوة زحل ، ثم الرأس بقوة القمر ، وعطارد يزيد في كل قوة ، وهو يرسم التصوير ، والزهرة تتولى التذكير والتأنيث .

فلما كملت كل صورة في غشاوتها ، وفي سرته من تلك الغشاوة جزء منها هو كالامعاء ، وقد التصق فمه بفمها ، يمتص به مما لطف من ذلك الدهن غذاء لها . كما أن الجنين في الرحم يجتذب من سرته ممّا انعصر من دم الطمث وتلطف بحرارة الجسد حتى يصير كالدهن ، فيكون بقدرة الله تعالى غذاء لتلك الجملة ، لا كما تظن العامة أن غذاءها بدم الطمث ، فذلك كذلك ، والأمطار ساكنة ، والرياحات معتدلة .

فلمّا حدث في الجثة الطول والعرض ، والعمق ، وكملت آلاته انقشرت الأغشية عنها ، | بعد أن نضبت المغارات ، ولم يبق إلا الرطوبات ، وارتفع عن مضجعه بتمديد الجسم . وقد اتفق أنّه يكون قاعداً على إليتيه ، وذقنه على ركبتيه ، وقد ضم ذراعيه على ما يليهما من جسمه ، وهو مجتمع على ما وصفنا . ١٠٧/٢١٠

وذلك أنه ، لما كملت صورته ، وتخطط رأسه ووجهه ، انبعث فيه الروح من الحرارات التي كونته ، ثم استجنت في بدنه ، وأعطاه القمر قوة الحياة الإلهية المحيية ، التي يحيي بها ما استكن فيه ، من حرارة الشمس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقوتها ، وفي باطنه من حرارة الشمس جزء لطيف معتدل ، محيي[1] مادته من الشمس إلى باطن القمر كما ذكرنا .

فلمّا نفخ فيه الروح ، ودارت في جميع أعضائه ، ومادتها من قلبه ، تنفس من منخريه وفمه، وتنسم النسيم الحار المعتدل من جنس حرارة الهواء ولينه ، المتفرد بطبعه ، فجعل التنفس يزيد به انبساطاً وحركة ، وحساباً بالنسيم الذي يستمده من خارجه الذي هو من سطوع أشعة الأفلاك والأملاك ، الذين كان منه اجرامها أولاً ، ووقوعه على بسيط الأرض .

ثم لم يجد منفذاً فيها ، فترجع الأشعة صاعدة ، فتمتزج[2] ، وتعتدل ، فيصير على غير طبائع الأمهات ، لأنه من أشعة الأفلاك ، ومن قوى الأمهات . وقد صار جنسه غير جنس الكل ، حياة طبيعية ، محيية للحيوان ، مبردة على النبات ، ملينة لما خشن . وهو النسيم المشار إليه بالبحر السيال ، المحيط بالأرض ، وهو أصل الرطوبات ، المنشف من الأرض الدخان ، ومن البحر البخار ، الكائن منه المزاج والممتزج ، وهو الذي يكف أذى الأثير والزمهرير ، في كثير من الأوقات بقوة اعتداله ، وتوسط حاله ، فكان ذلك كذلك .

فلمّا تحرك الإنسان بالحياة المتصلة به ، التي دخلت عليه عند كماله ، من قوى الأفلاك ، التي هي نفس الحس ، فيتنفس ورجلاه تجذبان رطوبة ذلك الدهن[3] ، ويستمد منه مادة الغذاء ، وهو يتمرغ في الموضع الذي نشأ فيه ، وهو يجتذب ببدنه تلك الرطوبات وخواصها ، كما يجتذب حجر المغناطيس الحديد ، بالمشاكلة والمناسبة ، بسريان العناية الإلهية إليه . وهو يتقلب يمنة ويسرة ، وقد انحسمت سرته ، وهو ينمو بذلك ، وتزداد قوته

---

١ سقطت في ج .

٢ فتمتزج : فتمزج في ط .

٣ الدهن : سقطت في ج .

بعد إقامته فيما بين الماء والطين تسعة أشهر ، مائتين وسبعين يوماً . فلمّا صارت الشمس في برج العقرب ، وتقوّى الإنسان البشري ، وفتح فاه ، وطلب الغذاء من فمه المهيإ له ، وسار لستة أشهر من يوم خلع المشيمة التي كانت تلفه ، وهو في هذه الستة الأشهر يرضع إبهامي يديه ، وهو يخرج منهما له غذاء ما بين اللبن والدهن ؛ ولذلك ان المولود إذا ولد يتعلق بإصبعيه ويرضعهما على سبيل الفطرة الأولة ، فسار وهو في الخلق والقوة كمولود أربع سنين لقوة الأبوين وعظمتهما ، والتسعة التي كان فيها في المغارات . وليس صغر جثته مولود النطف ، إلاّ من ضيق مكانه ، فتأزت الأرحام على قدره .

فأول ما يأكل التين ، والعنب ، والفواكه ؛ مما لطف من الثمار بقوة الإنسان . فهذا شرح بدء[1] المواليد الثلاثة وظهور الجنس البشري الذي هو أول الفكرة وآخر العمل .

قال الشخص الفاضل صاحب الرسائل نضر الله وجهه في رسالة الحيوان[2] : واعلم يا أخي أن الحيوانات التامة الخلقة العظيمة الصورة ، كلّها كونت في بدء الخلق ذكراناً وإناثاً | من الطين والماء تحت خط الاستواء حيث يكون الليل والنهار هنالك متساويين ، والحر والبرد معتدلين ، والمواضع

١٠٧/٢١١

---

١ يريد بالمواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان ولا وجود لنوع من أنواعها إلا عن المزاج الحادث من الأركان الأربعة بمفاعلة كيفياتها الأربعة التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة بعضها في بعض بالإضافة إلى تأثيرات المؤثرات من فوقها .

٢ الرسالة الثانية والعشرون من رسائل اخوان الصفاء ج ٢ ص ١٨١ والنص هكذا ورد : «واعلم يا أخي بأن الحيوانات التامة الخلقة كلها كان بدء كونها من الطين أولا من ذكر وأنثى توالدت وتناسلت وانتشرت في الأرض سهلا وجبلا ، وبراً وبحراً ، من تحت خط الاستواء حيث يكون الليل والنهار متساويين ، والزمان أبداً معتدلا هناك بين الحر والبرد ، والمواد المتهيئة لقبول الصورة موجودة دائماً . » .

الكثيفة[1] من تصاريف الرياح موجودة ، والمواد كثيرة متهيئة لقبول الصورة ، ولما لم[2] يكن في الأرض مواضع موجودة بهذه الأوصاف ، جعلت[3] أرحام إناث هذه الحيوانات على هذه الأوصاف من اعتدال الطباع ، لكيما إذا انتشرت في الأرض تناسلت وتوالدت ، حيث كانوا . وأكثر الناس يتعجبون من كون الحيوانات من الطين . ولا يتعجبون من كونها في الرحم من ماء مهين ؛ وهي أعجب وأعظم في القدرة . ونحن الآن نعود إلى تمام قول[4] الحكيم قال :

ثم يكون الألف السابع الذي يرافد فيه القمر زحل ، وهو ألف سعادة وعبادة ، مثال الخلق الآخر . وانتهى دور السبعة الأولة من السبعة الآلاف التي هي دوره ، فيكون في هذه الألف السابع الأمور العجيبة ، والشخوص السعيدة ، والقرانات المحمودة ، في الملك والسلطان ، والعدل والإحسان ، وتجريد التوحيد والأديان ، وابتداء دور الكشف في هذا الأوان .

فلمّا وفت السبعة الآلاف التي تولى أمرها زحل ، ابتدأ دور المشتري من الخمسين الذي هو لزحل ، فتولى منهما بسبعة الآلاف سنة ، وكذلك المريخ ولجميع الأفلاك السبعة إلى ما يكون التمام بدور القمر ، ولكل دور منها حكم وتقدير وتدبير ، من السميع البصير ؛ إلى وفاء تسعة وأربعين ألف سنة . وكمل دور زحل .

ثم ابتدأ دور المشتري خمسين ألفاً ، واختص منها بسبعة آلاف سنة ،

---

١ بالعرف الإسماعيلي المواضع الكثيفة أي المواضع المظلمة السفلية ، لأن من هبط من عالم الصفاء يهبط نتيجة للكثافة التي تصيبه ، لأنه من شأن كل كثيف الهبوط ومن شأن اللطيف الصعود والعلو .

٢ اختلاف كبير بين النص المنقول وبين النص في الرسالة .

٣ جعلت : سقطت في ج .

٤ قول : سقطت في ج . وهنا يعني بالحكيم صاحب رسائل اخوان الصفاء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ورافده كل كوكب على ما بينا إلى وفاء خمسين ألف سنة ، إلى ما يكون المنتهي سبعة آلاف زحل ، ثم كان للمريخ « خمسون ألفاً إلى ما يكون المنتهى دور المشتري ، وكذلك للشمس خمسون ألفاً إلى ما يكون منها دور المريخ ، وللزهرة خمسون ألفاً وينتهي ذلك إلى الشمس ، ولعطارد خمسون ألفاً منتهى دور الزهرة »[1] وللقمر خمسون ألفاً إلى منتهى دور عطارد .

ثم وفاء الكور وابتداء دور زحل على ما ذكرناه في أول الكلام ، وفسدت الخلقة ، وتراكمت الغيوم والثلوج ، وغشي الطوفان ، فيكون الأمر على حالة[2] الأول بعد وفاء سبعة أيام ، لأن كل كوكب يوم ، وله خمسون ألفاً من الكور ، فذلك كذلك أبداً سرمداً فسبحان من هذه القدرة قدرته ، وهذه الحكمة مشيئته ، ولا إله إلاّ هو استغفره وأومن به ، وأتوكل عليه ، واستجير به من الحور بعد الكور ، وهو رجوع الكواكب من افتراقها إلى موضع اقترانها أولاً فيه .

ولكل دور من هذه الكواكب حكم وتدبير وتقدير ، من ظهور وبطون ، وكشف وستر ، وفعل وانفعال ، والأمهات تستحيل بجزئياتها ، والمواليد بكلياتها ، والعناية الإلهية تديرها وتدبرها ، وتكورها وتدورها ، وتحوزها لخلاصها ، ولا خلاص لها إلاّ من القامة الألفية ، لأنها الصراط بين الجنة والنار .

ونحن الآن نرجع القول على ظهور أهل المغارات الذين تقدم القول عليهم ، وظهور الفاضل بالنور الكامل وكيفية الارتقاء ، والمعاد ، والقول على الحجب النورانية في عالم الدين ، وعلى المحتجب الحق الذي لا يغيب طرفة عين .

---

١ سقطت الكلمات المحصورة داخل قوسين من ج وط .

٢ حالة : سقطت في ج .

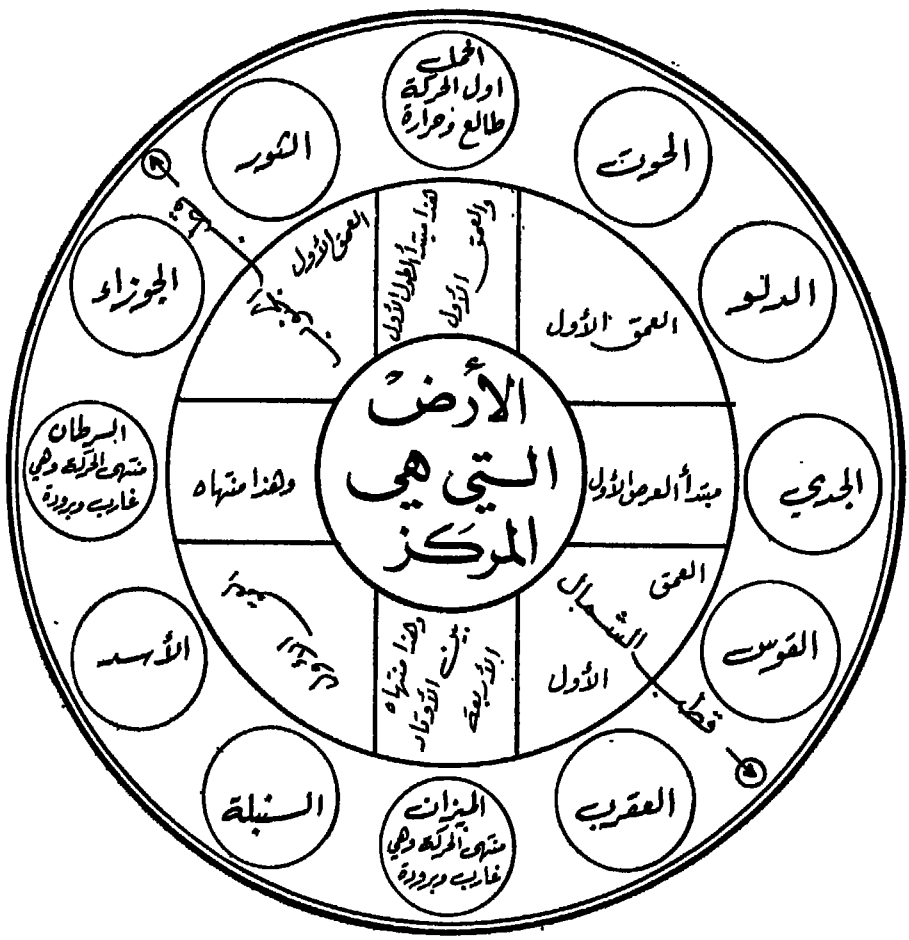
الحمل
اول الحركة
طالع وحرارة
الثور
الجوزاء
السرطان
منتهى الحركة وهي
غاربة ومرذولة
الأسد
السنبلة
الميزان
منتهى الحركة وهي
غاربة ومرذولة
العقرب
القوس
الجدي
الدلو
الحوت
الأرض
التي هي
المركز
العمق الأول
مبتدأ العرض الأول
العمق الأول
وهذا منتهاه
العمق الأول
وهذا منتهاه
العمق الأول
مبتدأ العرض الأول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البَابُ الثَّامِن [1]

« في القول على ظهور الشخص البشري أولاً ،
وفي كل ظهور بعد وفاء الكور »

فنقول : إن البرهان ظاهر للعيان بما نشاهده في كل جنس من أجناس
١٠٨/٢١٢ المواليد التي لها [2] غاية ، كالياقوت الأحمر الذي لا سلطان للنار عليه ، وزوجه
الزمرد ، وإنهما غاية الأحجار في الشرف والمقدار ، وكالنخل في النبات وزوجه
العود في الشرف والمقدار ، وكالفرس في الحيوان وزوجه الفيل في الشرف
والمقدار ، كذلك في الطير وغيره ممّا ينسبه صاحب رسالة الحيوان [3] ، فبذلك
وجب أن يكون في العالم البشري والجان غاية لكونها نهاية النهايات وغايتها ،
وهو الطريق إلى الصعود إلى الملائكة الكرام . فالإنسان البشري منتهى زبدة
الطبيعة بأسرها ونهايتها الثانية ، وهو حد فعلها بما قصدته العقول البرية التي
أظهرت الرئيس رئيساً ، والخسيس خسيساً .

فأول ما قصده [4] الماء الذي تحيّز في المغارات بقوى الآلة المحكمة التي هي

---

١ الباب الثامن : الباب السادس في ج ، « في القول على ظهور القامة الألفية في الدور الأول من الأدوار من بعد التحويل والتبديل والتغيير لما على وجه الأرض بالطوفان ، عند وفاء كل كور وكيفية ظهور الشخص الفاضل فيهم وحدوده اللاحقين له » .

٢ التي لها : إن له في ط .

٣ يعني رسالة الحيوان من رسائل إخوان الصفاء .

٤ قصده : قصدته في ط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأفلاك . فجذبت إلى غور من تلك الأغوار [1] التي هي مسامتة [2] لخط الاستواء ، من سرنديب من ألطف الماء وأعذبه وأشفه ، وأقربه ما تكوّن منه ثمانية وعشرون شخصاً ذكراً ، وفيما يليه غور فيه ثماني وعشرون شخصاً اناثاً .

وكان سبب ذلك بعدد منازل ثماني وعشرين منزلة ، وعلى عدد حروف المعجم ، ولحظتها العقول البرية بمناظرات الكواكب السعيدة ، واعتدال الزمان بقوة أولة . وقد مزجت ماء ذلك الغور ، لما ذكرنا ، بخواص أشياء من المعادن مثل الزئبق والكبريت ، حتى امتزج بماء الغور وطينه ، وعنيت بفعله وتدريجه على سبيل الفعل بالسلالة من حالة إلى حالة ، حتى تكوّن الماء هنا ، فتكوّن فيه أجنة من الأغشية التي كل واحد منها مشيمة لشخص منها وجميعها من الآثار الطيبة ، من حبوب وثمار وفواكه وأشجار ورياحين ، ومن ماء الأنهار التي قد استتربت تلك الآثار ، وجذبتها الأمطار إلى الأغوار ، فصار ذلك هو الطين المزاوج للماء القابل للانفعال ، حتى إنها من الكافور والعنبر والمسك الأذفر ، جذبته العناية الإلهية باستحقاق ، كما يجذب حجر المغناطيس الحديد ، وذلك ممّا كان من أهل الإقرار بالحد الأعظم . فكانت أجسامهم من ذلك الحال الأشرف الذي ميّز من الخبيث ، وكانت أجسادهم شفّافة جوهرية ، صافية زكية ، طاهرة نقية ، مضيئة نيّرة نامية حسية ، على ما رمز به الشخص الفاضل صاحب الرسائل حيث قال [3] :

وقد قيل إنّه متى كان الكبريت صافياً والزئبق نقياً ، والزمان معتدلاً ، والتدبير على ما ينبغي في الوقت من اعتدال الزمان باستقامة أشكال الفلك ، والشمس في سعادتها ، وكان التدبير موافقاً لها بمساعدتها فرقي إلى العلو بالصعود

---

١ بعض علماء الإسماعيلية يسمونها المغاور والبعض الآخر يقولون الكهوف أو الخدد .

٢ مسامتة : سامت في ط .

٣ الرسالة الجامعة الورقة ٩٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالنار اللّيّنة عن النسبة الفاضلة أولاً ، ثم أهبط إلى السفلي ، فجعل ذلك مثل الماء بالرفق ، في الحل مثل ما كان أول مرة ، ثم أجمد ، ثم رقي بألطف تدبير من الأول ، وقدر على علوه أحسن تقدير ، على النسبة الفاضلة ، والقسمة المعتدلة ، والمعرفة الكاملة ، ثم أهبط ، ثم أعيد إلى حالته الأولى بالحل ، يفعل به كذلك ما دامت الشمس في سعادتها وحسن مساعدتها ، فإن بلغ به التدبير إلى نهاية وتمام غاية كان شمساً طالعة ساطعة أنوارها ، ونعمة سابغة ، وبركة نافعة ، يدب نورها في الأجساد ، إذا أشرقت على الكواكب سرى نورها فيها [1] وصبغتها فجعلتها شموساً طالعة ، وأنواراً ساطعة .

فهذا فصل عن الصادق الأمين [2] أوضح ما شرحناه في أول الكلام وبيناه ، وهو أيضاً ينتظم الصعود إلى المعاد .

١٠٨/٢١٣ وقال أيضاً : | وإن قصد التدبير بفساد التقدير عن درجة الأول بدرجة كان دون الغاية ، لأنّه لم يبلغ النهاية ، فيكون ما يتولد عنه ويبدو منه ، إذا كان القمر امتلأ نوره ، وسعادته في ظهوره ، نتيجة ذلك التدبير قمراً [3] تستمد الكواكب من نوره ، ويسري فيها وينزل بها . وإذا نزل بها ، صارت هي كهو في المثال ، فهذا قوله .

ونقول : إن شرف تلك الأجسام الجوهرية المضيئة على سائر أجسام أهل الجزائر ، وكذلك نفوسهم أشرف من نفوس أهل المغارات التي في الجزائر ، على اختلاف الألوان والأشكال والطباع . فنفوس هؤلاء الفضلاء من أزكى النفوس وأجلها وألطفها . وهي من غير من امتزج بالماء والطين [4] وممّا لم

---

١ فيها : سقطت في ج وط .
٢ يعني الإمام الوفي أحمد صاحب رسائل إخوان الصفاء .
٣ يرمز هنا إلى الشخص الفاضل الإمام الهادي صاحب الدعوة .
٤ والطين : سقطت في ج .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتموج به الطوفان ، ولا اختلط بالخبيث في المزاج والممتزج ، الذي حدث النيرين لأنهما[1] من سكان السموات العُلا في عالم الأجرام . وذلك من أقرب من أقر بالحد الأعظم الذي هو المبدع الأول ، وشهد له وسبحه وقدّسه ، وتخلف عن إجابة المنبعث الأول عند الدعوة به ، وعن إجابة العاشر لما دعا به ، بعد توبته وعودته ، فكان جميع من تصور ذلك سُمي صورة ، بسبب أنّه لم يتصور غير هذه الصورة ، وسُمي نفساً حسية ، وحياة هيولانية ، بعلوه على من أصر عن فعل شيء ممّا جاء به ، فتكون كما ذكرنا آلة مؤثرة في عالم الاستحالة للكون والفساد ، وسخرت وجبرت ، وأعجمت عن النطق والدراية[2] . وفي عدل باري البرية أن يخلصها[3] بالتزامها بذلك الحد الجليل ، وبخدمتها وسعيها بالتقديس والتهليل ، لا خلاص لها من الصراط المستقيم ، النهاية الثانية التي هي جنة النعيم .

فكانت البروج الاثنا عشر في السير[4] الأول الذي هو على وفاء ستين سنة ، عند وفاء الستين ينفعل من البخار والدخان ، اللطيف والشريف ، الذي يكون أصله ممّا يتحلل من[5] الأجسام الطاهرة ، والأجساد الغابرة ، التي هي لا تجانس شيئاً من الأمهات فتختلط به لكونها قد أشرقت وعلت عن مجانستها ، فيتردد ذلك المزاج الذي تصاعد منها ، ثم يتكوّن كوكب على سبيل ما نشاهده من[6] النيازك التي تصعد إلى فلك النار ، فيتكوكب ، ثم لا يجد منفذاً كما قال تعالى : ﴿ مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ﴾[7] . فتخر وتسقط ، وهي منظورة معاينة ، مشاهدة تلك النيازك ، فتلك تنفعل كذلك ، وتتكوّن بتدبير المقدر لها ، على عدد نجوم كل برج قد استحق أن يقوم مقامه

---

١ لأنهما : لأنها في ط .
٢ الدراية : الدرية في ط .
٣ يخلصها : سقطت في ج .
٤ السير : لير في ج .
٥ من : في ، في ج .
٦ من : في ، في ج .
٧ سورة ٧٢ / ٨ .

من تخلفه ، وهو يتدرج إلى القامة الألفية لخلاصه ، فإذا صعدت تلك الجملة تكوكبت في فلك الأثير ، وكانت البداية للحمل ، فسكنت في موضعه ، وهبط الحمل الأول إلى الأرض واختلط بما يماثله ويشاكله من المعادن ، وصعد إلى شيء من النبات المحمود ، من الفواكه الطيبة ، ثم يتناوله مستحقه فيغتذي به ، فتظهر تلك الأغذية بالتدريج في أعضاء المغتذي بها «إلى ما تصير نطفاً مائزة عن شيء يختلط بها »[1] ، وتصعد إلى الكمال الأول البشري . ثم تطلب الخلاص وتسعى في ملائمة أهل الاختصاص ، « فتتعلم[2] وتعلم » ، وتكون في الكمال الثاني في الحد الذي تستحقه من أفلاك الدين ، لا يعوقها عائق ، ولا يردعها رادع ، وتقبل[3] جميع ما يلقى عليها من الأصباغ والأكاسير ، وذلك كذلك .

فإذا وفى ستين سنة ، تكون ممّا النحل[4] من أجساد ثانية الدخان والبخار ، وانعقد في | الأثير ، كواكب عديدة على عدة برج الثور ، وصعدت فلزمت ١٠٩/٢١٤ مكانه ، وهبط البرج الأول على ما ذكرنا ، وكان تكونه على ما وصفنا إلى وفاء ستين سنة ، وصعد مثل ذلك ، وكان خليفة لبرج الجوزاء ، وهبط وتكون على ما ذكرنا ، فذلك كذلك ، يصعد لكل برج من يخلفه بالعدة إلى وفاء برج الحوت وعاود الصعود إلى الحمل كما ذكرنا ، ويكون ذلك الحال والانفعال من برج الحمل إلى برج الحوت في سبع مائة سنة وعشرين سنة ، وعلى ذلك .

وقد ذكرت الحكماء أن الأفلاك تتراخى[5] بارباطها عند اجتماعها في برج الحمل على وفاء الكور الأعظم ، ويجري التحويل والتبديل ، حتى إنهم ذكروا أن الفلك يعود أرضاً والأرض أفلاكاً ، وهذا ما لا يمكن زوال الكل معاً .

---

١ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين من ج .
٢ فتتعلم وتعلم : فتعلم وتعلم في ط . ٣ وتقبل : ويقبل في ج .
٤ النحل : نجل في ط . ٥ تتراخى : تترقى في ج .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإنّما على ما قد بينا وأوضحنا ؛ وكذلك أيضاً إذا عاود التدبير لزحل بعد وفاء الكور الأعظم ، ثم استحال ما على وجه الأرض من المواليد الثلاثة ، وطحنت الطبيعة ما تحتها ، وذلك كالطاحونة إذا أديرت على ذر وكر ، طحنت[1] ؛ فتجذب العناية الإلهية باقي فضلات أجسام الطاهرين الموحدين ، ثم تتصاعد فينعقد منها شمس وقمر وكواكب ، مثل زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد ، في وقت ما ينضب ما على وجه الأرض من ماء الطوفان . ثم ترتبت الصاعدة في مواضع الأولة ، وتهبط تلك الأولة فتكون هي أهل المغارات السعيدة الثمانية والعشرون شخصاً[2] ، وتدعو إلى توحيد باريها بلا واسطة ولا إلهام ، كحال ما فعله المبدع الأول ، وعلى ذلك أبد الآبدين ، عدلاً ورحمة ، فخلاص من أجاب ورجع وأناب .

رمز بذلك سيدنا حميد الدين حيث قال في راحة العقل[3] : والحلو الطبيعة التي هي النفس من هذا العلم الثاني قال الله تعالى ﴿ وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمونَ شَيْئاً ﴾[4] . أي لا تعلمون شيئاً من الكمال الثاني الذي هو العلم الثاني الذي يتعلق بالأديان والاعتقادات التي بها تكمل النفس وتصير عقلاً ، وهو يستفاد من جهة الأئمة الهداة من أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين[5] . ولما كان ذلك كذلك كان سبيل هذا العلم الثاني لا كسبيل ذلك العلم الأول ، بكون ذلك العلم الأول موجوداً بكل نفس في أول وجودها من الحيوان وغيرها . إلا آحاد[6] تمتاز وتختص لعلل موجبة تزول بعد حين فتلحق بغيرها ، فهذه الآحاد هي ما تجوهر من اثارات الصالحين في الجواهر

---

١ طحنت : طحمنة في ط . ٢ شخصاً : سقطت في ج .
٣ نقلت هذه العبارات من المشرع الثالث من السور الخامس .
٤ سورة : ١٦ / ٧٨ .
٥ من . . أجمعين : أضافها المؤلف إلى الأصل المنقول .
٦ إلا آحاد : الآحاد في ج .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثمينة ، وبقيت في الأرض ما تعود إلى السحيق ، ثم إلى القامة الألفية . ثم تلحق بعد حين بغيرها بعد زوالها مما كانت متصورة له من الجواهر .

ثم قال الشخص الفاضل صاحب الرسائل رمزاً : واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن القوى النفسانية أول ما بدت وسرت لما هبطت إلى الأجسام من أعلى سطح الفلك المحيط ، إلى نحو مركز الأرض مرت أولاً بالكواكب والأفلاك والأجرام ، وبلغت مركز الأرض الذي هو أقصى غاياتها في هبوطها ، ومنتهى نهاياتها في حضيضها ، فمنها ما تابت وأنابت ، وتذكرت ورجعت من قريب ، فاتحدت بالكواكب النيرة ، والأجرام الصافية ، ولذلك قيل لها : « النفس المطمئنة الراجعة »[1] من قريب ولم يطل بها الأمد في جهالتها « وطغيانها ثم كانت »[2] لذلك تتفرق وتتحد الشيء | بعد الشيء على قدر ١٠٩/٢١٥ الصفاء[3] والرجوع إلى الإقرار والاعتراف بالخطإ والاقتراب « إلى فلك »[4] القمر آخر أبواب العالم العلوي .

ثم هبطت المتخلفة عن الإجابة نحو المركز واتحدت بعالم الأمهات ، وسرت قواها في المعادن والنبات والحيوان والإنسان ، وعطفت عليها النفوس الناجية المتحدة بالكواكب وحنت عليها ورحمتها كما ذكر ذلك في كتابه الكريم ﴿ والمَلائِكَةُ يُسَبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم ويَسْتَغْفِرونَ لِمَنْ في الأَرْضِ ﴾[5] ، فبالبرهان الصادق إن كل شيء يحن على جنسه ، ويرحم بعضه بعضاً .

فدارت الأفلاك وسارت الكواكب النيرات وترتبت الأمهات وظهرت

---

١ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين في ج وط .
٢ سقطت الكلمات الموضوعة داخل قوسين في ج وط .
٣ الصفاء : سقطت في ج وط .
٤ إلى فلك : سقطت في ج وط .
٥ سورة ٤٢/٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأشخاص من المعادن والنبات والحيوان ، وبرزت صورة الإنسان فامتلأ العالم من الأشخاص ، ونزلت النفس القدسية بالروح من أمر ربّها على من يشاء من عباده بالدعاء إليه ، والدلالة عليه ، فمن أجاب لحق بعالمه ، ومن أبى واستكبر وخالف وأصر نزل في هوانه . وهذا فصل عن الثقة الأمين من الرمز الخفي والبرهان المضيء .

ونحن نعود بعد بيان شرف النفوس الزكية « والأجسام الصافية »[1] من أهل المغارات السعيدة الملحوظة ما نهضت من أهل المغارات السعيدة الملحوظة . ما نهضت من أهل المغارات لطلب المعاش « مما يليها »[2] من الفواكه والأشجار إلاّ بقوة في أجسامها قوية، و فطنة[3] في حواسها زكية، وهي تهيش في صقعها ذلك وتعيش وتأوي معاً تحت الأشجار وتشرب من الأنهار ، ثم بلغت في سبع سنين رتبة الاحتلام، ولها على سائر المغارات من التمام والكمال أضعافاً[4] مضاعفة ، ثم لحظتها العقول بسريان أنوارها بوساطة المتولي لذلك من أدناها رتبة الموكول إليه أمر ما دونه من عالم الهيولى ، فصفت لطائفها ، وعلت صورتها ، وترتبت في السبق إلى التوحيد والإقرار كترتيب العقول الخارجة عن الأجسام ، الأول فالأول على النظام .

---

١ والأجسام الصافية : سقطت في ج وط .
٢ مما يليها : سقطت في ج وط .
٣ فطنة : سقطت في ج وط .
٤ أضعافاً : سقطت في ج .

البَابُ التَّاسِع [1]

« في القول على ظهور الشخص الفاضل
من تحت خط الاعتدال »

فنقول : إن أهل [2] هذه المغارات التي طابت عناصرها ، وصفت جواهرها في نفوسها وأجسامها ، لما تحركت إلى منافعها من مآكلها ومشاربها ، تحرك من جملتها شخص واحد فيه من الفطنة والذكاء والتمييز في جميع الأشياء بقصد عن العقول ، ووحي وإلهام ، وتفضل وإنعام ، إلى ذاته بذاته بتأييدات ربانية ، ومواد إلهية قدسية علويّة « ففكّر ودبر وتفطن » [3] وأبصر فأقر أن لهذه الصنعة صانعاً حكيماً ، وشهد لباري البرايا بالإلهية ، وجرده عن الصفات الاختراعية ، وكانت شهادته كمال الشهادات الثلاث [4] في الآية بقوله محققاً ذلك : ﴿ شَهِدَ اللهُ أنّهُ لا إلَه إلاّ هُوَ ﴾ [5] . فهذه شهادة المبدع الأول الواقع عليه اسم الإلهية ، ثم قال : ﴿ والملائكة ﴾ [5] ، الذين شهدوا بمثل ذلك ، المنبعث الأول ، والعقول الانبعاثية ، والعاشر ؛ ثم قال : ﴿ وَأُولُوا العِلْمِ قائِماً بالقِسْطِ لا إلهَ إلاّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [5] الآية ، وهذه الشهادة الثالثة لأهل المغارات الذين وسمهم بالعلم .

فوحد الشخص المذكور وجرد ونزّه وسبّح وقدس ؛ فطرقه التأييد بروح

---

١ الباب التاسع : الباب السابع في ج .
٢ أهل : سقطت في ج وط .
٣ ففكر ودبر وتفطن : سقطت في ج وط..
٤ الثلاث : سقطت في ط .
٥ سورة ٣ / ١٨ .

القدس والتمجيد ، فكان في سبقه وشرفه بفعله ، كسبق المبدع الأول وشرفه ، وكسبق المنبعث الأول إليه . فظهر بالفعل في العلم والحكمة ، وظهرت به المعجزات ، | ونطق بالأسماء والصفات [1] ، لاستحقاقه لذلك ، وسبقه إلى ما هنالك ، إذ هو زبدة العوالم [2] أجمع ، وبسببه تحركت المتحركات ، وتمكنت المتمكنات ، وتزمنت المتزمنات ، وكان نهاية تلك النهايات وغاية جميع الغايات ممّا في الأرض والسموات ، فكان سبقه ممّا لا يترجم عنه « عقل طيني ولا لسان توحيدي » [3] ، وكان إمام الأئمة ، وقبلة كل قبلة ، كمال الأمر ، ورأس المشيئة [4] ، سبق السبق ، وكان في نفس الرتق أول الخلق .

١١٠ / ٢١٦

ثم جرى به الظهور والاتحاد ، واختصه النهاية الأولة بذلك . وكان أول الآحاد والأفراد ، في عالم الكون والفساد ، الهادي إلى دار المعاد ، فنطق بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وتشعشعت صورته ، وأنارت بصيرته ، وكان قيامه ابتداء دور الكشف ، وعلم الأشخاص الذين ظهروا معه علم الكيفيات واللميات ، بعد أخذه عليهم عهد الله المؤكد ، وميثاقه المغلظ [5] المشدد ، والوحي متصل به غير منفصل ، والعلم لديه بالفعل ، فعرفهم الخلقة بأسرها ، ودلهم على أسمائها وصفاتها ، وحركاتها وسكناتها ، وابتداء انفعالها ، من أول كرة من المكان ، وحركات الأفلاك التي جرت بها الأزمان . وهذبهم في العلوم الأربعة التي هي : علم اللسان ، ثم علم الأزمان ، وعلم الأبدان ، وعلم الأديان ، بمادة الواحد المنّان . اختصه بعلم جميع ذلك لكونه قائم الابتداء في العالم الجسماني ، وأول عالم في الجنس الإنساني بقوة ظهور الاتحاد ،

---

١ الصفات : الصفايات في ج .
٢ العوالم : العالم في ج و ط .
٣ عقل طيني ولا لسان توحيدي : سقطت في ج و ط .
٤ المشيئة : المشيمة في ج و ط .
٥ المغلظ : سقطت في ج و ط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تلألأت أنواره بالإشراق ، وأظهر العلوم وأنبأ بالمعلن منه والمكتوم ، ودعا بلسان التوحيد الى المتحد به ، الأول في البداية ، غاية كل غاية ، وجه الله الكريم ، واسمه العظيم .

ثم أمر من تلك الأشخاص أحد عشر شخصاً إلى الجزائر النائية عن جزيرته ، ورتب كل واحد منهم في جزيرة من الجزائر . وأقام الثاني عشر في جزيرته التي هو فيها . وأقام أيضاً اثني عشر حجة بحضرته وأمر بتعليم الخلق في الجزائر وتهذيبهم ، وتسديد أمورهم وتأديبهم ، فاستجاب كثير من الخلق بقبول وطاعة ، وصفاء خالص ، وولاء[1] مخلص من جميع من له سابقة ونية بتشريف ذلك الحد الأعظم ، أو بحد من الحدود دون الآخر لقوله تعالى واصفاً لأهل الطاعة : ﴿ قُلْ آمَنّا بالله وَما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَما أُنْزِلَ عَلَى إبْراهيمَ وإسماعيلَ واسْحَقَ وَيَعْقوبَ والأسْباطِ وَما أُوتي مُوسى وَعيسى والنَّبِيّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِنْهُمْ ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[2] .

وكان أيضاً في كل جزيرة مغارة فيها من الوحوش الماثلة بالقامة الألفية التي هي من ظلمة الجهالة وكدر الخطيئة تكونت عن المياه الأجنة الفاسدة الوسخة ، مثل القرود والذئبة والنسانيس[3] والغولة والعديرة[4] وما شاكلها إبعاداً ولعناً وإقصاء لها ، حتى[5] لا يظهر عنها شيء ممّا هو في خواطرها من الفساد وقلة الرشاد . وكذلك من أجناس العجم ما هو يماثل هذه الخلقة الممسوخة ، مثل الزنج وما شاكلهم من السودان ، وغيرهم من الأشخاص ، والأنواع ؛ لكونهم في البعد من النهايات ، فكان ذلك كذلك .

---

١ وولاء : ولواء في ج .
٢ سورة : ٣ / ٨٤ .
٣ والنسانيس : والنسناس في ج وط .
٤ العديرة : هكذا وردت في النسخ الثلاث .
٥ حتى : لئنا في ج ؛ لأن في ط .